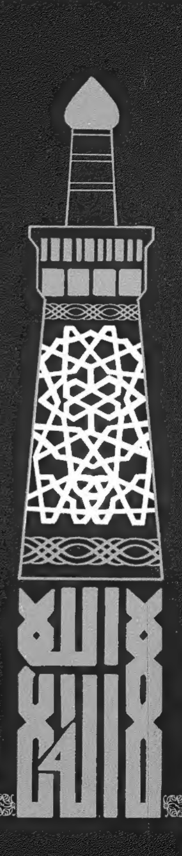
زبدة التواريخ

أخبار الأمراء والملوك السلجوقية

لصدر الدين علي بن ناصر الحسيني

تحقيق

الدكتور محمد نور الدين



دار اقرأ

زبدة التواريخ

زبدة التواريخ
أخبار الأمراء والملوك السلجوقية

صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني
ت. بعد ٦٢٢ هـ

تحقيق
الدكتور محمد نور الدين

دار اقرأ
للنشر والتوزيع والطباعة

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار اقرأ
بيروت - الرملة البيضاء - سنتر ملكارت التجاري - ص.ب. : ١٣٥٨١٨ - هاتف : ٨٠٦٢٥٢

إلى أمي ..

الدعاء الدائم "علا ذكرت"

جديدة





مقدمة

تشكل الدولة السلجوقية احدى المراحل الأكثر إضاءة في تاريخ الامبراطورية الاسلامية، لاسيا في أقسامها الشمالية الغربية المتاخمة للأناضول. ففي ظل الانقسامات العنيفة التي عصفت بهذه الامبراطورية، في مرحلتها العباسية، كان السلاجقة، وقبل مئة وست عشرة سنة من موقعة حطين المجيدة، يخطون نحو تحطيم الخطر البيزنطي عندما سجلوا واحدة من أهم الانتصارات في ملاذ كرت ضد الروم عام ١٠٧١ م. فكانوا بذلك يؤسسون لانتصارات لاحقة في حطين عام ١١٨٧، ولفتوحات السلاطين العثمانيين الأوائل خاصة خلال القرون الخامس والسادس والسابع عشر والتي اتخذت الأناضول قاعدة لانطلاقها ولهذا الأمر كان للسلاجقة فضل انشاء أول الامارات الاسلامية في تلك المنطقة من آسيا الصغرى .

إن التنوع البشري والتوزع الجغرافي للدولة السلجوقية ومتاخمتها بلاداً غير اسلامية في أرمينية وبيزنطية وأواسط الهند كان عاملاً أساسياً لتعددية المصادر التي أرّخت لدورة حياة هذه الدولة، فتوزعت أمكنة ولغات، وهو الأمر الذي يزيد من الصعوبات الموضوعة أمام الباحث. إلا ان الغنى والتنوع المنهجي والرؤيوي لهذه المصادر، تقرّبنا أكثر من بلوغ الحقيقة

المتوخاة. فإلى جانب الكتابات العربية المتمثلة في مؤلفات ابن الأثير (الكامل في التاريخ وتاريخ الدولة الأتابكية) وسبط ابن الجوزي (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) وابن الجوزي (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) والقلانسي (ذيل تاريخ دمشق) وغيرها، نجد أن الكتابات الفارسية حول الدولة السلجوقية وعلاقاتها بسائر القوى الموجودة آنذاك، ذات شأن هام. منها مذكرات أنو شروان بن خالد بن محمد الكاشاني التي كتبت تحت عنوان « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور» وترجمها الى العربية وزاد عليها عماد الدين الأصفهاني تحت عنوان: « نصرة الفترة وعصرة الفطرة » ثم اختصرها أبو ابراهيم فخر الدين البنداري وسماها: « زبدة النصرة ونخبة العصرة ». ومنها « سلجوقنامه » لظهير الدين النيسابوري، و « راحة الصدور وآيات السرور » لأبي بكر نجم الدين محمد بن علي الراوندي. كما يوجد كثير من الكتابات الفارسية التي لم يصل الينا منها سوى الاسم مثل: « سيرة الملك طغرل بك السلجوقي »، « ملك نامه »، « رسالائي ملكشاهية » و « سنجرنامه » و « عيون التواريخ ».

وعند المؤرخين الأرمن والبيزنطيين نجد الكثير من المعلومات الجديدة والقيّمة عن العلاقات السلجوقية مع كل من أرمينية وبيزنطية، مما لم يرد في المصادر الأخرى. ولقد أدرك الباحثون العرب المعاصرون أهمية المصادر غير العربية في هذا الخصوص فتناولوها ترجمة. لكن هذه الترجمة اقتصرت على مؤلفات فارسية مثل تاريخ الراوندي وتاريخ البيهقي والعراضة في الحكاية السلجوقية وغيرها، أما تلك التي لم تترجم فإنها ما زالت تنتظر من يتصدى لها مؤدياً بذلك خدمة جلّى للمكتبة التاريخية العربية.

أما هذا العمل الذي بين أيدينا فهو من المصادر العربية القليلة التي يقتصر موضوعها على التأريخ للسلاجقة. والمستغرب جدا ان هذا الكتاب

لم يحقق بالعربية حتى الآن رغم أنه ترجم وحقق بلغات أجنبية سيأتي ذكرها.

***

الكتاب، كما يرد اسمه في صفحته الأولى، هو « اخبار الدولة السلجوقية » وفي مقدمته « الصفحة ١ ـ ب » يرد اسمه على الشكل التالي: « زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ». ولعل الناسخ الذي أضاف من عنده المدخل ـ المقدمة هو الذي وضع العنوان الأول على الصفحة الأولى. فيما الاسم الأصلي هو الثاني وهذا ما أثبته كل من علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد الجويني (١٢٢٥ ـ ١٢٨٢) في كتابه « تاريخ جهانشكاي » بالفارسية[١] وكمال الدين بن العديم (١١٩٢ ـ ١٢٦٢) في كتابه « بغية الطلب في تاريخ حلب » [٢]. أما مؤلف الكتاب فهو كما هو وارد على الصفحة « ١ ـ ب »: « الأمير السيد الامام الأجل الكبير، صدر الدين أبو الحسن علي بن السيد الأجل الامام الشهيد أبي الفوارس ناصر بن علي الحسيني » وهو ما يؤكده الجويني في تاريخه عندما يقول: « إن سيد صدر الدين في زبدة التواريخ في وصفه لمآثر السلطان ارسلان. . . »[٣]. كما يؤكد كذلك نسبة الكتاب لصدر الدين ابن العديم حين يقول: « قرأت في منتخب من كتاب « زبدة التواريخ » للأمير أبي الحسن علي بن الشهيد أبي الفوارس ناصر بن علي الحسيني قال: لما استبد السلطان الب أرسلان بالأمر واستوى على سرير الملك (. . .) يعرض عن الكذب والبهتان »[٤].

---

(١) أنظر: « تاريخ جهانكشاي » للجويني، ٢/٤٤.

(٢) أنظر: « بغية الطلب في تاريخ حلب » لابن العديم، ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) الجويني ٢/٤٤.

(٤) ابن العديم، ٣٤ ـ ٣٥.

كما يورد اسم الكتاب واسم مؤلفه كل من: ريو[1] وبروكلمان أما نسخته الوحيدة حتى الآن ففي المتحف البريطاني تحت رقم ٥٥٠.

* * *

إن المعلومات المتوفرة لدينا عن مؤلف زبدة التواريخ، هي قليلة اجمالاً. إن آخر الأحداث التي يتناولها الحسيني في الزبدة هي وفاة الأتابك أوزبك ونهاية حكم سلالة أيلدكز وهذا حدث في السنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م). لذا من المرجح أن تكون وفاته بعد هذه السنة. أما تاريخ ولادته فيبدو من الصعب الحكم بترجيح تاريخ محدد لذلك. ومعظم المؤلفات الأخيرة تحدد السنة ٥٧٥ للهجرة [3]. إلا أن كارل زوسخايم، المستشرق الألماني، يرجح السنة ٥٥٢ هـ. ولعل هذا التاريخ هو الأرجح، حيث أن علاقته بالسلطان طغرل بك الذي قتل عام ٥٩٠ هـ يجعل من المستحيل أن يكون عمره آنذاك ١٥ سنة. ولابد أن يكون قد تجاوز هذه السنّ. وعلى هذا فإننا نرجح ولادته خلال أحد العقدين السادس أو السابع من القرن السادس للهجرة. أما مكان الولادة أو الوفاة فلا يتوفر لدينا ما يجزم بذلك، حيث أن الحسيني، على ما يبدو، عاش في أماكن عديدة. منها بغداد أيام الخليفة العباسي الرابع والثلاثين الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢ / ١١٨٠ ـ ١١٢٥) والذي يدعوه بـ « مولانا » (الصفحة ١٠١ ـ أ) ومنها خراسان التي يخصص عن عميدها محمد بن منصور النسوي فصلاً كاملاً (١٩ ـ أ، ١٩ ـ ب، ٢٠ أ، ٢٠ ـ ب)، ومنها خوارزم التي يحتمل أن يكون قد عاش فيها ردحاً من الزمن. وكتأكيد لهذه

---

(١) فهرس المخطوطات العربية، ريو، ٣٤٢ ـ ٣٤٤.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٦/ ٣٠.

(٣) بروكلمان ٦/ ٣٠، ريو ٣٤٢ ـ ٣٤٤، معجم المؤلفين رضا كحالة ٧/ ٢٥٢.

الصلة الجغرافية، عدا السياسية، نسبة مؤلف آخر للحسيني حول خوارزم هو « تاريخ خوارزمشاهي: للسيد الأجل صدر الدين » كما يورده حاجي خليفة[1]. ومن كتابه المحقق هنا، نستنتج أنه كان كثير التجوال، وهذا يتضح من طبيعة المعلومات والمشاهدات الحية التي يوردها حول أحداث السنوات الأخيرة من حكم السلاجقة، أو حول أحداث سابقة كان ما زال الذين عايشوها أحياء عند استنطاقهم من قبل الحسيني الذي كان يقصدهم حيث هم.

إن تأريخ الحسيني للملوك السلاجقة ولاسيما السلطان طغرل، وبهذه الروح الحميمة يجعلنا نظن أنه ولي منصباً مرموقاً، على صعيد الانشاء ربما، رغم أنه لا يذكر البتة عن أية مسؤولية أو منصب تولاه.

أما كتاب « زبدة التواريخ ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية » فيبدو أنه كتب في الربع الأول من القرن الثالث عشر للميلاد حيث أن آخر أحداثه تعود للسنة ١٢٢٥ م. ولكن بما أن الفصلين الأخيرين هما بمثابة إيجاز لما مر في الفصول السابقة عليهما، وبما أن الأحداث الفعلية تنتهي عام٥٩٠ هـ /١١٩٤م بمقتل السلطان طغرل واندثار دولة السلاجقة، فهذا مما يدعونا للاعتقاد أن الكتاب كتب خلال الربع الأول من القرن ١٣ م، وليس بعد السنة ١٢٢٥ م. أما الفصلين الأخيرين ـ المختصرين، فأما أن الحسيني نفسه أضافهما بعد السنة ١٢٢٥ م. وأما أنهما اضافة من قبل الناسخ وكلا الاحتمالين وارد. خاصة وأن المخطوط المنسوخ ربما كان مختصراً لكتاب « زبدة التواريخ » وهو ما يذكره فعلاً الناسخ في الصفحة ٥٩ ـ أ، والذي أكده ابن العديم نفسه في الكلام الذي أوردناه له آنفاً. لكن، بالمقابل، لا نعتقد أن الناسخ ذهب بعيداً في اختصاره. بل لعله اقتصر على القليل جداً مما لا يؤثر كثيراً أو قليلاً في السياق، وهذا يتضح

---

(١) أنظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة ١/٢٩٤.

من خلال النص المعروض، والمتسم ـ حتى ـ باسهابه.

* * *

يتناول كتاب « زبدة التواريخ » أخبار السلالة السلاجقة ودولتهم منذ بدايتهم الى نهاية حكمهم، اضافة إلى الفصلين الموجزين. والكتاب، ككثير من كتب التاريخ السالفة يتطرق الى سِيَر وأعمال السلاطين والملوك والأمراء وكبار العمال والوزراء، تبؤوهم السلطة، حروبهم، دسائسهم، عزلهم أو قتلهم... وهو لا يتعرض إلا لماماً، للتاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي. حتى الصراعات الدينية التي كانت إحدى السمات البارزة للامبراطورية الاسلامية، فإن صدر الدين الحسيني لم يشر إليها إلا عرضاً وبخاصة ما يتعلق بالاسماعيلية ومعقلهم قلعة أَلَمُوت .

تقع المخطوطة في ٢٢٣ صفحة مرقمة من ١ ـ أ الى ١١٢ ـ أ. ويرد فيها ٤١ عنواناً ـ فصلاً . يحتل حوالي ٣٠ فصلاً (حتى انتهاء حكم السلطان سنجر عام ١١٥٧) أقل من نصف المخطوطة. بينما تحتل تسعة فصول (إذا استثنينا الفصلين الأخيرين) حوالي نصفها. وهذا يُفَسَّر بالأحداث التي عايشها الحسيني بنفسه أو استقاها من معاصريها. وذلك على العكس من القسم الأول من المخطوطة والتي اعتمد فيها المؤلف على ما كتبه سابقوه ولاسيما كتاب « نصرة الفترة وعصرة الفطرة » للأصفهاني (ت ١٢٠١ م) والذي يذكره الحسيني نفسه في أماكن متفرقة من « الزبدة » (الصفحات ٣٩ ـ ب، ٤٣ ـ ب، ٥٥ ـ ب). ومن المصادر التي اعتمد عليها الحسيني كذلك وكذرها: كتاب « مآثر الوزير نظام الملك » (الصفحة ٤٠ ـ أ).

إلا أن ذلك لا يلغي أهمية المعلومات القيمة الموجودة في القسم الأول والتي لا تتضمنها مصادر أخرى كتلك المتعلقة بالعلاقات السلجوقية ـ البيزنطية وانتصار الب أرسلان على رومانوس ديوجين في ملاذكرت (١٠٧١)م

وحروب السلاجقة مع الجورجيين (الكرج)، وكذلك فيها يتعلق بجذور السلالة السلجوقية. . . الخ.

أما القسم الثاني من المخطوطة فيتميز بمعلوماته المباشرة والتفصيلية حول حكم السلاطين السلاجقة في العقود الثلاثة الأخيرة من حكمهم، لاسيما الفصل المتعلق بالسلطان طغرل الثالث الذي يمتد على مدى ١٣ ورقة كاملة (٩٦ ـ ب / ١١٠ ـ أ). إضافة لما سبق تتضمن « زبدة التواريخ » معلومات هامة عن المناطق الشمالية في إيران وأذربيجان وما وراء القفقاس، إضافة الى المعلومات الواردة المستقاة من مصادرها الأصلية حول التاريخ الاسلامي وشؤون الخلافة والوزارة وغيرها.

أما أسلوب صدر الدين الحسيني في كتابه « زبدة التواريخ » فيمكن اعتباره تقليدياً من حيث بيانه وبديعه: تكرار السجع، الاستعارات والتفخيم والمبالغة والكنايات والتشابيه. وجملته قصيرة وفكرته موجزة نسبياً. وهو على عادة العديد من مؤرخي تلك الفترة يستشهد بالشعر من وقت لآخر وإن كان أقل بكثير مما هو وارد لدى البيهقي والراوندي. وقد اتبع في تأريخه التسلسل الزمني. إلا أنه خلافاً للمدرسة العربية التقليدية في التأريخ ـ لم يعنون فصوله تبعاً للسنوات بل تبعاً لموضوع الفصل ـ خليفة أو ملكاً أو وزيراً أو حتى عاملاً (عميد خراسان: النسوي).

إلا أن صعوبات جمة تعترض المحقق وتتعلق أساساً بالنسخ الخاطيء أو غير المفهوم أو المطموس وعدم تنقيط كثير من الأسماء والكلمات. وهذه تتكرر بشكل تغطي كل صفحات المخطوطة. لذا لن نشير إلى شكل الكلمة في الأصل إلا في حالة احتمال الكلام لأكثر من معنى، أو عدم امكانية قراءتها. وذلك تلافياً لما وقع فيه محمد اقبال من إثقال الهوامش كلما مرت به كلمة مهملة التنقيط. كما أن طبع اقبال للمخطوطة كما هي دون وضع اشارات فصل وتوقف من فواصل ونقاط، كان من سلبياته

الواضحة. كما أن المخطوطة خالية أحياناً من حروف الوصل ومن « أل » التعريف. كذلك فإنها مليئة بالأخطاء اللغوية « الثابتة » من تأنيث في موضع التذكير ومن نصب في موضع الرفع وبالعكس. إلا أن متانة الصياغة عند المؤلف الحسيني تدعنا نعزو هذه الأخطاء الى الناسخ. ولتقويم سياق النصّ، فقد أضفنا ما بين [ ] من عندنا. كما أشرنا، في موضعه، عند اعتمادنا على ما ورد في كتب التاريخ. كما أن الناسخ التزم ما كان معتاداً في زمنه من حذف بعض الحروف من الكلمات مثل حذف الهمزة الأخيرة بعد الألف ممدودة كما في الكلمات على شاكلة « الأمراء » أو حذف الألف من كلمة « الحارث » تبعاً للقاعدة المعروفة منذ أول العربية، وقد بذلنا المستطاع، لتصحيح كل هذه الأخطاء والنواقص وغيرها الكثير، محاولين تقديم نصّ سليم، يخدم القارىء بدلاً من ارهاقه.

* * *

إن كتاب « زبدة التواريخ » لصدر الديني الحسيني، يمكن اعتباره مصدراً ضرورياً لدارسي الفترة السلجوقية، سوية مع ما كتب باللغات الأخرى. من هنا أهمية نشره وطبعه مضبوطاً ومصححاً ومحققاً، للباحثين العرب.

إن أول من أشار للمخطوطة هو المستشرق هوتسما في مقدمته لـ « مجموع نصوص عائدة لتاريخ السلاجقة » عام ١٨٨٦[١] وذلك بعد أن لفت نظر إليه المستشرق م. رايت في كامبردج الذي أرسل له نسخة عن المخطوط.

عام ١٩٠٨، قام المستشرق آميدروز بنشر تاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي المعروف بـ « ذيل تاريخ دمشق ». واستعان في الحواشي بالعديد من كتب تلك المرحلة مثل تاريخ ابن الأزرق و الفارقي، وتاريخ سبط ابن الجوزي وتاريخ الحافظ الذهبي. ومن الكتب التي قارن معها كذلك كتاب

---

(١) أنظر هوتسما: الجزء الأول، الصفحتان: IX, X.

الحسيني « زبدة التواريخ » وذلك في العديد من المواضع[1]. وعام ١٩١١ نشر المستشرق الألماني كارل زوسخايم دراسة مفصلة عن « الزبدة » اعتمد عليها الى حد كبير محمد اقبال في مقدمته التي كتبها عند نشره المخطوط لأول مرة باللغة العربية في لاهور عام ١٩٣٣. إن الجهد الذي بذله إقبال في ضبط وتصحيح المخطوط جهد ملحوظ لكنه اكتفى - كما يذكر هو نفسه « بالاعتناء وبتصحيح » المخطوط. وهو كذلك، لم يتجاوز تصحيح النص الى « تحقيقه » . حتى في « تصحيحه » للنص وقع في مغالطات لغوية وعدم « استقراء » صحيح للنص أحياناً كثيرة ، وهو ما حاولنا ، جهدنا ، تقويمه في عملنا هنا . أما في تقويم السياق فاعتمد اقبال بشكل أساسي على كتاب الاصفهاني الذي اختصره البنداري وأحياناً على ابن الأثير وغيره . وباستثناء الضبط اللغوي للنص وتقويم السياق أحياناً قليلة ، اعتماداً على البنداري وبعض المؤرخين غيره ، فان تناول النص بالتحقيق ، أمر لم يتصدّ له اقبال بتاتاً .

عام ١٩٤٣ قام التركي نجاتي لوغل بترجمة « الزبدة » إلى اللغة التركية استناداً الى طبعة إقبال، دون ترجمة الاشعار. لكن هذه الترجمة تتضمن أخطاء كثيرة في أسماء الاعلام والأماكن، كما أن العديد من المؤرخين استندوا بنسبة أو بأخرى على ما ورد في « الزبدة » أمثال: السوفياتيين كيكنازده وشنكيلي، كذلك فيغورسكي ويوسفورت. وهو ما أورده المستشرق السوفياتي ضياء الدين بونياتوف الذي قام بترجمة « زبدة التواريخ » إلى اللغة الروسية وتحقيقها واصدارها مع صورة كاملة للمخطوطة، في موسكو عام ١٩٨٠[2]. وكما يقول بونياتوف فإن « إصدار الترجمة الروسية قضية آنية ملحة، إذ الكتاب مصدر قيّم لدراسة تاريخ

(١) أنظر ذيل تاريخ دمشق للقلانسي، الصفحات: ١٢٩، ١٥١، ٢٣٨، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٤٣، ٣٦٢، ٣٦٤.

(٢) أنظر بونياتوف: ص ١٦ من المقدمة العربية.

دول آسيا الوسطى وشمال الهند (السلاجقة والغزنويون والقرخانيون والخوارزمشاهية) وايران (دول أتابكة فارس وامارات الأمراء السلاجقة وغيرهم) والعراق (خلافة بغداد وأتابكه) ويلقي أضواء على حوادث الفترة المتأخرة التي لم تدرس حتى دراستها »[1].

والواقع أن الترجمة الروسية كانت محيطة بالمعنى وجيدة، كما أن التحقيق الذي قام به بونياتوف يمتاز بدقة وعلمية و « حيادية » نفتقدها في كثير من الدراسات الاستشراقية، لاسيما الغربية منها. ومما يضفي أهمية على تحقيقه هو تلك المعلومات الجديدة والهامة التي استقاها من مصادر جورجية وأرمنية وغير عربية لا تتوفر في المكتبة العربية. كما أن بونياتوف استعان بمؤلفات عربية لم تنشر جزئياً أو كلياً لسبط ابن الجوزي. كما أن الترجمة التركية لكتاب مختصر تاريخ الدول لأبن العبري، تختلف كلية عن الترجمة العربية المختصرة. وقد صدرت هذه الترجمة في أنقرة عامي ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ في مجلدين وقام بها عمر رضا دوغرول. وهو ما جعلنا نشير الى ذلك عند ورودها في سياق التحقيق[2].

* * *

بعملنا التحقيقي هنا، نأمل أن نكون قد رفعنا قطعة من ذلك الحجاب السميك والكبير، المسدل على وجه حضارتنا وتاريخنا، بانتظار اليوم الذي يشرق فيه هذا الوجه كاملاً: عزيزاً وحراً.

د. محمد نور الدين

بيروت، كانون الثاني ١٩٨٤

---

(١) بونياتوف: ص ١٧.

(٢) أنظر فهرس المصادر غير العربية.



بسم الله الرحمن الرحيم

رب [illegible] ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا

ذكر ما [illegible] السيد الإمام الأجل الكبير صدر الدين أبو الحسن

علي بن [illegible] الأجل الإمام الشهيد أبو الفوارس ناصر بن

علي الحسيني [illegible] في كتابه الذي سماه زبدة التواريخ [illegible]

الأمراء والملوك السلجوقية

ذكر أن أول من دخل في الإسلام منهم الأمير [illegible]

[illegible] باللغة التركية القوس من الحديد وكان تقاق [illegible]

[illegible] صاحب رأي وتدبير وكان ملك الترك [illegible]

[illegible] وكان [illegible] صائب رأيه وتدبيره وكان لا [illegible]

[illegible] بجمع العساكر ذات يوم [illegible]

الإسلام [illegible] الأمير تقاق عن ذلك فكشف ملك الترك [illegible]

وجه [illegible] ما طال [illegible] مرأسه وأما وجه ملك الترك

[illegible] فاشتد الأمير تقاق واعتصم [illegible]

[illegible] الملك [illegible]

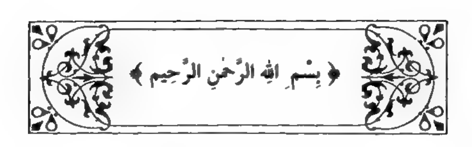
[illegible] عليه [illegible]

الأمير تقاق واسترضاه وكان ملك الترك [illegible]

[112 a]

مقامه في الاتابكية ابنه شمس الدين محمد البهلوان
وهو اخو السلطان ارسلان شاه لامه فلما مات قام
مقامه في منصب الاتابكية اخو البهلوان من والدته مظفر الدين
قزل ارسلان وقبض على طغرل بن ارسلان شاه بن طغرل
وقيده وحبسه في قلعة من قلاع اذربيجان ثم خرج السلطان
طغرل من محبسه وتملك البهلوانية فلما قتل في حرب
خوارزمشاه علاء الدين تكش بن ايل ارسلان في سنة تسعين
وخمسمائة اختلف الممالك في مدة يسيرة ثم زالوا كذلك
الى ايام السلطان جلال الدين منكبرني بن السلطان علاء الدين محمد
بن تكش حتى بقي منهم اوزبك في طاعته وهو ومات
وانقضت دولة بني ايلدكز جملة واحدة فسبحان من لم يزل
تم الكتاب بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد





« أ » ربّنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيّىء لنا من أمرنا رشداً .

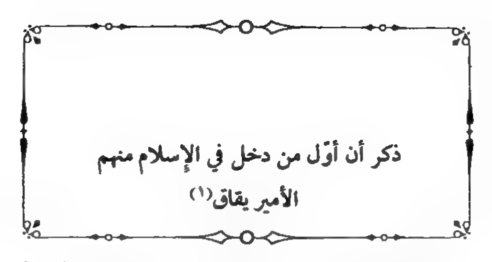
ذَكَرَ الأمير السيّد الإمام الأجلّ الكبير ، صدر الدين أبو الحسن علي ابن السيّد الأجلّ الإمام الشهيد أبي* الفوارس ناصر بن علي الحسيني ، رحمه الله ، في كتابه الّذي سمّاه :

زبدة التّواريخ ، أخبارَ الأمراء** والملوك السّلجوقيّة .

---

* في الأصل : أبو .

** جميع الكلمات التي تنتهي بألف وهمزة مكتوبة في الأصل بدون الهمزة . ونظراً لكثرتها فلن نشير اليها عند تصحيحها .



ذكر أن أوّل من دخل في الإسلام منهم الأمير يقاق[1]

ويقاق باللّغة التّركية ، القوس من الحديد . وكان يقاق رجلاً شهماً ، صاحب رأي وتدبير ، وكان ملك التّرك ألقى في يديه زمامه ، وكان يستضيء بمصباح رأيه وتدبيره ، وكان اسم ملك التّرك يبغو[2] ، فاتّفق أنّه عبّىء عساكره ذات يوم ليتوجّه تلقاء بلاد الإسلام ، فنهاه الأمير يقاق عن ذلك ، فكشف ملك التّرك يبغو وجه المخالفة ، فأطال يقاق مراسه ، ولطم وجه ملك التّرك ، [الذي أمر]* بأخذه وتقييده . فاشتدّ الأمير يقاق واعتصم بحبل [الله]* . فتفرّقوا عنه وحملوا الملك الى داره ، [فسكن مثل]* الضّبع في وجاره ، وتحيّر في تدبيره ورأيه ،

---

* الأصل مطموس غير مقروء .

(١) يقاق: اسم مقدم السلاجقة وصل إلينا بصيغ مختلفة . ابن الأثير (١٦٢/٩) يذكر على أنه تقاق ومعناه القوس الحديدي . ابن العبري (٢٩٢/١) يورده: تقاق الذي من أجل قوّته لُقّب بتيمور ياليق أي السهم الحديدي . عند ابن خلكان (وفيات الأعيان ٢٢٤/٣، ٢٢٩): دقاق . عند ابن الوردي ٤٨١/١ : تقاق .

(٢) يبغو: لقب السلطان الأعلى عند الترك الغربيين (القاموس التركي القديم ص ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٩). تبعاً للأساطير الأويغورية فإن يبغو علي هو ملك الترك الأويغوريين. (ميرهوند ٤٥٠) وكان في القرن العاشر حاكماً ليانغي كِنْت، إحدى ثلاث مدن تركية في آسيا الوسطى (الأخريتان: جند وخوار). أما يبغو علي، المذكور هنا، فهو أبو الفوارس شاه ملك ابن علي (المتوفى سنة ٩٩٨ م) الذي كان حاكم مدينة الجند . وحول خدمته عند ملك الترك ذكرٌ في ابن الأثير (١٦٢/٩) وأبو الفداء (١٦٣/١١) وغيرهما.

واختار المسير الى منزل الأمير يقاق واسترضائه. وكان ملك التّرك يبغو يسرّ كيده «٢ ـ أ» في ضميره، حتىّ قضى نحبه الأمير يقاق. لمّا بلغ الأمير سلجوق بن الأمير يقاق أشدّه، فوّض اليه ملك التّرك إمارة الجيش ولقّبه بسوباشي. وسوباشي عندهم قائد الجيش[1]، وامرأة ملك التّرك كانت تخوّف زوجها الأمير سلجوق بن يقاق، وتمنعه من أن يُسبل لضبعه*، ويبسط من ذرعه. وكانت لا تستتر عنه فقالت يوماً لزوجها: الملك عقيم، ولا يحتمل المشاركة ولا يصفو لك مشرب الملك إلاّ بقتل سلجوق، ولا يسفر صباح دولتك إلاّ بأن تذيقه كأس الحمام، فإنّه عن قريب يُزعجك عن دار ملكك، ويسعى في هلكك[2]. وذلك بمرأىً من الأمير سلجوق وبمسمع، فركب الأمير سلجوق وتوجّه مع خيله وجنده تلقاء ديار الإسلام[3]. وسعد بالدّين الحنيفي[4]. واختار نواحي جند

---

* الضبع: وسط العضد. انظر: لسان العرب، مادة: ضبع. والمراد الأّ يطيل يده في الأمور.

(١) السوباشي: قائد عسكري، أو المقدم (ابن الأثير ١٦٣/٩). كان السوباشي غالباً ما يتدخل في شؤون الدولة ويقف معارضاً بوجه الحاكم الأعلى يبغو. يلي السوباشي رتبة: طرخان، يينال، يغروش (ياغليز).

عند وفاة يقان كان عمر سلجوق ١٨ عاماً. لكن أغاجانوف (١٧٠ ـ ١٧٢) يفترض أن سلجوق ويقان هما شخص واحد وأن يقان لقب لسلجوق الذي كان يلقب كذلك بـ تمير يايليغ. غير أن اجماع كل المصادر الأخرى على أن يقان هو والد سلجوق يجعل من الصعب قبول افتراض أغاجانوف.

(٢) ابن العبري (٢٩٢/١) يردف بأنها كانت تقول: إذا كان هذا الفتى يُظهر منذ الآن استقلالية تجاهنا فكيف حين يكبر ويبلغ سن الرشد. أنظر كذلك ابن الأثير(١٦٢/٩).

(٣) في ابن العبري (٢٩٢/١) أن سلجوقاً جمع حوله سراً أفراد قبيلته واصطحب معه عدداً كبيراً من الإبل والخيول والأغنام وانتقل، بحجة عدم كفاية المراعي، من طوران، أي بلاد الترك، إلى إيران. وذلك بحدود السنة ٣٧٥ هـ.

(٤) في ابن العبري (٢٩٣/١) أن سلجوقاً قال لقبيلته بأنهم اذا لم يعتنقوا دين البلاد التي ينزلون فيها، وهو الاسلام، فلن يقدروا الاستمرار وأن يكونوا موضع احترام. وإذ اتخذ

فطرد منها عمّال الكفرة[1] فمكن فيها . وعاش الأمير سلجوق ماية سنة[2]. ورأى في منامه ذات ليلة أنّه يبول* ناراً يتلظّى شرارها في مشارق الأرض ومغاربها ، فسأل المعبّر فقال : سيولد من نسلك ملوك يملكون أقاصي الأرض . وتوفّي الأمير سلجوق بجند وخلّف أولاداً وهم : الأمير ميكائيل ، والأمير موسى ، والأمير يبغو ارسلان المدعوّ اسرائيل[3] . وكان مسكن هؤلاء الأمراء ممّا وراء النّهر في موضع يسمّى « ٢ ـ ب » بنور بخاري[4] . وكان الأمير ميكائيل بن سلجوق في خدمة

---

* في الأصل : يقول ، وفوقه : يبول .

= السلاجقة قراراً بذلك أرسلوا إلى المدينة الخوارزمية « زنداك » الواقعة قريباً من مراعيهم وسألوا واليها أن يرسل لهم عالماً دينياً. فأرسل لهم هذا مبشراً مع هدايا كثيرة للمعتنقين الجدد (كذا). وأقاموا هنا سنين طويلة وتكاثر عددهم. وكان اعتناقهم الاسلام بحدود السنة ٣٨٢هـ. (٩٩٢ م). أنظر العتبي (١/١٧٦).

(١) بعد اعتناقهم الاسلام، قام سلجوق وجماعته بملاحقة عمّال يبغو في مقاطعة الجند ومنعوه تحصيل الضرائب من السكان. بعد فترة قصيرة تلقى سلجوق لقب الملك الغازي. ابن الأثير (٩/١٦٣).

(٢) حسب ابن الأثير (٩/١٦٣) عاش سلجوق ١٠٧ أعوام.

(٣) في رشيد الدين (٢/٥، ٥) كان لسلجوق خمسة أولاد: إسرائيل، ميكائيل، موسى ـ يبغو، يوسف ويونس. في ابن العبري (١/٢٩٣) ـ ميكائيل، موسى ـ يبغو، ارسلان. في الراوندي (١٤٦) ـ اسرائيل، ميكائيل، يونس وموسى ـ يبغو.

يلفت النظر هنا الأسماء التوراتية لأبناء سلجوق والتي يرجعها البعض إلى أصل مسيحي. دانلوب (DUNLOP) (٢٦٠ ـ ٢٦١) يرجعها إلى أصل يهودي وهي، عند المسلمين، مقتبسة، ويردّ دانلوب سبب الظاهرة إلى تأثير اليهودية في أوساط الخزر الذين كان الغز تحت سيطرتهم. زكريا القزويني (٥٨٧) يذكر أن الغز أمة عظيمة من الترك. وهم نصارى وعندهم بيت للعبادة. دانلوب (٢٦١) يفترض أن هذا ربما كان كنيساً.

(٤) قبل طرد عمال يبغو على من الجند فإن السلاجقة كانوا يحاولون استغلال العداء بين السامانيين (٨١٩ ـ ١٠٠٥) حكام خراسان وما وراء النهر، وبين الكاراخانيين (٩٩٢ ـ ١٢١١) الذين يسيطرون على قسم من ما وراء النهر وتركستان الشرقية.

عند أخذ الكاراخان صاتوف بغرا ـ خان عبد الكريم (توفي في ٩٥٥ ـ ٩٥٦ م) بخارى =

السّلطان الغازي يمين الدّولة أبي* القاسم محمود بن سبكتكين[1] ، تغمّده الله بمغفرته ، واتّفق أنّ السّلطان يمين الدّولة محمود بن سبكتكين عبر نهر جيحون الى بخارى ، لمساعدة قدر خان ، فخرج على أحياء هذه القبيلة المعروفة بالقنق وخركاواتها** فاستكثر حاشيتها واستعظم

---

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : خركاونها .

= من السامانيين، أرسل سلجوق ابنه أرسلان لمساعدة الأخيرين . غارديزي (٦٤) يشير إلى مساعدة سلجوق للملك الساماني اسماعيل الثاني نوح المستنصر (١٠٠ ـ ١٠٠٥ م) عام ١٠٠٣ و ١٠٠٤ ضد ايلك خان نصر . ابن الأثير (١٦٣/٩) وغارديزي كذلك (٤٩ وما يليها) .

في مطلع عام ١٠٠٥ سقطت دولة السامانيين وتوزعت أراضيها بين الكاراخانيين والغزنويين. في هذا الوقت على الحدود مع العالم الاسلامي كان السلاجقة يقطنون ويعقدون حلفاً مع المسلمين. هكذا تزوج أرسلان من ابنة الحاكم الكاراخاني في بخارى علي تكين بن غراخان، وأرسل أولاد ميكائيل ـ أبا طالب طغرل بك محمد وأبا سليمان جغر بك داود ـ من قبل ارسلان للخدمة عند علي تكين واستوطنوا في نور بخارى . البنداري (٥)، ابن الأثير (١٦٣/٩)، ابن الجوزي (٢٣٣/٨)، الجوزجاني (١١٨/١) .

تقع نور (الآن نور عطا) في شمالي بخارى وهي ذات موقع استراتيجي ذي رباطات عديدة . أنظر ياقوت (٣١٠/٥) .

(١) ناصر الدولة سبكتكين (٩٧٧ ـ ٩٩٧ م) كان من الكفرة الأتراك. اشتراه في نيسابور سباهسلار الساماني ألب تكين. تدرّج بسريعاً في خدمة الملك الساماني منصور الثاني (٩٩٧ ـ ٩٩٩) . وتوجه سوية معه إلى غزنة حيث خدمه بنشاط. وكان لتنازل الملك الساماني الأخير بيري عن السلطة لسبكتكين أن أصبح هذا الأخير أميراً لغزنة في ٢٠ نيسان ٩٧٧. (الجورجاني ٧٣/١ ـ ٧٤. وبارتولد ٣٢٢/١). عام ٩٩٤، بعد انتصارات لامعة في أفغانستان والهند، هزمَ سبكتكينُ على رأس جيش ساماني قرب ابيوارد، جيشَ خوارزمشاه أبي علي مأمون الأول (٩٩٢ ـ ٩٩٧) والذي نال إثرها لقب ناصر الدولة والدين وابنه محمود لقب ـ سيف الدولة. أنظر العتبي (١٨٠/١ ـ ١٩٩).

أما السلطان محمود (٩٩٨ ـ ١٠٣٠) فهو ممثل عظيم لدولة الغزنويين وقائد ورجل سياسة قدير. أعلن استقلاله عن السامانيين والولاء للخليفة القادر (٩٩١ ـ ١٠٣١) الذي منحه منشوراً بتوليته بلاد خراسان ولقب ـ ولي أمير المؤمنين، يمين الدولة، أمين الملّة. وبسبب=

ماشيتها وتخوّف معرّتها ، وخشي مضرّتها ، واستدعى مقدّمها الأمير ميكائيل بن سلجوق وندبه الى الخروج في أهله وقبيلته الى اقليم خراسان[1] . فأظهر الأمير ميكائيل الامتناع من الانتقال ، فغاظ ذلك السّلطان يمين الدّولة محمود بن سبكتكين ، فأمر به فقبض عليه وعلى جماعة من أعيان قومه ، واعتقلهم وأمر بترحيل الأحياء مجبورين . فقال له الحاجب ارسلان[2] : إنّي لأرى هؤلاء أولي بأس وشدّة ، والرّأي أن تقطع ابهام كلّ من يعبره منهم ، لتؤمن مضرّته ولا تخشى خيانته ، فقال له السّلطان : كيف افعل هذا بالمسلمين من غير جريمة محقّقة ، انّك لقاسي القلب . ولمّا كمل عبورهم النّهر واستقرّوا بخراسان ، أطلق لهم السّلطان محمود بن سبكتكين الأمير ميكائيل ، وأرسله « ٣ ـ أ » اليهم

= قتله للداعي الفاطمي طاهرتي وابادته لفرقة الاسماعيلية منحه القادر لقب نظام الدين وناصر الحق.

عند تولي السلطنة ابن محمود: المسعود (١٠٣١ ـ ١٠٤١) امتدت امبراطورية الغزنويين من لاهور حتى سمرقند واصفهان. وكان مسعود يلقب بناصر دين الله، حافظ عباد الله، ظهير خليفة الله . . .

(١) في ابن الأثير (١٦٣/٩) أن ميكائيل بن سلجوق مات في معركة مع التركمان. هنا يخلط مؤلفنا (الحسيني) بين ميكائيل واسرائيل ولهذا يجب أن يحل اسم اسرائيل محل ميكائيل في سياق الحدث.

عام ٤١٦ عقد السلطان محمود مع حاكم كاراخان الشرقية قدرخان يوسف حلفاً ضد أخيه علي تكين بهدف أخذ ما وراء النهر. وهو على الطريق إلى بخارى التقى محمود بجماعات للسلاجقة. من المحتمل أن محموداً، تخوّفاً من حلف بين السلاجقة وعلي تكين، قرر توطين السلاجقة في خراسان حيث بامكانهم ، حسب ظنّه ، الوقوف كحرس مدافعين عن حدود الدولة الغزنوية . الراوندي (١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨) ، البنداري (٩١ ـ ٩٢) ، الجوزجاني (١١٨/١) .

(٢) الحاجب (في الراوندي :جازب)أرسلان : أبو الحارث ارسلان ـ قائدجيش السلطان محمود. كان والياً على طوس وخراسان.

مكرّماً . فتقرّب الى عميد خراسان ، وهو أبو سهل ، [1] وأهدى اليه ثلاثة أفراس ، وعشرة أجمال من البُختية ، وثلثمائة رأس من الغنم . وسأله أن يُنزلهم مرجاً من مروج خراسان ، فأنزلهم مرج دندانقان[2] ، فأقاموا فيه .

توفّي السّلطان الغازي يمين الدّولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، تغمّده الله بمغفرته ، في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وهو نادم على [انزال] الأتراك ، أصحاب أولاد سلجوق في بلاده ، خائف منهم كاره لمكانهم [3] ، فلمّا توفّي السّلطان محمود ، مَلَكَ ولدُه أبو سعيد مسعود بن محمود بن سبكتكين . فسيّر اليهم جيشاً من غزنة ، فقاتلوهم فانهزموا بين يديه ، وأسر منهم وقتل منهم عدّة كبيرة . وأسر مقدّماً كبيراً لهم ، يقال له : الأمير يبغو ارسلان المدعوّ اسرائيل بن سلجوق ، فأرسلوه الى غزنة ، فاعتقلوه في بعض القلاع وتوفّي فيها . وخلّف ولدين الواحد منهما قطلمش[4] . ثمّ أنّهم استعطفوه فلم يعطف ، واستسعفوه فلم يُسعف ، ولمّا غلق* رهنهم ، وتوثّق سجنهم ، شربوا كأس اليأس ،

---

* في الأصل : علق .

(1) عميد خراسان هو أبو سهل أحمد بن الحسن الحمدوني (في البيهقي الحمدوي). أنظر البنداري (٥).

(2) في الأصل: دن دانقان. حول دانـدانقان أنظر ياقوت (٢/٤٧٧).

(3) في الجوزجاني (١/١١٩ وما يليها) ان السلطان محمود عَبَر جيحون مع ٤ آلاف عائلة سلجوقية بقيادة أمرائهم ـ يغمور، بغا، كوكتاش، قزل، منصور، أناس أوغلو (أغل) ـ وأسكنهم في أجزاء مختلفة من خراسان ـ في فراوه، سرخس وابيوارد ـ أنظر غارديزي (٨٤ ـ ٨٥)، النيسابوري (١٣ ـ ١٤)، البنداري (٥)... وهؤلاء السلاجقة بينهم « التركمان العراقيون » الذين يتحدث عنهم البيهقي وابن الأثير. سمّوا هكذا لأنهم كانوا يسكنون في عراق فارس حيث بقيت منهم مجموعات مستقلة كبيرة.

(4) الأحداث هنا تعود، في مصادر أخرى، الى عهد السلطان محمود. أما حدوثها في عهد

مسعود فيشير إلى ذلك البندري (٦ ـ ٧) ومؤلفنا (الحسيني) . يكتب الراوندي أن السلطان محمود لما عرف بقوة أرسلان (اسرائيل) امتنع عن مواجهته. ويردف نقلا عن لسان ارسلان قوله إنه إذا كان عند السلطان محمود فِيَلة فنحن عندنا سهام وإذا حصلت الحرب بيننا فنَحن كفيلون بتحويل عسكره إلى مناخل. في غاردبزي (٦٦) إن أرسلان (اسرائيل) لم يبد أية مقاومة للسلطان وهرب منه الى الصحراء. لكن ألقي القبض عليه فيما بعد. وكان الكلام قد شاع حولَ هرب حليف ارسلان ـ علي تكين. لكن تبين أن ابن سلجوق ـ اسرائيل وجماعته قد هربوا الى الصحراء واختبأوا في الرمال. فأرسل وراءه السلطان محمود فرقة اكتشفت مكانهم واقتادتهم عند السلطان.

في مصادر أخرى أن السلطان محمود كان يدرك جيداً قوة السلاجقة الكثيري العدد. لذا قرر، بالحيلة، أن يقبض على أرسلان بأن أرسل اليه رسولاً يخبره قيام محمود والمسلمين بحملات مستمرة الى الهند وأن كثيراً من الناس في بلاد الاسلام يشاركون في هذه الحملات وأنه (أي السلطان محمود) لا يرى أحداً منهم (السلاجقة) يظهر رغبة بالمشاركة في هذه الأعمال المباركة ولا أرسلوا طلباً بهذا الخصوص لذا فهو مندهش جداً ويأمل أن يتأسس بينه وبينهم ودٌ وصداقة وبما أن المسافة الآن بينهم كبيرة فإن الحاجة أن يرسلوا قائدهم ليتباحثوا بهذه الضرورات.

ما إن علم السلاجقة بمضمون الرسالة حتى انطلقوا على رأس عشرة الآلاف فارس بقيادة إسرائيل عند السلطان. عندما علم محمود بهذا الجيش أرسل رسالة ثانية يذكر فيها لاسرائيل أنه لا حاجة الآن لهذا الجيش وليأتِ لوحده. فتوجه عندها هذا الأخير بثلاثمائة فارس فقط. رشيد الدين (١١/٥، ٥)، الراوندي (١٤٨). إذ قدم أرسلان الى سمرقند قبل الأرض أمام السلطان محمود الذي « بالغ في اكرامه وأجلسه على العرش الى جواره وعُني بتقريبه والترحيب به والاهتمام بأمره ثم قال له في أثناء الحديث: « عندما نذهب إلى بلاد الهند لغزو الكفار يلزمنا جيش جرار نسير به الى هذه الديار، وينتج عن ذلك أن بلاد خراسان تبقى معطلة مهملة، ولي رغبة في أن أعقد معكم ميثاقاً وتحالفاً على أنه إذا خرج عليَّ عدوٌ أو ثار ثائر واحتجت الى مددٍ استعنت بخليكم وفرسانكم ». وأجاب اسرائيل قائلاً: « لن يكون منا تقصير عن خدمتكم . . » وقال محمود: « وإذا عرضت لنا حاجة فبأي امارة يصلنا مددٌ . . . وما مقدار عدده!؟ ».

وكان اسرائيل يعلق قوسه في ساعده. ويتدلّى في رباط ردائه سهمان، فأخذ سهماً منهما وأعطاه لمحمود وقال له: « أرسل هذا السهم الى جندنا إذا عرضت عليك حاجة الينا يأتك منا مائة ألف فارس. . . ». قال محمود: « وإذا لم يكف هذا العدد أيضاً فماذا نفعل. . .؟! » فتناول اسرائيل السهم الآخر وقدمه إلى محمود وقال: أرسل هذا السهم الى جبل بلخان يأتك على الفور خمسون ألف فارس غيرهم. . . ». قال محمود: فإذا لم يكف

ونشأت الشّحنة بينهم ، وطمع فيهم كلّ من لا يدفع عن نفسه . فأسرى اليهم شحنة السّلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين على « ٣ - ب » طوس ، ليستاق ماشيتهم(١) .

= هذا العدد أيضاً فماذا تصنع . . ؟ » عند ذلك ناوله اسرائيل قوسه وقال: « أرسل هذه امارة الى تركستان يأتك إذا شئت مائتا ألف فارس » .

أنظر رشيد الدين (١١/٥، ٨٩)، الراوندي (١٤٨).

هذا الحوار أظهر لمحمود أية مخاطر ضد الغزنويين يشكلها السلاجقة. لذا قرر أن يحسم معهم الأمور فألقى القبض على اسرائيل وسجنه في قلعة كاليجار (ابن الأثير ١٦٣/٩، الراوندي ١٤٩) وحسب النيسابوري (١٢) تقع هذه القلعة في ملتان. وفي ياقوت (٤٧٨/٤) أن كاليجار (كليجرد) « قلعة حصينة عظيمة بين خوزستان واللُّر، بينها وبين أصبهان مرحلتان ». في غارديزي (٨٤ - ٨٥) أن الغزنويين بعد اعتقالهم لارسلان - اسرائيل خرّبوا وشتتوا شمل العشائر السلجوقية .

كان اعتقال أرسلان عام ١٠٢٥ م وأمضى في السجن ثماني سنوات. وقد حاول إثنان من التركمان من فُرسانِهِ واللذين يشتغلان بالسقاية وحمل الماء إلى هذه القلعة تهريبه. لكن المحاولة فشلت رغم ابتعادهما به عن القلعة مسافة. وإذ كشف أمرهم قال اسرائيل للتركمانيين: « اقطعا الأمل في تخليصي واذهبا الى أخوتي وقولا لهم: « اجتهدوا في طلب المُلك ولا تيأسوا ولو أصبتم بالهزيمة عشرات المرات وحذار أن تتراجعوا فإن السلطان محموداً ما هو إلا ابن عبد لا نسب له، وهو رجل غدّار لن يبقى الملك له وستدول دولته على أيديكم ». الراوندي (١٥١)، البنداري (٥)، رشيد الدين (٥١١ ، ٩ - ١١) . توفي أرسلان في المنفى سنة ١٠٣٢ م.

يكتب فاردان (١١٨) أن محموداً عبر نهر جيحون إلى أراضي كاشان، حيث أخذ عدداً كبيراً من الأسرى إلى خراسان. وفي مكان آخر (١٢٠) يذكر فاردان أنه عندما عاد محمود بانتصار كبير أخذ معه الأميرالتركي يبغو أرسلان إلى خراسان وقيده بالسلاسل. عندها قدم شعبه طالبين عودة يبغو. لكنهم لم يعيدوه.

(١) بعد وفاة أرسلان بقي القسم الآخر من السلاجقة في محيط بخارى، لكن هؤلاء أيضاً تعرضوا لقمع السلطان محمود. بعد هذا بدأ السلاجقة، وبكثافة، استيطان خراسان، الأمر الذي عارضه شحنة خراسان أبو الحارث أرسلان حاجب، لكن السلاجقة، للتخلص من ضغوط الشحنة، توسطوا عميد خراسان أبو سهل الحمدوني الذي منحهم، مقابل هدايا وافرة، مراعٍ كثيرة في محيط دندانقان. غارديزي (٧١). =

ثمّ توفّي الأمير ميكائيل بن سلجوق وخلّف من الأولاد الأمراء : يبغو ، وجقربك داود[1] ، وطغرلبك محمّد . فاجتمعت القبائل والأتراك على ولده أبي* طالب طغرلبك ، وهو الأكبر من بني أبيه[2] . فلمّا سمع السّلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين بكثرة شوكتهم ، واستيلائهم على

---

* في الأصل : أبو .

= بعد موت السلطان محمود جاء إلى السلطة السلطان مسعود (١٠٣٠ - ١٠٤١) الذي ألحق بالجيش مجموعات سلجوقية تابعة ليغمور وبغا وقزل كوكتاش. وعلى رأس هذا الجيش وُضع حاجب القصر خومارتكين طورشاه. (البيهقي ٤٦٢). هذا الجيش الذي شكل لغايات انتقامية أُرسل إلى بلوجستان. لكن العساكر السلجوقية لم تتلق أية مرتبات وهذا آثار استياءها من قادتها الغزنوية فقرروا التآمر على السلطان مسعود الذي ألقى القبض عليهم وقتلهم مما زاد في نقمة السلاجقة. وفي أعوام ١٠٣١ م، ١٠٣٣ و ١٠٣٤ شن السلاجقة عدة حملات في فراوة وغرغان والهند وخراسان وسرخس. لكن هذه الحملات قُمعت بوحشية. (غارديزي ٩٨).

(١) أرطاش يبغو كان ابن يوسف يينال.

اسم جقر بك (جقر : ذو العينين الرماديتين) ممكن الوجود. لكن كل الباحثين يقرأون الاسم جغر بك (جغر : صقر) (٩٩٠ - ١٠٦٠).

(٢) في مطلع آيار ١٠٣٥ توجه السلاجقة في عشرة آلاف فارس تحت قيادة طغرل بك واخوته من مرو إلى نسا . وأرسلوا إلى عميد خراسان أبي الفضل ابن المعزّ السوري رسالة هذا نصها (البيهقي ٥٠٣ - ٥٠٤):

« إلى حضرة الشيخ الرئيس الجليل السيد مولانا أبي الفضل سوري من العبيد يبغو وطغرل وداود موالي أمير المؤمنين. لقد استحالت علينا الاقامة في بخارى، في بلاد ما وراء النهر. فقد كادت صلتنا بعلي تكين إبان حياته صلة مجاملة وود وصداقة، واليوم وقد مات وآل الأمر الى ولديه وهما طفلان طائشان قد استولى عليهما وعلى الدولة والجيش والسبهسلار قونش قائد والدهما، وقد عادانا حتى استحال علينا العيش هناك. وانما خوارزم مضطربة أحوالها بعد قتل هرون، مما يجعل مسيرنا اليها متعذراً، ولذلك جئنا نلوذ بسلطان العالم ولي النعم ليكرمنا الشيخ سوري ويكتب الى الاستاذ الرئيس أحمد عبد الصمد ليكون شفيعا لنا عند السلطان فإنه يعرفنا وكنا بفضل وساطته نقيم كل شتاء في ولاية خوارزمشاه التونتاش رحمة الله عليه، نحن ورجالنا وأنعامنا حتى الربيع، لعل السلطان يقبلنا عبيداً له، فيقوم أحدنا بالخدمة في الدركاه وينفذ الآخران ما يأمر به السلطان من خدمات، =

البلاد ، ركب أجنحة* الرّياح ، وورد نيسابور[1] . وقال له الـوزير : طيّبْ قلوبَ السّلجوقيّة بـالاستمالـة والخلع ، وأطعمهم نسا وحـدودها ، ورباط فراوة وغيـر ذلك . فاتّهم السّلطانُ مسعود بن محمود الوزيـرَ بالميـل الى السّلجوقيّة وقيّده . ورتّب السّلطان عسكراً ، وفوّض سالاريّـة العسكر الى سلار بكطغـدي الحاجب[2] ، ووجّههم الى السّلجـوقيّة . فلمّا قـربوا منهم ، ولّوا الادبار ، وغـادروا خيامهم وأسلحتهم وأمتعتهم في منـازلهم ، وكمنوا في المغارات والأوديـة . فلمّا غنم عسكر السّلطان مسعـود بن محمود ذلـك الحطام ، خـرجت السّلجوقيّـة من مكامنهم ، ورشقـوهم بالنّبـال ، ووضعوا فيهم النّصال ، فـانهزم عسكر السّلطان الى نيسـابور[3] . ثمّ ورد رسـول الأمراء واستشفـاع الوزيـر الى السّلطان ، فـأرسـل السّلطان اليهم

---

* في الأصل : ايتاح . واسم : ايتاح يرد في المصادر التاريخية لكن عدم تقدمه هنا يحمل على الظن أن ايتاح سبق قلم في الناسخ وصوابها : أجنحة. والـذي يرجـح على أنها أجنحـة وليس جناح أن عبـارة « ركب أجنحة الـرياح » تـرد في أكـثر من مـوضـع في المخطوط .

= فنستريح في ظله الوارف ويمنّ علينا بـولايتي نسا وفـراوة، وهما عـلى حدود الصحـراء حتى نستقر فيها ويهدأ بالنا، ولن ندع مفسـداً يخرج على الدولة في بلخان كوه ودهستان وحـدود خوارزم وجوانب جيحون، وسنطارد تـركمان العـراق، فليس لنا عـلى وجه الأرض مكـان نقيم بـه. ولم نجرؤ أن نكتب للسلطان شيئـاً، فإننا هبنا مجلسـه العالي الـوقور فكتبنـا الى الشيخ سوري ليقضي الأمر بنفوذه التام انشاء الله عزّ وجلّ ».

(١) عاد السلطان مسعود إلى نيسابور الاثنين ٢٢ رجب ٤٢٦ هـ (٣ تموز ١٠٣٥ م). البيهقي (٥١٠).

(٢) بكطغدي الحاجب كان سالاراً ـ قائد حرس المسعود.

(٣) جرت هذه المعركة في شعبان ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) في الصحراء بين فراوة وشهـر ستانـه. واستولى السلاجقة على خـزنة السلطان وفيهـا عشرة مـلايين دينـار وأسلحة وألبسـة وأمتعة ودواب. (البنداري ٧، الراوندي ١٥٦). في هذه المعركة هرب السالار بكطغدي ووقع في الأسر القائد الغزنوي الآخر حسين بن علي ميكائيل (البيهقي ٥١٧ ـ ٥١٨، ورشيد الدين ٥/٢، ١٣ ـ ١٤). حسب البيهقي فقد بدأت المعركة في ٢١ شعبان ٤٢٦ هـ. وكانت أول ضربة قوية ضد الدولة تلتها ضربة بعد ضربة حتى النهاية.

القاضي الصيني وشرّفهم بالخلع والولاية ، وفوّض ايالة دهستان الى الأمير جقريك داود « ٤ ـ أ » وايالة فراوه الى يبغو ، ولقّب كلّ واحد منهم بالدّهقان[1] . فاستخفّوا بالرّسول والخلع[2] وقال طغرلبك لكاتبه : اكتب الى السّلطان في كتابة جوابه : تؤتي . فكتب في آخر الكتاب : ﴿ قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير﴾[3] فعجب النّاس من كلامه .

ولمّا ورد الكتاب على السّلطان ، خلّف أميراً مع ثلاثة آلاف* فارس بنيسابور في خدمة سوري** ، وأمره أن ينفق عليهم من خراج نيسابور ونواحيها . ثمّ توجّه تلقاء هراة يوم السّبت التّاسع عشر من ذي القعدة سنة ستّ وعشرين وأربعمائة ، ثمّ ارتحل الى بلخ وفوّض امارة الحجّاب الى سوباشي[4] . تواترت كتب سوري الى السّلطان ، أنّ الأمراء

---

* في الأصل : ألف .

** في الأصل : سواري . وهكذا ترد دائماً في الأصل .

(١) حول مهمة القاضي الصيني وعنه شخصياً أنظر البيهقي ٥٢٦ ـ ٥٢٨ .

بأمر من السلطان، أقطع دهستان لداوود، ونسا لطغرل بك، وفراوه ليبغو، ولقّب كل واحد منهم بالدهقان. وهذا اللقب يعود لقائد القبائل التركمانية الرحّالة .

دهستان ـ مقاطعة على الضفة الشرقية لبحر قزوين.

فراوه ـ بليدة من أعمال نسا بين دهستان وخوارزم . ياقوت (٤/٢٤٥) .

(٢) يكتب البيهقي (٥٢٩) أنه عندما عاد الصيني من عند السلاجقة اختلى بالوزير وبصاحب ديوان الرسائل وقال لهما: « لا يجوز خداع السلطان فقد وجدت القوم في رحلتي هذه على غاية من الغرور والخيلاء، وكانوا كأنهم نفخ فيهم روح العصيان، ومع أنهم عقدوا الميثاق إلا إني لا أثق بما عاهدوني عليه، فقد سمعت أنهم كانوا يسخرون منا إذا خلوا إلى أنفسهم ويدوسون القلنسوات ذوات الركنين بأقدامهم، فينبغي ألا يسير السلطان إلى هراة حتى لا تحدث فتنة ولعمري لقد أبرأت ذمتي بما قلت » .

(٣) سورة آل عمران . آية : ٢٦ .

(٤) حسب البيهقي (٥٣٠ ـ ٥٣١) فإن السلطان مسعود عاد إلى هراة يوم الأحد ١٩ ذو

السّلجوقيّة سدّوا على عمّال الخراج أبوابهم،والسّلطان يسحب ذيل الإغضاء ويتغافل عنها. ثمّ بعث السّلطان أمير الحجّاب سوباشي الى خراسان مع عشرة آلاف فارس ، وأمر العميد سوري بتجهيز جيشه[1] . وانفصل السّلطان عن بلخ متوجّهاً الى غزنة يوم السّبت مستهلّ رجب سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وعيّد الأضحى بغزنة ، وفوّض ولاية الهند الى ابنه الأمير مجدود ، وجهّز ابنه مودود الى بلخ وفوّض اليه امارة بلخ وطَخارستان[2] . « ٤ ـ ب » وانفصل السّلطان من غزنة ونزل في الرّابع من محرّم سنة ثمان* وعشرين وأربعمائة بتكيناباد ** ثمّ فوّض ايالة خوارزم الى شاه ملك الجَنْدي[3] . فقصد ديار خوارزم ، واستقبله

---

* في الأصل : ثماني .

** في الأصل : بكناباد .

القعدة ٤٢٧ هـ وعاد إلى بلخ في ٤ محرم ٤٢٧ هـ. وفي ١٠ صفر ٤٢٧ هـ تلقى الحاجب سباشي منصب كبير الحجاب و « خلع عليه خلعة كاملة من العلم واللواء والطبل والكوس والألبسة وحقائب وخرائط الفضة وغيرها مما يختص بهذا المنصب » (البيهقي ٥٣٤) .

بلخ ـ مدينة في خراسان .

(١) حسب البيهقي (٥٣٥ ـ ٥٣٦) أن السوباشي كان عنده عشرة آلاف فارس وخمسة آلاف راجل. وكلف السلطان سوري صاحب ديوان خراسان بإعداد نفقات الجنود « حتى لا يعوزهم شيء ويتسنى بذلك تطهير أرض خراسان من التركمان في أقرب وقت » .

(٢) بدأ الأمير مجدود بحكم الهند في آب ١٠٣٦ .

أبو الفتح شهاب الدولة مودود (١٠٤١ ـ ١٠٥٠) ـ سلطان غزنوي، كان متزوجاً من ابنة جغر بك داوود.

طخارستان (في الأصل طخيرستان): ولاية واسعة كبيرة، وهي من نواحي خراسان. أكبر مدنها طالقان. أنظر ياقوت ٤/٢٣ .

(٣) شاه ملك الجندي ـ حاكم الجند في النصف الأول من القرن الحادي عشر، وهو « عدو لدود للسلاجقة » (البيهقي ٤٧٥) وكان بينهما « نزاع قديم وضغائن قوية وثأر ». البيهقي (٧٤٩ ـ ٧٥٠ ـ ٧٥١) .

تكيناباد ـ مدينة كانت تقع مكان المدينة الحالية كانداغار في أفغانستان .

اسمعيل [١] بن خوارزم شاه ، فتقابلا وتقاتلا وامتدّت الحرب بينهما مدّة شهرين ، فانهزم اسمعيل والتجأ الى الأمراء السّلجوقيّة . ثم سار العميد أبو سهل الحمدوني[٢] مع تاش* فراش الى أصفهان ، مع جيوش تملأ الأرض ، وتشحن الطّول منها والعرض . فانهزم منها الملك علاء الدّولة أبو جعفر ، وأغارا على خزائنه وداره [٣] .

وكان الشيخ الحكيم أبو علي ابن سينا[٥] رحمه الله ، وزير الملك علاء الدّولة ، فأغار عسكر تاش فراش** على بيت كتب أبي*** علي ، ونقلوا أكثر تصانيفه وكتبه الى خزانة كتب غزنة . وكانت فيها مجموعة الى أن أحرقها حشم ملك الجبال الحسين بن الحسن[٤] .

---

* في الأصل : باش .

** في الأصل : طاش فراش .

*** في الأصل : أبو .

(١) اسماعيل بن خوارزمشاه ـ اسماعيل خندان ابن التونتاش: كان مستقلاً عن الغزنويين (١٠٣٥ ـ ١٠٤١) وصديقاً للسلاجقة. في ٢٨ آذار ١٠٤١ م هرب اسماعيل مع أقاربه من خوارزم إلى السلاجقة.

(٢) حصلت الغارة في ٨ ذي القعدة ٤٢٧ هـ (البيهقي ٥٤٠).

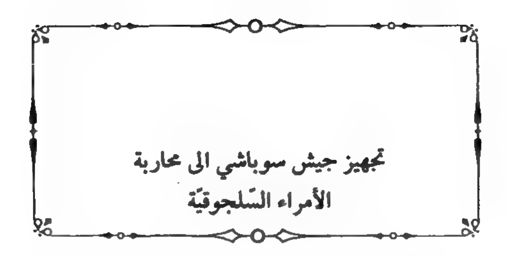
تاش فراش ـ سباهسلار غزنوي ، قتله السلاجقة أثناء حصار الري في آذار ١٠٣٨ م (٤٢٩ هـ) (البيهقي ٥٨١ ـ ٥٨٢).

علاء الدولة أبو جعفر محمد بن كاكويه (١٠٠٨ ـ ١٠٤١)، حاكم أصفهان ويزده ونهاوند وهمذان. عام ١٠٢٩ أعلن ولاءه للغزنويين. ثار ضدهم في ١٠٣٤ وأعلن استقلاله.

(٣) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧) ـ خدم في البداية عند تاج الدولة البويهي ، لكنه نفي وأتى لخدمة ابن كاكويه . في ابن خلكان (٢/١٥٧ ـ ١٦٢) : كان وزيراً عندهم حتى موته .

(٤) علاء الدين حسين (في الأصل الحسن بن الحسين) بن عز الدين حسين المعروف بجهانسوز ـ حاكم من دولة الغور (مات في ١١٦١ م). أحرق غزنه عام ١١٤٩ . أنظر الراوندي ٢٦٦ .





تجهيز جيش سوباشي الى محاربة الأمراء السّلجوقيّة

ثمّ لام الوزراء والأمراء السّلطان على قلّة المبالاة بخراسان ، واستصغار أمر الأمراء السّلجوقيّة ، فإنّ ذلك يجرّئهم ويُطمعهم في ملك غزنة[1] . فجهّز السّلطان جيشاً ، وجعل مقدّمهم سوباشي ، وكان أجبن

---

(١) بعد هزيمة الغزنويين في تموز ١٠٣٥ م سلك السلاجقة، في علاقتهم معهم، سلوكاً أكثر استقلالاً وتعاظمت طلباتهم بخصوص الأرض. في ١٩ محرم ٤٢٨، أرسل السلاجقة الرسالة التالية إلى السلطان مسعود (البيهقي ٥٤٤ ـ ٥٤٥):

« إننا إلى الآن لم نتجاوز حدّنا بشيء، ولكن في خراسان ـ كما لا يخفى ـ تركمان آخرون وهم لا يزالون يغدون عليها لأن طريق جيحون وبلخان كوه مفتوحين أمامهم، وهذه الولاية التي منحها إيانا السلطان قد أخذت تضيق علينا وأصبحت لا تكفي لسكن من معنا من الناس. وكان يرجى أن يتوسط الأستاذ الرئيس [أحمد بن عبد الصمد] لنا عند السلطان، كي يمنحنا بعض المدن الصغيرة، مثل مرو وسرخس وباورد، على أن يكون صاحب البريد والقضاة وصاحب الديوان فيها من قبل السلطان. فيجبوا الأموال ويصرفوا أرزاقنا ونكون نحن جند السلطان، فنطهّر أرض خراسان من المفسدين، ونؤدي ما يوكل إلينا من خدمات في العراق أو في أية ناحية أخرى طائعين، ونقدم على أخطر الأعمال بأمره، ومن الجائز أن يرابط الحاجب سباشي بجيشه في نيسابور وهراة، ولكن إذا قصدنا بسوء فسنضطر إلى الدفاع عن أنفسنا فتزول الهيبة من بيننا، هذا هو ملتمسنا والأمر للسلطان ».

يبدو واضحاً من الرسالة أن السلاجقة أدركوا أن دولة الغزنويين ليست قوية إلى هذا الحدّ، وأنه بالإمكان التحادث معهم من مواقع قوة،في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٠٣٦ م =

من صافر[1] . فأقام بنيسابور مدّة ، وقد انسدّت الطّرق « ٥ ـ أ » وانقطعت مواد القوافل ، لتشويش * الأطراف ، واستيلاء الأمراء السّلجوقيّة على النّواحي . فلمّا اطّلع الأمير جقربك على ما فيه المسلمون من غلاء الأسعار ، عاد الى مفازة باورد[2] ، فبدل ضيق العيش الى السّعد والرّخاء . وهمّ السّلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين بالمسير الى خراسان ، فمنعه من ذلك قلّة العلوفات ، فأقام فصل الشّتاء بِبُست وتكينا باد . والتجأ سوباشي الى هراة[3] . ثمّ أغار الأمير جقربك بغتةً على مرو ، وأقام بها . وركض اليه سوباشي مع جحفل لجب في أيّام ،

---

* في الأصل : لتسويس .

= أعلن مسؤولو البريد في هراة وباديس وغرجستان أن « داوود مع ٤ آلاف فارس مرّوا برزان وغور وسياه كوه متوجهين إلى غزنة » (البيهقي ٥٤٦). وفي ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٠٣٧ قدم الخبر بأن التركمان في خراسان، وقد نهبوا مدينة تون (البيهقي ٥٦٠). وفي آذار (مارس) ١٠٣٨ م أُعلن أن التركمان، في مطلع الشتاء، قد نهبوا طالقان وفرياب وحاصروا الري قاتلين السباهسلار تاش فراش (طاش فراش). (البيهقي ٥٨١ ـ ٥٨٢). وفي نيسان (ابريل) ١٠٣٨ م أمر السلطان مسعود السوباشي أن يخوض معركة فاصلة مع التركمان. وفي ٣٠ أيار (مايو) تحرك السوباشي بعسكر جرار على طريق سرخس (البيهقي ٥٨٥ ـ ٥٨٦، ٥٩٠).

(١) قال أبو عبيد: الصافر، كل ما يصفر من الطير. والصفير لا يكون في سباع الطير، وإنما يكون في خشاشها وما يصاد منها، وذكر محمد بن حبيب أنه طائر يتعلّق من الشجر برجليه، وينكّس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ، فيصفر منكوساً طول ليله... أنظر مجمع الأمثال للميداني ١/١٨٤.

(٢) باورد ـ بلد بخراسان بين سرخس ونسا. (ياقوت ١/٣٣٣).

(٣) اختبأ السوباشي في هراة مع عشرين من غلمانه الذين هرب معهم بعد هزيمتهم أمام السلاجقة في معركة ١٠ تموز (يوليو) ١٠٣٨م. « جرت المعركة من الصباح حتى صلاة العصر . وحين أوشكنا على الانتصار تركني رفاقي اللئام حتى جرحت واضطررت إلى التراجع على هذا النحو الذي ترون » كما يذكر السوباشي في هراة ، في رسالة إلى المسعود (البيهقي ٥٩٢) .

بست ـ مدينة بين سجستان وغزنين وهراة. (ياقوت ١/٤١٤ ـ ٤١٩) وهي الآن: قالاي بست في أفغانستان.

فانهزم منه الأمير جقربك وقصد ازكاه وشاوَشْكان* . فحمل عليه أمير جوزجانان ، فهزمه الأمير جقربك وفرّق جيشه ، ووجدوا بعد الانهزام أمير جوزجانان مقتولاً[1] . فلمّا قرع سمع سوباشي هذا الخبر ، طار عنه الرّقاد ، وضاقت عليه البلاد ، وتفرّقت عساكر السّلجوقيّة في أطراف خراسان ، وتواترت كتب سوري الى السّلطان بالاستغاثة . فكتب السّلطان الى سوباشي : أنّي فوّضت اليك ايالة خراسان، لتذود الطّير عن نخلها ، والذّباب عن منحلها ، فطُفْ في خراسان طواف الوالي حتى** تخضع لك الرّعايا خضوع الجرب للطّالي . فمرّ سوباشي بنيسابور ، فلم يجد فيها ميرة يوم وليلة ، فانكفأ الى دهستان ، وترك « ٥ - ب » في نيسابور واحداً يقال [له] الحاجب باك روب ، وهو الذي كنس خراسان بمكنسة المصادرات ، وما غادر لأحد عشر النّبات . فكتب سوباشي الى السّلطان :

«أمّا بعد فإنّ الأمراء السّلجوقيّة أقوام صوارمها ألسنة ، أفواهها القمم ، وترقى بهم على شفرات الباترات مكامن الأرض والأجم ، وألهاك عن تقليم أظفارهم في ابتداء أمورهم ، شرب المدامة والأوتار والنّغم ، وهرمت هذه الدّولة ولا علاج لمن أصابه الهرم ، وفسد من نصحائك

---

* في الأصل : شاه وكان .

** في الأصل : حين .

(١) جرت حملة جغري بك في ٦ نيسان (ابريل) ١٠٣٩ .

أندخود (ازكاه) - بلدة بين بلخ ومرو على طرف البرّ . (ياقوت ١/ ٢٦٠).

شابوركان (شاوشكان) - قرية بمرو بينها أربعة فراسخ . . (ياقوت ٣/٣١٦). وهي الآن شبيركان .

جوزجانان وجوزجان - اسم كورة واسعة من كُوَر بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ (ياقوت ٢/١٨٢). في الزمن المذكور كان حاكم جوزجانان أنوش تكين نوباطي .

القول حتّى أحمد عندك الصّمم(1) . والشّرّ بدؤه صغاره ، والجواد عينه فراره* ، ولم يفرّ بملك من هو مشغوف بصفو الدّنان ، ورجع القيان ، والسّلجوقيّة أقوام نفوسهم ربطت بآداب الوغى ، وكانوا من قبل من ضعفاء ممالكنا . وانّ قارون كان من قوم موسىٰ صلوات الله عليه ، ولكن عليه بغى ، فهم متصعلكون على كثافة ملكهم ، غير ملتفتين الى فنائهم وهلكهم ، والطّرق اليهم ضيّقة المسالك بالقنا والسّهام ، ولهم فوارس تجيء الحمام ، فكأنّهم ليسوا من الأنام » .

فلمّا قرأ السّلطان كتاب سوباشي تحيّر واضطرب ، ثمّ التمس فقهاء مرو من ملوك السّلجوقيّة الأمان ، فقابلوا ملتمسات الفقهاء بالاسعاف ، وحفظوا لهم جناح العدل والانصاف . واختار طغرلبك نيسابور ، واختار جقربك داود مرو وما وراء العقبة ، « ٦ ـ أ » وخطبوا بمرو باسم جقربك(2) في أوّل جمعة من رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . فلمّا تجلّى وجه الرّبيع ، ركب سوباشي متوجّهاً تلقاء مرو ، ثمّ ورد الملك جقربك مرو ودعا أهلها وقال : ما خطبكم وما رأيكم ؟ فكلّ أجابه بما يسرّه من اظهار الطّاعة والمحبّة . فخرج من مرو والتقى الجمعان بباب سرخس، فما ذرّ قرن الشّمس حتّى

---

* يفرّ الجواد : يباعد بين شفتيه ليعرف مقدار عمره .

(1) اشارة إلى آخر قصيدة قالها المتنبي عند سيف الدولة ومطلعها:

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندمُ
ماذا يزيدك في اقدامك القَسَمُ.

إلى أن يختمها:

ولا تبالِ بشعر بعد شاعره
قد أُفسد القول حتى أُحمِدَ الصمم.

أنظر: ديوان أبي الطيب المتنبي: ٤١٦ ـ ٤٢٢ .

(2) تلقى أبو سليمان جغر بك داوود لقب ملك الملوك في خطبة أول جمعة من رجب سنة ٤٢٨ هـ. (ابن الأثير ١٦٥/٩).

انهزم سوباشي يوم الاثنين السادس من شعبان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة[1] . والتجأ سوباشي الى هراة ، واقتفى أثره الملك جقربك داود الى يوم الأربعاء ، وعاد مظفّراً الى طوس ، واستقبله أكابر نيسابور[2] واستراح بها مدّة . ولقّب طغرليك السّلطان المعظّم ركن الدّنيا والدّين أبو طالب[3] . ثمّ توجّه الملك جقربك تلقاء هراة ، وانهزم سوباشي . فلمّا وصل الى غزنة صبّ السّلطان عليه سوط* العذاب ، وابتلاه بذلّ

* في الأصل : صوب . هنا اشارة للآية الكريمة : ﴿ فصب عليهم ربّك سوط عذاب ﴾ . سورة الفجر الآية ١٣ .

(١) عن هزيمة سوباشي في سرخس أنظر بالتفصيل: ابن الأثير (٩/١٦٥ - ١٦٦) والبيهقي (٥٩٠ - ٥٩٤).

(٢) في البيهقي (٦٠٠) أنه بعد ١٢ يوماً من هزيمة سوباشي عند سرخس أتى إلى نيسابور شقيق طغرل بك - ابراهيم ينال مع مئتي فارس. ووجه إلى المدينة رسولاً أبلغ كبير القضاة سعيد أبا العلاء أن فرقته هي مقدمة إجمالي القوة السلجوقية وطلب تسليم المدينة وقطع الخطبة باسم السلطان مسعود. فقرر أعيان المدينة تسليم المدينة. وفي شعبان ٤٢٨ هـ خطب في نيسابور باسم طغرل بك وباسم السلطان المعظم. أنظر ابن الأثير (٩/١٦٥ - ١٦٦).

(٣) دخل طغرل بك نيسابور في ثلاثة آلاف فارس. وفي اليوم الثاني جلس على عرش السلطنة الغزنوية وإليه قَدِم كبار قضاة المدينة ونقيب السادة (من نسل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) - السيّد زيد بن محمد بن المظفر البيهقي(توفي في ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م). أنظر البيهقي (٦٠٣ - ٦٠٤).

أُخذت نيسابور من قبل السلاجقة في رمضان ٤٢٩ هـ. وعندما أراد العسكر السلجوقي نهب المدينة منعهم طغرل بك احتراماً لشهر رمضان المقدس ولما انقضى رمضان صمم داوود على النهب فمنعه طغرل بك واحتج عليه برُسُل الخليفة وكتابه الذين طلبوا منع النهب والفوضى فلم يلتفت داوود إليه وقوي عزمه على النهب فأخرج طغرل سكّيناً وقال: والله لئن نهبت شيئاً لأقتلنّ نفسي. فكفّ عن ذلك وعدل إلى التقسيط فقسط على أهل نيسابور نحو ثلاثين ألف دينار وفرّقها في أصحابه. وفي مصادر أخرى أن جغري بك حمل سكيناً وقال إما أن تسمح لنا بالنهب وإما اقتلني بهذه السكين فبادر طغرل إلى تهدئته واعطائه أربعين ألف دينار جمعت من أهل نيسابور. أنظر ابن الأثير ٩/١٥٨، ابن العبري ١٨٣، البنداري ٦ - ٧، النيسابوري ١٥ - ١٧.

الحجاب ، وقال : انّك ضيّعت الجنود ، وكدّرت المشرب المورود ، في ثلاث سنين ، حتّى صفيت موارد الملك لأعداء الدّولة القاهرة .

فقال سوباشي : كيف يردّ الطبيبُ الشيخَ شابّاً ، وكيف يصيّر المسافرُ السّرابَ شراباً . لكلّ دولة مهابة ، وبعد كلّ ضياء غيابة ، ولكلّ يوم قوم ، ولكلّ زمان ملك . وأنا الّذي سمّيتني سوباشي ، بين أسد خادر ، وبحر زاخر ، ان قصدتُ الأسد افترسني ، وان خضتُ البحر أغرقني ، وورائي من غضبك جمر كلّما أحجمت أحرقني . « ٦ ـ ب » وأنت أيّها السّلطان سلكت الزّمان حزناً وسهلاً ، وحين أقبلت عليك الدّولة رمت في الممالك بعضاً فأدركت كلّاً [١] .

فعند ذلك عبّأ السّلطان كتائبه الّتي لو رمى بها ركن الدّهر لانهدم ، أو خوّف بأسهم صرف الزّمان لانهزم ، وبين يديه من الفيلة مائة كأنّهنّ شواهق الجبال الشّامخات . وفتح أبواب الخزائن ، وأعطى عساكره ذخائر الأموال ، وورد كورة بلخ وسدّ الأبواب وهيّأ الأسباب[٢] . وقصد الملك جقربك داود كورة بلخ ، وصيّر السّلطان في بلخ محصوراً ، وانقضّ على عساكر غزنة كالعقاب الكاسر . فدخل يوماً كورة بلخ ، مع شرذمة من غلمانه وفرسانه على حين غفلة من أهلها ، وساق الفيل الأعظم الذي كان على باب السّلطان[٣] مع جنائبه . فاهتّم السّلطان اهتماماً سلب عنه القرار . وكلّما خرج السّلطان من بلدة تنحّى الملك جقربك ويبغو وجنوده ، وكلّما دخل السّلطان البلدة أحاط جقربك وعساكره بالبلدة .

فبقي السّلطان على هذه الحالة حولين كاملين . فانفصل السّلطان عن

---

(١) حول عودة السوباشي إلى غزنة أنظر: البيهقي ٥٩٧ .

(٢) حول تحرك جيش السلطان مسعود أنظر: ابن الأثير ٩/١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٣) في هذه المعركة (٢٩ آذار ١٠٣٩) هزمت جيوش جغري على يد الغزنويين (البيهقي ٦٢٢ ـ ٦٢٣).

بلخ في مستهلّ رمضان سنة تسع وعشرين وأربع مائة ومعه مائة ألف فارس سوى الأتباع والأوباش . ومرّ على جوزجانان وأخذ واليها [الذي] كان منصوباً من جهة السّلجوقيّة وصلبه ، واستمال الرّعايا[1] . والملك جقربك يقفو أثره حتّى ورد السّلطان كورة مرو . ونزل الملك « ٧ ـ أ » جقربك بثينك العبّادي فخرج السّلطان الى قبالته ، فانكفأ الملك جقربك الى سرخس ، ولحق به السّلطان طغرل ويبغو . فأرسل اليهم السّلطان رسله قارعاً باب المصالحة ، فورد الأمير يبغو حضرة السّلطان ، فأفاض عليه من الخلع ما يبهر العيون[2] .

وقال السّلطان طغرل للملك جقربك : اليوم* لا يتمهّد للسّلطان صلحٌ وعذرٌ بعد ما سُفِكَت الدّماء ، وتَمَكَّنَت في القلوب الشّحناء ، وعندنا فرسان تضيق بهم الدّيار ، وعند السّلطان جنود ملاذها الفرار .

فعاد السّلطان الى هراة والملك جقربك [الى] درب مرو . فحاربه أوباش مرو وأغلقوا عليه الأبواب سبعة أشهر . وردّ الملك جقربك وجوه المراوزة صُفْراً ، وما أبقى لهم ناباً ولا ظُفْراً ، وولّوا منهزمين يميناً وشمالاً ، وعاينوا للدّولة المسعوديّة زوالاً .

فلمّا فرع سمع السّلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين هذا الخبر ، أوقد في قلبه الشّرّ ، وانصرف من هراة وتوجّه تلقاء نيسابور . وهرب

---

* في الأصل : القوم .

(١) حول هذه التفاصيل أنظر ابن الأثير ٩/١٦٦ .

(٢) عاد طغرل بك إلى سرخس من نيسابور وارتاش يبغو ـ من مرو. كان عندهم عشرين ألف فارس، وعند المسعود ـ أربعين إلى خمسين ألفاً. إلى جانب السلاجقة قدِم بعض قادة المسعود ـ بوري تكين؛ أمير يوسف، حاجب علي قريب، غازي، أرياروق وغيرهم (البيهقي ٦٢٤ ـ ٦٢٥).

السّلطان طغرل من نيسابور والملك جقربك خرّب نواحي مرو وقُراها[1] .
فلمّا وصــل السّلطان مسعـود بن محمــود بن سبكتكـين من نيســابـور الى سرخس[2] ، رأى في منامه ليلاً أنّ دخاناً انفصـل من عينه ، وعينـه تسيح دماً . فلمّا هبّ من منامـه ليلاً ، بكى ويئس من الحيـاة والملك . وعلم أنّ الدّولة ودّعته ، والأماني « ٧ ـ ب » ضيّعته . ثمّ توجّه السّلطان مسعود بن محمـود بن سبكتكين تلقـاء مرو ، فـالتقى الجمعان على باب دنـدانقـان ، والسّلطان يــظنّ أنّ الملك جقـربــك لا يقـوم بــازائــه . فلمّا ثبت الملك جقربك ، ندم السّلطان على اقتحـام تلك الورطـة ، فوقـع الاختلاف بين عســاكر السّلطان . وكـان بعضهم يقتل بعضـاً وبعضٌ ينهب مال بعض .
فلمّا عــاين الملك جقـربــك هــذه الحــالــة ، حمــل عليهم وهم مختلفـون متنازعون . فما وقعت السّنابـك إلاّ على دروع مخـرّقة ، وهـامات مفلقـة .
فولّى السّلطان وعساكره منهزمـين[3] . وسلك السّلطان طريق رودبـار [4]

---

(١) حول نهب جغري بك لمرو أنظر: ابن الأثير ١٦٦/٩ .

(٢) في رمضـان ٤٣٠ هـ (حـزيـران ١٠٣٩)، وفي وادي سـرخس هـزم المسعـود فصـائـل السلاجقة. وقـد هرب السـلاجقة بقيـادة طغرل بـك وجغري بـك إلى الصحراء. أنـظر: بالتفصيل هزيمتهم في البيهقي ٦٢٦ ـ ٦٣١ .

(٣) دندانقان: « بلدة من نواحي مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها في الرمـل وهي الآن خراب لم يبق منها إلا رباط ومنارة، وهي بين سرخس ومرو. رأيتها وليس بها ذو مرأى غير حيـطان قائمـة وآثار حسنـة. وفي كتاب التحبير للسمعاني أن الأتـراك المعروفين بالغـزيـة خرّبوها في شوّال ٥٥٣ ». أنظر ياقوت ٤٧٧/٢ .

وقعت المعركة في بريّة قليلة الماء والحرّ الشديد. وقد خرّب السـلاجقة كـل الآبار عـلى مئة ألف من جيش الغزنويين. في هذه المعركة التي استمرت ثلاثة أيام هُزم الغزنويون واستولى السـلاجقة على كل أمتعتهم وأسلحتهم أمـا مسعود فقـد هرب مـع مئة من فـرسانـه. أنظر بالتفصيل: ابن الأثير ١٦٦/٩ ، البيهقي ٦٨٧ وما يليها.

ويكتب البيهقي (٦٩٥): « وثبت أن مـوقعـة دانـدانقـان انتهت بهـزيمـة حـاسمـة، وأن السـلاجقة قد غنموا ما لا حصر له من الذهـب والفضة والملابس والـدواب » وكان جغـري=

(٤) رودبار + (موضع النهر ـ فارسية): ناحية من أصبهان. ياقوت ٧٧/٣ .

ومعه مائة فارس ، والطّلب يسوقه حتّى ردّفه* فارس من فرسان الملك جقريك ، فضربه السّلطان ضربة نصّفه وألقاه على الطّريق ، فمن رآه من عسكر جقريك انصرف وما اقتفى أثر السّلطان . فصبر الملك جقريك مع عساكره ثلاثة أيّام ، على صهوات الخيول منازلهم . فلمّا أمن غوائل الانقلاب ، دخل سرادق السّلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين ، واستوى على سريره ، وقسم الغنائم بين عسكره ، ووهب خراج سنة في ولاياته ، وعمّر القرى ، وأطلق الأسرى(1) .

وانتقل السّلطان الى غزنة ، وكانت الوقعة على باب دندانقان يوم الخميس الثّامن من رمضان سنة احدى « ٨ ـ أ » وثلاثين وأربع مائة . ولمّا ورد السّلطان غزنة ، جعل ابنه مودود وليّ العهد وكان والي بلخ التونتاق الحاجب .

---

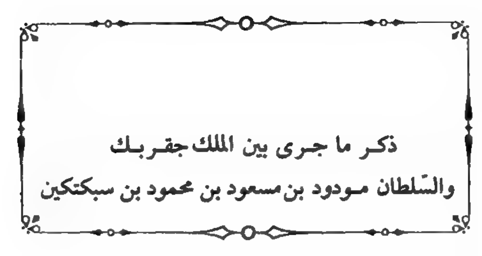
* في الأصل : ردّ له .

= بك داوود قد قال أمام السلاجقة قبل أيام من المعركة : « لا مفرّ من المقاومة حتى الرمق الأخير، فإننا إن قهرناه (السلطان مسعود) صارت الدنيا كلها لنا » . البيهقي ٦٨٣ ، غارديزي ٨٥، البنداري ٨، الراوندي ١٦٣، الجوزجاني ٩٤ ـ ٩٥ .

ونجد ذكراً لهذه المعركة عند فاردان (١٢٠) : أن السلاجقة معرّضين أنفسهم للموت بدأوا المعارك، وحققوا انتصارات واستولوا على نيسابور وهزموا عساكر السلطان في داداخان (دندانقان) .

في بونياتوف (ص ١٨٠ ـ ١٨١) نقلاً عن مصادر عديدة أن خرائب داندانقان تقع الآن على بعد ٣٣ كلم إلى الجنوب الغربي من مرو الحالية و٦٥ كلم من مرو القديمة، ومشهورة باسم طاش ـ رباط .

(١) بعد انتصار طغرل بك، السلطان بعد ذلك، أرسل مع رسوله أبي اسحاق الفقاعي رسالة الى الخليفة القائم بأمر الله يخبره فيها عن انتصاره على الغزنويين واستتباب العدالة في خراسان (البنداري ٧ ـ ٨، الراوندي ١٦٦ ـ ١٦٧). بعد هزيمته للمسعود وبمناسبة انتصاره، حرّر طغرل بك أهالي مرو والمدن الأخرى في خراسان من ضريبة الخراج لسنة كاملة (ابن الأثير ١٦٦/٩). وفي ناصر خسرو (١٠٣) أن السلطان « أمر بأن لا يطالب الناس بشيء مدة ثلاث سنين، فسار على ذلك وأعاد المهاجرين إلى أوطانهم » .



ذكـر ما جـرى بين الملك جقـربـك والسّلطان مـودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين

ثمّ سـار الملك جقربـك الى بلخ ، وكتب الى التونتـاق وقـال : لم يبق لكَ في غزنة مطمـع ، ولا في كفايـة* صاحبـك منزع ، فـدُر مع الـدّهر كيف ما دار ، سر مع نصر الله حيث سار. فما التفت التونتاق الى الرّسول والكتاب ، وأمر بحبس الرّسل .

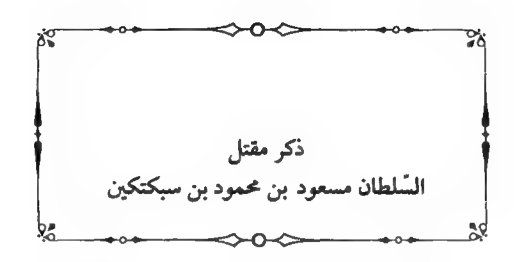
وخيّم الملك جقربك حـول بلخ ، وكانت بينهما محاربـة شديـدة[1] . فسار السّلطان مودود من غزنة في جيوش كثيفة نحو بلخ . فوقعت طـلائع جقـربك عـلى طلائـع السّلطان مودود ، فـانهزمت عساكـر غزنـة عن بكرة أبيهم . واضـطرّ التـونتـاق الحـاجب الى الـطّاعـة ، وانخـرط في سلك الجماعة ، ودخل الملك جقربك كورة بلخ[2] .

---

* في الأصل : كفافه .

(١) في مطلع أيلول (سبتمبر) ١٠٤٠ م، هزمَ جغري بك داوود عند بلخ جيش المسعود بقيادة الحاجب التون تـاش. فطلب منـه داوود تسليم البلد إلا أن ألتون تـاش سحبَ الـرُسُـل وتحصن بالمدينة مع متي فارس كانوا ما زالوا معه. أنظر البيهقي ٧١٦ ـ ٧١٧، وابن الأثير ١٦٧/٩ .

(٢) عنـدما دخـل عسكر مسعـود الذي سيـره بقيادة مـودود في معركـة مع جغـري بك داوود وانهزامهم كان السلطان مسعود في هـذا الوقت قد اعتقل . مؤلفنا الحسيني يخلط الأحداث هنا ويسمي مودواً سلطاناً بينما ارتقى السلطنة بعد مسعـود عمّ مودود: محمـد. أنظر ابن الأثير (١٦٧/٩). بعد هذه الأحداث دخل التون تاش في خدمة السلاجقة.



ذكر مقتل
السّلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين

لمّا سار السّلطان مودود بأمر والده الى بلخ ومعه الوزير **أحمد بن عبد الصّمد** ، وذلك في يوم الثّلاثاء الثّاني عشر من محرّم سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة . أخرج السّلطان مسعود أخاه محمّداً ، وكان قد سمل عينيه ، من قلعة نغر ، مع أولاده وأزواجه وجواريه ، وكان « ٨ ـ ب » ذلك يوم الأحد مستهلّ صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة . وكان لمحمّد ابنٌ معتوه يقال له أحمد ، وأولاد أخر منهم : عبد الرّحيم ، وعبد الرّحمن ، وعمر ، وعثمان[1] . ثمّ خلع السّلطان مسعود على أولاد أخيه ، واعتذر

---

(١) أبو أحمد جلال الدولة وجمال الملة محمد (٩٩٧ ـ ١٠٤١ م) كان أخَ السلطان مسعود. قبل موت أبيهم محمود، كان محمد والياً على غُزغنان ، أما مسعود فعلى أصفهان. عندما استدعي محمد إلى غزنة لتولي عرش السلطنة وقف الجيش إلى جانب مسعود، وفي ٤ تشرين أول (اكتوبر) انتزع العرش من أخيه محمد، وكان قد سمل عينيه ونفاه إلى قرية نغركوت (في المخطوطة تعز). وقد استمر حكمه ٦ أشهر فقط. أنظر ابن الأثير ١٦٧/٩ ـ ١٦٨ ، غارديزي ٩٢ ـ ٩٥، الجوزجاني ٨٨ ـ ٩٠.

نغر: اسم مدينة ببلاد السند، بينها وبين غزنين ستة أيام. ياقوت ٢٩٥/٥ .

في البيهقي (٧٢٧) أن محمداً وأبناءه الأربعة (ما عدا عبد الرحيم) حرّروا من الاعتقال في ٢ صفر ٤٣٢ (تشرين أول، أكتوبر ١٠٤٠).

الى أخيه ، فقال له محمّد : أنت الكبير المقدّم ، وعنوان صحيفة القوم . وفرَّح قلبه بالأباطيل لعلّه يسكن بعض السّكون ، يركن الى ما يقول بعض الرّكون . فحمله السّلطان مسعود في هودج بين الحرائر .

وجمع أموال الخزائن والقلاع . وتوجّه تلقاء ديار الهند ومعه ثلاثة آلاف حمل من العين النّيسابوريّة ، والهرويّة ، والمغربيّة والمحموديّة ، وأنواع الورق ، والجواهر وآلات الملجم والأواني وغير ذلك ، حتّى وصل السّلطان الى ماريكله . فطمع الغلمان في تلك الخزائن .

واجتمعوا على محمّد ليلة الثّالث عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة .

وامتطى محمّد غوارب سرير الملك ، وفوّض نيابته الى ابنه المعتوه أحمد[1] . والتقى الجمعان يوم الثّلاثاء منتصف ربيع الآخر ، وأُسِر السّلطان مسعود وقُيِّد . ثمّ دخل عليه ابن أخيه المعتوه ، فرفع القلنسوة من رأسه ، فزجره أخوه عبد الرّحيم وأخذ القلنسوة وقبّلها ، ثمّ « ٩ - أ » وضعها على رأس عمّه ، ونجا بذلك من القتل . وحُمل السّلطان مسعود مع زوجته سارة خاتون ، بنت قدر خان ، الى قلعة في تلك النّواحي يقال لها كيري . فطوّعت لمحمّد نفسه قتل أخيه ، وأغراه على ذلك ابنه

---

(١) لما عبرت بعض الخزائن نهر سيحون (سرداريا) اجتمع أنو شتكين البلخي وجَمْعٌ من الغلمان ونهبوا ما تخلّف من الخزانة، وأكرهوا محمداً أخ مسعود على القبول بالأمارة في ١٣ ربيع الآخر. أثناء الصراع بين محمد ومسعود تحصن هذا الأخير في قلعة ماريكله (على الطريق من غزنة إلى لاهور، بين نَهْرَين - ربما هما الهند وفرى جيلام)، فحوصر مسعود ثم ألقي القبض عليه واقتيد مغلولاً. أنظر ابن الأثير ١٦٧/٩، ابن العبري ١٨٣، البيهقي ٧١٥ .

المعتوه . فحبسوه في بئر وطمّوا البئر بالارحاء[1] .

وكـان السّلطان مودود بن مسعـود متوجّهـاً تلقـاء غـزنـة . فـانفصـل السّلطان محمّـد عن بلده ، وسار مـع جيوش أكثرهـا الجـواري والغلمـان والشّيـوخ . فلمّا تـراءى الجمعـان ، خفقت عـلى السّلطان مـودود ألـويـة الظّفر ، وقتل محمّداً وأولاده سـوى عبد الـرّحيم[2] . وذلك يـوم الخميس الثّالث من شعبان سنة اثنتين وثـلاثين وأربـع مائـة . وبنى السّلطان مودود قرية ورباطاً وسمّاها فتح آباد ، ثمّ انتقل الى غزنة .

وكان مدّة ملك السّلطان مسعـود بن محمود بن سبكتكـين الى يوم قتله عشر سنين وشهرين ويومين . ومدّة ملك ابنـه السّلطان مودود سبـع سنين وعشرة أشهر .

ولمّا مضى السّلطان مودود لسبيله ، قام مقامه السّلطان عبد الـرّشيد ، وكان شابّاً مستبدّاً[3] . وكان لسلاطين غزنة غلام تركي يقال لـه : طغرل نزان* . ففرّ منهم والتجـأ الى الملوك السّلجوقيّـة . فنفّذوا معـه « ٩ ـ ب »

---

* في الأصل : بزان .

(١) في ابن الأثير (١٦٨/٩) أن محمداً كتب لمودود ابن أخيه وهو بخراسان يقول: إن والدك قتل قصاص قتله أولاد أحد ينيال تكين بلا رضا مني. فاردان (١٢٠)، ابن العبري (١٨٣).

في ابن الأثير تسمى القلعة بـ: كيكي وفي ابن العبري (١٨٣) كـرى ، وكبـرى. وفي ابن العبري كاسا (الطبعة الروسية:) (١٨٢).

(٢) عندما وصل خبر مقتل السلطان مسعود إلى مـودود، تحرّك هـذا بسرعـة من خراسـان إلى غزنة. في الثالث من شعبان جرت معركة اعتُقل فيها محمد وابنه أحمد وأنوش تكين البلخي ثم قتلوا بأمر مودود. كما قتل كل أولاد محمد الباقـين ما عـدا عبد الرحيم لانكاره مـا فُعل بعمه مسعود: ابن الأثير ١٦٨/٩، ابن العبري (١٨٤)، الجوزجاني (٩٦ ـ ٩٧) .

(٣) ما إن استوى مودود (١٠٤١ ـ ١٠٤٩) على العرش حتى أظهر أخوه مجدود الخلاف، وعلى الطريق إلى غزنة في ١١ آب ١٠٤١ مات مجدود في لاهور ولا يُدرى كيف كان موته. (ابن الأثير ١٦٩/٩). أما مودود فقد دخل في حرب مع السلاجقة الذين هـزموه في آب ١٠٤٣=

جيوشاً من الأتـراك ، لا قِبَل للسّلطان عبـد الرّشيـد بها . ففـرّ والتجأ الى قلعـة من قلاعـه . واستولى طغـرل نزان عـلى مواقف السّلطنـة والامارة ، واستولى على سرير الملك ، وتزوّج الحرّة الجليلة ، احـدى حرائـر السّلطان مسعود ، كَرْهاً وقَسْراً ، واستنزل السّلطان عبد الرّشيد من القلعـة ، وقتله وأخـوته سليمـان وشجاع ، أولاد مسعـود ، بيـده . وقتـل تسع رهط من أولاد السّلطان مسعود بيده في ليلة واحدة [1] .

وكان للسّلطان مسعود غلام يقال له نوشتكين ، فرعى حقوق مواليه .

= بقيادة ألب أرسلان. وعـاد من جديـد لمحاربتهم لكنـه مات في ١٩ تشـرين ثاني (نـوفمبر) ١٠٤٩ م (٢٠ رجب ٤٤١ هـ). وكـان عمره ٢٩ سنـة وملكه تسـع سنين وعشـرة أشهر. أنظر ابن الأثير ١٧٨/٩ ـ ١٧٩ و ١٩٢ ـ ١٩٣. الجوزجاني ٩٥ ـ ٩٧.

بعد مودود تولى عرش الدولة الغـزنوية ابنه الصغـير مسعود فبقي في الحكم أقـل من سنة (حسب ابن الأثـير خمسة أيـام) ثم عدل النـاس عنه إلى عمـه أبو الحسن عـلي بن مسعـود الأول الذي بقي في السلطة حوالي عامين. واستمر انحدار الدولة الغزنوية وأصبح الأفغان يتدخلون في شؤونها. وبمساعـدتهم أُبعد عـلي عـام ١٠٥٠م عن العرش الذي تبـوأه بعده ابن محمد أبو منصور عبد الرشيد الذي حارب سوية مع مسـعود الأول في دندانقان. أنـظر الجوزجاني ٩٧ ـ ٩٨.

(١) طغرل بزان، حسب الجوزجاني، كان عبد محمـود، وحسب ابن الأثير، كـان حاجبـاً عند مسعود بـن مودود. أثناء حكم الأخير ارتفع مقام طغرل وتزوج من شقيقـة مودود. عنـدما أتى عبد الرشيد الى السلطة جعل من طغرل الحاجب الأكبـر وأرسله على رأس جيش ضـد السلجوق ألب أرسلان. في وادي هومر هَزَمَ طغرلُ ألبَ ارسلان ثم توجه الى بست. هنا وقف جغري بك داوود بـوجهه، لكنـه هُزم كـذلك. بعـدها سـدّد طغرل عـدة ضربـات للسلاجقة. ثم طلب طغرل من عبد الرشيد جيشاً اضافياً لمهاجمة خراسان، وعندمـا تلقى معظم الجيش الغزنوي تقريباً غير وجهة حملته وانضم الى السـلاجقة. وعندما عاد إلى غزنـة طلب من عبد الرشيد زيادة مرتبات الجنود، ثم حاصر غزنـة واستولى عليهـا واستولى عـلى العرش وقُتِلَ عبد الرشيد الذي كان بلا جنود مع أحد عشر أميراً آخـر. استمـر طغرل في السلطة لمدة أربعين يوماً وتعامل بلا رحمة مع أعدائه. وحسب ابن الأثير فقـد تزوج بـالقوة ابنة مسعود. .

أنظر الجوزجاني ٩٩ ـ ١٠٠ وابن الأثير ٢٠١/٩ ـ ٢٠٢

وجاء يوماً ذلك العاصي الملعون طغرل نزان ، وكان واقفاً على رأسه ، فقتل بنفسه عشرة من خواصّه . وأنزل فرّخزاد بن السّلطان مسعود من القلعة ، وأجلسه على سرير الملك ، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة[1] . وكان منذ ظهور طغرل نزان في سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة الى أن قتل سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة يتصرّف بغزنة وأعمالها من جهة الملوك السّلجوقيّة ، ويجبي لهم خراج البلاد ، وينفذ اليهم ما يفضل من خرج عساكره . وكان فرّخزاد ، مزيّناً بالعقل والعدل ، متحلّياً بالبذل . وورد عسكر السّلجوقيّة « ١٠ ـ أ » في عهد فرّخزاد حدود بُست ، فوجّه اليهم نوشتكين ، قاتل طغرل نزان ، فهزم عسكر السّلجوقيّة[2] . وبقي فرّخزاد في الملك الى يوم السّبت السّادس عشر [من] صفر سنة احدى وخمسين وأربع مائة . ثمّ ملك بعد فرّخزاد أخوه ابراهيم ابن السّلطان مسعود[3] ، وكان رجلاً عاقلاً لبيباً ذا رأي

---

(١) حسب ابن الأثير (٢٠٢/٩) فإن طغرل قتل الأمير الهندي خرخيز وفي الجوزجاني (١٠٠) والبيهقي (جوامع الحكايات، ٥١٢ ب ـ ٥١٣ أ) أن خرخيز قُتل على يد سلاحدار أنوش تكين: طغرل كوش.

استلم أبو شجاع فروخ زاد سلطة الغزنويين عام ١٠٥٣ م.

(٢) حسب ابن الأثير (٢٠٣/٩) فإن الأمير خرخيز (عند مؤلفين آخرين ـ أنوش تكين) هزم عسكر جغري بك داوود وابنه الب ارسلان وغنيم ما كان معه. فروخ زاد أرسل كذلك جيشاً جراراً ضد السلاجقة بقيادة الأمير الأعظم كلسارغ الذي هزم الب ارسلان أيضاً.

(٣) مات فروخ زاد في الكوليرا (القولنج) في سن الرابعة والثلاثين عام ٤٥١ هـ. وخلفه أخوه ابراهيم بن السلطان مسعود بن محمود (ابن الأثير ٢/١٠).

أبو المظفر ظهير الدولة ابراهيم (١٠٥٩ ـ ١٠٩٩) بدأ حكمه بصلح مع السلاجقة. يكتب ابن الأثير (٢/١٠): « في هذه السنة (٤٥١ هـ) استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن سبكتكين وبين داوود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على أن يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر في ملكه ».

في هذه السنة في رجب توفي جغري بك داوود. ويذكر ابن الأثير أن موته ربما كان أيضاً

متين ، وكان له فتوح كثيرة في الهند ، وآثاره شهورة في بقاعها(1) .

ومن آرائه أنّ السّلطان الأعظم جلال الدّولة ملكشاه بن الب ارسلان توجّه تلقاء غزنة ، ونزل باسفزار[2] . فكتب السّلطان ابراهيم إلى أمراء السّلطان جلال الدّولة ملكشاه بن الب ارسلان وشكر مساعيهم وقال : «نعم ما فعلتم ورتّبتم عند السّلطان توجّهه تلقاءنا ، وعزمتم على تسليمه الينا ، نحن لا نضيّع حقوقكم ، ولا نغفل عن مقاديركم ورُتَبكم» . وأمر الفيج بأن يتعرّض للسّلطان في المتصيّد ، فمرّ به الفيج فأمر بأخذه وسؤاله عن الكتب فأنكر ، فأمر بجلده فدفع الكتب الى السّلطان . فتخيّل للسّلطان أنّ أمراءه وحشمه خانوه ، فخلّى سبيل الفيج ، وما أظهر الكتب على أحد وانصرف الى اصفهان[3] ، وقد زوّج ابن السّلطان ابراهيم واسمه مسعود ابنة السّلطان الب ارسلان ، ثمّ « ١٠ ـ ب » ابنة للسّلطان الأعظم جلال الدّولة ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل السّلجوقي جوهر خاتون من ولده الآخر . وحمل المهر من غزنة إلىٰ أصبهان ، وكانت تلك الخاتون تلقّب بمهد العراق[4] في غزنة .

وكانت مدّة سلطنة السّلطان ظهير الدّولة أبي* المظفّر ابراهيم بن

---

* في الأصل : أبو .

= في صَفَر سنة ٤٥٢ هـ. عن عمر يناهز السبعين عاماً. بعده ملك خراسان ابنه ألب أرسلان. وكان له أيضاً أولاد آخرون : ياقوت، سليمان قاروت بك، وتزوج أُمّ سليمان السلطانُ طغرل بك (ابن الأثير ١٠/ ٢ ـ ٣).

(١) حول هذه الفتوحات أنظر ابن الأثير (١٠/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٢) اسْفزار: مدينة في نواحي سجستان من جهة هراة، ياقوت (١/ ١٧٨) الآن تسمى سبزوار.

(٣) أنظر ابن الأثير (١٠/ ٥٧). هنا شواهد على مؤامرة الأمراء ضد ملك شاه ومشاركة ابراهيم الغزنوي فيها.

(٤) ترك السلطان ابراهيم وراءه اربعين بنتاً وستة وثلاثين ابناً. إحدى بناته كانت جدة جدة جدة الجوزجاني ـ مؤلف طبقات الناصري.

السّلطان ناصر دين الله أبي سعيد مسعود ابن السّلطان الغازي يمين الدّولة أبي* القاسم محمود بن سبكتكين ثلاثين سنة .

فلمّا توفي ، جلس ابنه السّلطان الغازي علاء الدّولة أبو المظفّر مسعود على سرير الملك ، وسلك منهاج أبيه واستنّ بسنّته . وكانت مدّة ملكه من سنة احدى وثمانين وأربع مائة الى سنة احدى عشرة وخمس مائة[1] ، كما يأتي ذكره بعد هذا [في] خبر السّلطان المعظّم معزّ الدّين سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان غزنة** .

ولمّا خلت خراسان من عساكر آل سبكتيكينيّة ، واستقامت الملوك السّلجوقيّة ، أقام الملك جقربك بمرو ، وصفت له خراسان بكاملها . وارتحل السّلطان طغرل من خراسان الى العراق ، حين استدعاه الامام القائم بأمر الله ثمّ استوى على أكثر البلاد ، [و] اقتسموا بنيانهم***.

---

* في الأصل : أبو .

** كذا، وربما سقط شي من العبارة (ملك أو فاتح غزنة) أو أن كلمة غزنة زائدة لا لزوم لها.

*** كذا ولعلها : واقتسموها بينهم .

(1) بعد وفاة مسعود الثالث سنة ١١١٥ م ترك اثني عشر ابناً. خلفه ابنه كمال الدولة شيرزاد الذي، بعد سنة، قتل على يد أخيه أرسلان. الوحيد الذي بقي حياً من أولاد مسعود الثالث هو بهرام شاه الذي قدم في حماية السلطان سنجر. (ابن الأثير ١٠/١٧٧، والجوزجاني ١٠٨). كان أرسلان حاكماً على زاميندوار وغرمشهير. عندما وقف أرسلان ضد أرملة أبيه، أخت السلطان سنجر، فإن الاتفاق الذي عقده ابراهيم نقض ومصير الغزنويين صار محسوماً.

احتل سنجر زبولستان وحرك قواته الى غزنة. أما أرسلان فقد هُزم وذهب الى الهند حيث مات في الحرمان في شوال سنة ٥١١ هـ (الجوزجاني ١٠٨ ـ ١٠٩) وأعلن حاكماً بهرام شاه (١١١٨ ـ ١١٥٣ م) الذي في عهده بدأ احتلال بقايا الامبراطورية الغزنوية من قِبل الغورية. في عهد الغزنويين الأخيرين ـ خسرا شاه (١١٥٣ ـ ١١٦٠) وخسرا ملك (١١٦٠ ـ ١١٨٢) كانت كل اقطاعات الغزنويين بيد الغوريين. أنظر ابن الأثير (١٠/١٧٧ ـ ١٧٨)، الجوزجاني (١٠٩ ـ ١١٥)، البنداري (١١٧، ٢٣٥، ٢٣٨ ـ ٢٣٩، ٢٤٤).

فعينّ لجقربك داود بن ميكائيل ابن سلجوق من نيسابور الى جيحون الى ما يفتحه من وراء النّهر ففتح خوارزم « ١١ ـ أ » وبخارى وبلخ ؛ ولابراهيم ابن ينال وهو أخو السّلطان طغرل من الأمّ قهستان وجرجان ؛ ولأبي علي الحسن بن موسى بن سلجوق هراة وبوشنج وسجستان و بلاد الغور ؛ وهذا كلّه في سنة ثلاثين وأربع مائة . وفيها ملك السّلطان طغرلبك عراق[1] ، وبعث السّلطان شهاب الدّولة قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق

(١) بعد الانتصار في دندانقان في حزيران ١٠٤٠ م عقد زعماء السلاجقة اجتماعاً شارك فيه جغري بك داوود، طغرل بك، ارتاش يبغو، وآخرون من أخوتهم والشيوخ الكبار وقادة الجيش. وقد لعب طغرل بك الدور الأكبر في الاجتماع الذي تقرر فيه أنه من أجل تأسيس دولة لابُدَّ من أن يتحمل مسؤوليتها كل سُلالة سلجوق الذين باسم مصالحهم المشتركة يجب أن يكونوا موحدين. هدفُ الجميع كان واحداً: « السيطرة على العالم » وأن تتراجع المصالح الفردية والشخصية أمام الهدف العام.

أول قرارٍ اتُّخذ في الاجتماع كان رسالة الى الخليفة القائم بأمر الله:

« إننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائماً الحضرة النبوية المقدسة وأحببناها من صميم قلوبنا، ولقد اجتهدنا دائماً في غزو الكفار وإعلان الجهاد، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة، وكان لنا عمٌّ مقدم محترم بيننا اسمه اسرائيل بن سلجوق، قبض عليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم أو جناية وأرسله الى قلعة كالنجر ببلاد الهند، فبقي في أسره سبع سنوات حتى مات واحتجز كذلك في القلاع الأخرى كثيراً من أهلنا وأقاربنا. فلما مات محمود وجلس في مكانه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب.

فلا جرم إذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم ولكن مسعوداً وجه الينا جيشه فوقعت بيننا وبينه المعارك تناوبناها بين كرٍ وفرٍ وهزيمة وظفر حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز الينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل بفضل اقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة، وانكسر مسعود وأصبح ذليلاً، وانكفأ علمه وولى الأدبار تاركاً لنا الدولة والاقبال.

وشكراً لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر فنشرنا عدلنا وانصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو أن تكون في هذا الأمر قد نهجنا وفقاً لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين » الراوندي ١٦٦ ـ ١٦٧، البنداري ٧ ـ ٨، النيسابوري ١٧ ـ ١٨ رشيد الدين ٢/٥، ١٨ ـ ١٩.

الى جبال أرمينية واذربيجان فملكها[1]، وانتزع الموصل من يد أمير العرب قريش بن بدران بن المقلّد بن المسيّب العُقَيْلي[2] وما جاورها من أعمال ديار مُضَر .

= هذه الرسالة كانت أول اشارة الى نشوء الدولة السلجوقية وقد تم بعدها تقسيم الاقطاعات الغزنوية بين الأمراء السلاجقة الراوندي ١٦٧، فاردان ٢٠ ـ ١٢١، ابن العبري ١/٢٩٩.

بعد سنة واحدة من انتصار دندانقان تمّ في نيسابور صك أول عملة باسم طغرل (٤٣٣ هـ) في السنوات التي تلتها تمّ صك النقود باسمه في الريّ. هذا كان علامة على أن طغرل هو الرجل الأول في الدولة.

جرجان (غرغان) ـ مقاطعة الى الجنوب الشرقي من بحر قزوين. أنظر ياقوت ٢/١١٩.

بوشنج ـ بُليدة من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ. ياقوت ١/٥٠٨.

غور ـ مقاطعة في وسط أفغانستان بين هراة وغزنة في القسم الأعلى من نهر هري ـ رود وحيلمند فيها قلعة فيروزكوه. ياقوت ٤/٢١٨.

(١) احتلال ارمينيا وأذربيجان من قبل قتلمش يؤكدها ما أورده العاظمي ١٠٩٠ ـ ١١٦١) وابن دُقماق (١٣٤٩ ـ ١٤٠٦ م) حول حصار قتلمش لكنجة عام ٤٣٨ هـ. عن أحداث ٤٣٩ هـ يكتب عاظمي أنّ ينال، أخ طغرل بك، عاد الى بلاد الروم الذين التقوه سوية مع ليباري الأبخازي. في هذه الموقعة هُزِم الروم وأقتيد الأبخازيون أسرى عند طغرل بك. واحتل الترك رزان وكليغال أما قتلمش فكان آنذاك يحاصر كنجة منذ أكثر من نصف سنة لكنه عاد عنها بعد ذلك. أنظر بونياتوف ١٨٤.

مايتوس أورفايتس (٨٥ ـ ٨٦) يكتب أنه بأمر طغرل توجه من بلاد ايران إلينا جيش كبير على رأسه ابراهيم ينال وقتلمش اللذين سارا الى أرمينيا وكانوا يعرفون أن كل أرمينيا بسبب البيزنطيين كانت بلا حماية. تقدم السلاجقة الى مدينة ارزان حيث اعملوا السيف في مئة وخمسين ألف رجل. وكانت أول مدينة تؤخذ بالسيف وذلك سنة ٤٩٨ حسب التقويم الأرمني (١٠٤٩ ـ ١٠٥٠ م).

استولى طغرل بك على أرمينيا وأذربيجان سنة ٤٤٦ هـ أنظر ابن الأثير٩/٢٠٧، ابن العبري ١/٣٠٨.

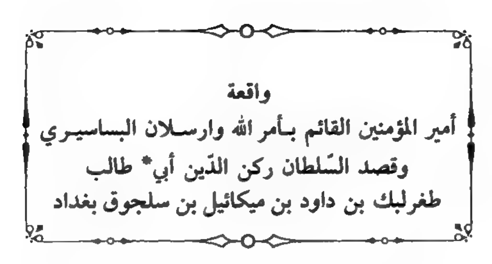
(٢) علم الدين عز الدولة أبو المعالي قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب (في الأصل: المسيب بن المقلد) ـ من قبيلة عُقيل. كان حاكم نصيبين والموصل والأنبار توفي عام ٤٥٣ هـ عنه بالتفصيل أنظر ابن الأثير ١٠/٦ وما يليها، البنداري ١٢ ـ ١٦، ٢٤.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربع مائة فيها تزوّج أمير المؤمنين القائم بأمر الله بنت الملك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، على صداق مائة ألف دينار[1] . وخلع الخليفة على السّلطان طغرل سبع خلع ، وطوّقه وسوّره ، وكتب له عهداً على ما وراء بابه ، وخاطبه سلطان المشرق والمغرب ، فعظمت هيبته ، وكثرت شوكته ، واتّسعت مملكته[2] .

---

(١) أنظر في ذلك ابن الأثير (٩/٢١٤)، البنداري (١١)، ابن العبري ١/٣٠٨.
بنت داوود اسمها: أرسلان ـ خاتون خديجة.

(٢) عام ٤٤٧ هـ وقبل انتهاء رمضان بخمسة أيام دخل طغرل بك بغداد حيث خُطب له وصكت النقود باسمه. وتلقى طغرل لقب ركن الدولة والدين السلطان المعظم أبو طالب طغرل بك يمين أمير المؤمنين. (ابن الأثير ٢١١/١٠ ـ ٢١٢، الراوندي ١٠٣ ـ ١٠٤، فاردان ١٢١ وغيرها).



واقعة
أمير المؤمنين القائم بأمر الله وارسلان البساسيري
وقصد السّلطان ركن الدّين أبي* طالب
طغرلبك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بغداد

كان أبو الحارث ارسلان البساسيري في أيّام الخليفة القائم بأمر الله « ١١ ـ ب » مقدّم الأتراك . وبساسير بلدة من بلاد فارس . والبساسيري كان يخاطب الأمير** القائم بأمر الله بتحكّم لا يرعى فيه جانب الحرمة ، ويجرّعه أنواع الغصص . فاستغاث أمير المؤمنين القائم بأمر الله بالسّلطان طغرلبك(١) ، فارتحل السّلطان من خراسان يوم الأربعاء الرّابع عشر من ذي الحجّة سنة تسع وأربعين وأربع مائة ، في جيش لجب وشوكة قائمة . فلمّا وصل الى حدود بغداد ، فرّ البساسيري وشقّ بطون

* في الأصل : أبو .

** كذا في الأصل . والسياق يقتضي أن تكون اللفظة الإمام الذي هو لقب للخليفة ، وأما مخاطبة البساسيري ، المعروف بنفوذه ، للأمير الذي عند الخليفة بتحكم فلا شيء فيه لأنه كان يخاطب السلاطين والخلفاء بتحكم أكثر من ذلك بكثير .

(١) أبو الحارث أرسلان المظفر البساسيري (؟ ـ ١٠٦٠) ـ مقدّم تركي وقائد حامية بغداد أيام حكم البويهيين الأخير لفارس والعراق (٩٣٢ ـ ١٠٥٥) . كان وزير القائم بأمر الله . وكان لنفوذه واستقلاليته ودعمه للمجموعات الشيعية في العاصمة أن ولد استياء لدى الخليفة والوزير الأول رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن مسلمة . فأرسل هؤلاء إلى السلطان طغرل بك يطلبون منه التوجه الى بغداد مع عساكر لتحريرها من سطوة البساسيري ومؤيديه . وقد اضطر البساسيري للهرب إثرها من بغداد . أنظر ابن الأثير ٢١١/٩ ، البنداري ٩ ـ ١٠ ، الراوندي ١٧١ ، رشيد الدين ٢/٥ ، ٢١ ـ ٢٢ ، ابن خلكان ١٧٢/١ ـ ١٧٣ .

الفلوات ، وأقام بالرّحبة وهي من بلاد الشّام . فبعث اليه المستنصر صاحب مصر(1) بالخلع والهدايا . وكان مع البساسيري الملك الرّحيم أبو نصر حفيد عضد الدّولة من آل بويه ، فغادره البساسيري وانفصل عنه .

فورد السّلطان طغرلبك بغداد في الخامس والعشرين [من] صفر سنة خمسين وأربع مائة ، وأخذ الملك الرّحيم وأنفذه الى الرّي ، وحبسه في قلعة طَبَرَك حتّى مات فيها . وانقضى مُلك بني بويه ، وكانت مدّة ملكهم مائة سنة وسبعاً وعشرين سنة (2) .

وسار السّلطان طغرل بك على اثر البساسيري ، وانفصل من بغداد في الخامس والعشرين من رجب سنة خمسين وأربع مائة . فلمّا وصل نصيبين ، انفصل عن السّلطان طغرلبك أخوه لأمّه ابراهيم بن ينال ، وعاد الى العراق ومعه من الجيوش « ١٢ - أ » أسْود خوادر . فانفصل السّلطان عن نصيبين على أثره . فلمّا وصل السّلطان طغرل الى همدان ، اشتدّ ساعد ابراهيم وقوي أمره . وبقي السّلطان طغرل في همدان محصوراً ، واجتمعت العساكر على ابراهيم . وكان السّلطان الب أرسلان بسجستان ، فورد عليه كتاب عمّه السّلطان طغرل وقال :

---

(1) أبو تميم معدّ المستنصر بالله - خليفة مصر الثامن من الدولة الفاطمية(١٠٣٦ م -١٠٩٤ م).
أرسل إلى البساسيري «من المال خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك وخمسمائة فارس وعشرة الاف قوس ومن السيوف ألوف ومن الرماح والنّشاب شيء كثير». النجوم الزاهرة ١١/٥ - ١٢.

(2) أبو نصر خسروي فيروز الملك الرحيم (١٠٤٨ - ١٠٥٥) - آخر حاكم من آل بويه في فارس والعراق. بعد دخول السلطان طغرل بك الى بغداد حذف اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة وحُبس أبو نصر في قلعة سيراوان في الجبال، ومن هناك إلى قلعة طَبَرَك، قرب الريّ، حيث مات في نهاية رمضان ٤٥٠ هـ.

امتدت الدولة البويهية من ١١ جادى. ٣٣٤ إلى آخر رمضان ٤٤٧ هـ. أي حوالي ١١٣ سنة و ٤ أشهر. أنظر ابن الأثير ٢١٢/٩ وابن الجوزي ١٦٤/٨.

إنّ أخي نـازعني حقّي ، وسعى في افسـاد ملكي ، ولا بـدّ لي من اعانتك وامدادك .

فسـار السّلطان ألب أرسلان من سجستـان الى حدود العـراق في مدّة عشرة أيام ، على طريق المفازة ، فورد حضـرة السّلطان طغرل . فـأصبحا وجهّز [ا] الجيوش في التّاسع عشـر من جمادي الآخـر سنة احـدى وخمسين وأربع مائة . ولما قام قائم الـظّهيرة ، أخـذ السّلطان ألب أرسلان ابـراهيم ابن ينال ، وقاده أسيراً إلى سرير عمّه السّلطان طغـرل . وانفصل السّلطان ألب أرسـلان سالمـاً غانمـاً تلقاء خـراسان . وقُتـل ابراهيم بن ينـال في يوم الأربعاء التّاسع عشر من جمادى الآخر سنة احدى وخمسين وأربع مائة[1] .

ولّما سمع البساسيري بالمخالفة الواقعة بين السّلطان طغرل وبين أخيـه من أمّه ابراهيم بن ينال ، عاد إلى بغداد ومعه قـريش بن بدران بن « ١٢ـ ب » المقلّد بن المسيّب العُقَيْـلي ، الملقّب بِعَلَم الـدّين سلطان العـرب ، ودخـلا بغداد يـوم السّبت المتصف من شوّال سنـة خمسين وأربـع مائـة . وكانت بغداد خـالية من العسكـر ، فحاربهم غـاغة بغـداد . وكان أمـير المؤمنـين القائم بـأمر الله راكبـاً في صحن داره بغلة شهباء ، ومعـه وزيـره

---

(١) بعد تركه بغداد دخل البساسيري في علاقة تحالف مع ابراهيم ينـال الذي بمساعدتـه في الصراع على السلطة في الدولة السلجوقية، وقف بوجه السلطان طغرل بك وتوجه بعساكره إلى همذان ـ عاصمة الدولة السلجوقية. فاحتلها واستولى عـلى خزنـة السلطان وكل مخـازن السلاح والأمتعة. فتـوجه طغـرل بك حـالاً إلى همذان، لكنـه حوصـر من قبل إبـراهيم. فأرسل طغرل إلى وزيره في بغداد الكندري، وإلى زوجته وابناء أخيه ألب أرسلان، ياقوتي وقاورت بـك. فقدم ألب ارسلان مع جيش كبير هزم ابـراهيم ينال قـرب الري وأُسـر مع اثنين من ابناء أخيه ارتاش يبغو: محمد وأحمد. وقد قُتل ابراهيم، بعـد ذلك، خنقـاً بوتـر القوس في ٩ جمادي الآخر ٤٥١ هـ. ابن الأثير ٩/٢٢٣ ـ ٢٢٦، ابن الجوزي ٨/١٩٧ ـ ٢٠٢ ، الراودي ١٧١ ، البنداري ١٥ ـ ١٦ ، الجوزجاني ١٢٥ ، النجوم الزاهرة ٥/٦ ، رشيد الدين ٢/٥، ٢٠ ـ ٢٢.

رئيس* الرّؤساء . فقرع الباب قريش بن بدران بمقرعته ، وقال لأمير المؤمنين القائم بأمر الله : اخرج أيّها الشّريف ولا تُهلك نفسك ، ولك الأمان ؛ ولم يخاطبه بأمير المؤمنين . فخرج القائم راكباً ، فحمله الأمير مُهارش العُقَيْلي الى قلعة الحديثة[1] ، وحمل الوزير على حمار وردفه يهوديّ واليهوديّ يصفعه ،وينتف لحيته ، ويقول : مولانا وقّعْ هذا المثال . ثمّ صلب الوزير[2] وخطبوا ببغداد يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوّال سنة خمسين وأربع مائة على المتنصر بالله العُبيدي صاحب مصر . ونزعوا الثّياب السّود ، ولبسوا الثّياب البيض ، وضربوا بألقابه الدّنانير . وبقيت هذه الفتنة في بغداد الى شوّال سنة احدى وخمسين وأربع مائة .

فلمّا قتل ابراهيم بن ينال ، سار السّلطان طغرل متوجّهاً الى بغداد ، وكتب الى عَلَم الدّين قريش بن بدران وكلّفه ردّ أمير المؤمنين القائم بأمر الله إلى دار الخلافة . فوصل القائم بأمر الله « ١٣ ـ أ » الى مدينة السّلام يوم الاثنين الحادي عشر من ذي القعدة سنة احدى وخمسين وأربع مائة ، فاستقبله السّلطان طغرل بعساكره . فلمّا وقعت عينه على السّرادق ، رمى نفسه عن فرسه ، ودخل وقبّل الأرض سبع مرّات . فأخذ الخليفة مخدّة فطرحها للسّلطان ، فأخذها وقبّلها ثمّ جلس عليها . وأخرج الخليفة من قبائه الحبل ياقوت* الأحمر الذي كان لبني بويه ، واثني عشر حبّة من

---

* في الأصل : من .
* في الأصل : الحبل الياقوت .

(١) أمير مهارش ابن المجلي العقيلي ـ ابن عم قريش بن بدران.

حديثة الفرات وتعرف بحديثة النورة ـ وهي على فراسخ من الأنبار وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها. ياقوت ٢ / ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٢) وزير الخليفة القائم ـ رئيس الرؤساء علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن مسلمة كان مثقفاً كبيراً وشهيراً. تسلم الوزراة لمدة ١٢ سنة وصلب في الخامس من شباط ١٠٥٩ . أنظر ابن الجوزي ٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

اللّؤلؤ الثّمين . فوضعها بين يدي السّلطان ، وأخبره أنّه من عند خديجة خاتون ، زوجة الخليفة ، وسأله قبولها ، واعتذر السّلطان اليه عن تخلّفه عنه .

ثمّ رحل الخليفة الى بغداد ، فدخلها والعسكر محتفّ به . ثم ترجّل السّلطان ، وحمل الغاشية الى قريب دار الخلافة ، وترجّل جميع أكابر الأمراء . ثم أخذ بلجام بغلة الخليفة ، ومشى بين يديه وهو قابض على لجامها حتّى دخل باب الحجرة ، وذلك لخمسٍ بقين من ذي القعدة . وفي مثل ذلك اليوم ، كان خروج الخليفة عن داره ، فكانت مدّة غيبته عن بغداد سنة كاملة . واستقامت ثغور الخلافة ، وركب السّلطان وحثّ على طلب البساسيري وأخذه وقتله وحمل رأسه الى بغداد ، حتّى صُلب على جذعٍ صلب عليه وزير الخليفة[1] . « ١٣ ـ ب » وورد حضرة السّلطان جميع أمراء العرب طائعين . وتزوّج السّلطان كريمة أمير المؤمنين القائم بأمر الله على صداق مائة ألف دينار ، وكان الزّفاف ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر سنة خمس وخمسين وأربع مائة بخراسان[2] . ثمّ انصرف السّلطان من بغداد في خامس ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة .

توفّي السّلطان الأعظم ركن الدّنيا والدّين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق ، رحمه الله ، يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربع مائة وكان عمره سبعين سنة[3] . نُقِل عن الوزير

---

(١) حول أحداث بغداد والعراق المرتبطة بالبساسيري أنظر: ابن الأثير ٩/٢٢٣ ـ ٢٢٩، ابن الجوزي ٨/ ١٩٠ ـ ١٩٧ ، البنداري ١٥ ـ ١٨ ، ابن العبري ١/ ٣٠٩، ٣١٣ ـ ٣١٥، ابن الوردي ٨/٢٢٦، الراوندي ١٧١ وما يليها .

(٢) هي ابنة الخليفة، سيدة النساء. تم العرس في تبريز التي كانت تحت سيطرة طغرل. أنظر ابن الأثير ١٠/٨، ابن الجوزي ٨/٢٢٦، في الراوندي (١٧٦) أنها أخت الخليفة.

(٣) لم يورث طغرل بك عقباً وترك وصية يخلفه فيها، بعد موته، على العرش ابن أخيه: =

عميد الملك أبي* نصر الكُنْدري أنّه قال : سألت عن السّنة الّتي وُلِد فيها فقال : السّنة الّتي خرج فيها الخان الفلاني بما وراء النّهر . فلمّا توفّي حسبت المدّة فكانت سبعين سنة كاملة . ونُقِل عن القاضي أبي* بكر النّيسابوري : قال لي عميد** الملك الكُنْدري : قال لي السّلطان : رأيت في ابتداء أمري بخراسان ، كأنّي رُفعت إلى السّماء ، وأنا في ضباب لا أبصر إلاّ أنّي أشمّ رائحة طيّبة ، وكأنّي أُنادى : سل حاجتك تُقْضَ . فقلتُ : ما شيء أحبّ إليّ من طول العمر . فقيل لي : عمرك سبعون سنة[1] . وتوفّي في اليوم الّذي ذكرناه . وتمّت له السّلطنة في سنة ثلاثين وأربع مائة « ١٤ ـ أ » فكانت مدّة سلطنته أربعاً وعشرين سنة وأشهر [اً]. ودفن بمرو عند قبر أخيه الملك جقربك داود بن ميكائيل بن سلجوق[2] .

---

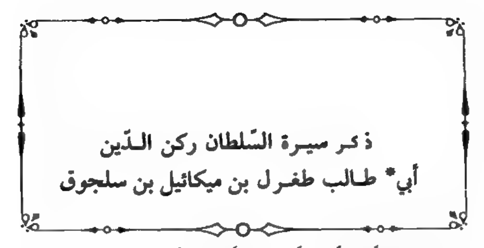
* في الأصل : أبو .

** في الأصل : عبد .

= سليمان وكانت أمه بعد موت داوود قد تزوجت طغرل بك. وكان قيّماً على الوصية وزيره عميد الملك الكندري. خزنة طغرل بك كانت قد وزعت كلها على الجند. كما أُرسلت إلى ابن أخ طغرل بك: ألب ارسلان رسالة فيها تنصيبه نائباً عن خراسان. وانقسم الأمراء فيما بينهم حول الخلافة، فوقفت الأكثرية منهم إلى جانب ألب أرسلان وخطب عميدُ الملك بالريّ للسلطان ألب أرسلان ولأخيه سليمان. أنظر ابن الأثير ١٠/١٠ ـ ١١، البنداري ٢٨، ابن العبري ١/ ٣١٦.

(١) أنظر ابن الأثير ٩/١٠ وابن خلكان ٢٢٨/٣ والبنداري ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) مات جغر بك داوود في صفر ٤٥١ هـ أو في رجب من نفس السنة . . أنظر ابن الأثير ٢/١٠ والجوزجاني ١٣٢/١ ـ ١٣٧ .



ذكر سيرة السّلطان ركن الدّين أبي* طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق

كان شجاعاً حليماً كريماً ، محافظاً على الطّاعة ، وصلاة الجماعة ، وصوم الأثنين والخميس ، وتخليق النّفس بالخلق النّفيس . وكان يلبس الواذاريّ[1] والبياض ، وأشبهت أيّامه ، لمحاسن سيره الرّياض . وكان لا يرى القتل ولا يسفك دماً ، ولا يهتك محرماً . وكان شديد الاحتمال ، سديد الأقوال . وكان كثير الصّدقات ، حريصاً على بناء المساجد ، ويقول : أستحيي من الله تعالىٰ أن أبني داراً ولا أبني بجنبها مسجداً . وحكى الوزير عميد* الملك الكُنْدري أنّه لمّا مرض قال : إنّما مثلي في مرضي مثل شاة تُشدّ قوائمها لجزّ الصّوف ، فتظنّ أنّها تُذْبح فتضطرب ، حتّى إذا أُطلقت تفرح ؛ ثم تُشدّ قوائمها للذّبح فتظنّ أنّها لجزّ الصّوف ، وتسكن فتُذْبح ؛ وهذا المرض شدّ القوائم للذّبح[2] . ولم يكن للسّلطان طغرل نسل ، وكان وليّ عهده ابن أخيه السّلطان ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق[3] .

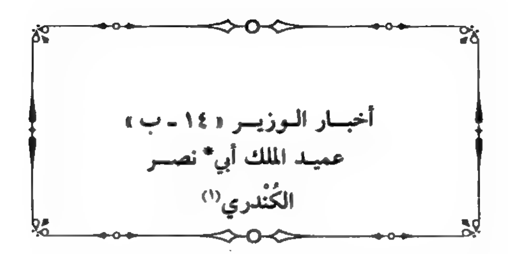
---

* في الأصل : عبد .

(1) الواذاري: نوع من القماش المعدّ في قرية واذار قرب سمرقند (الثعالبي ١٢٦).
والواذار: إحدى قرى سمرقند تقع على بعد أربعة فراسخ منها. فيها منارة وجامع وحصن حسن. (ياقوت ٣٦٩/٥).

(٢) أنظر حول هذه القصة: ابن خلكان ٢٢٨/٣ .

(٣) حول سيرة طغرل بك أنظر: ابن الأثير ٩/١٠ ـ ١٠، ابن خلكان ٢٢٤/٣ ـ ٢٢٩، الجوزجاني ١٢٦ ـ ١٣٢ .



أخبــار الـوزيــر « ١٤ ـ ب »
عميـد الملك أبي* نصــر
الكُنْدري[1]

كـان من أولاد دهاقـين كندر ، وقـد تعلّم بنيسابـور . وكان عـلي بن الحسن البـاخرزي[2] شـريكـه في مجلس الامـام الموفّق النّيسـابـوري[3]. فتراقى أمر الوزير أبي* نصر الكندري ، وكان أوّل عمله حجابة الباب .

---

* في الأصل : أبو .

(١) عميد الملك أبو نصر بن أبي صالح محمد بن منصور بن محمد الكندري الجرّاحي (قُتل في ٢٩ تشرين الثاني ١٠٦٤) ـ الوزير الأول لأول سلطان سلجوقي طغرل بـك وإحدى أهم الشخصيات في أيامه.

طرد من الدولة كبار فقهاء الشافعية ومن بينهم استاذه الخـاص. مدحـه في قصيدة الشـاعر المعاصر المعروف ـ الباخرزي. أنظر ابن خلكان ٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٥ .

كندر ـ قرية من نواحي نيسابور. ياقوت ٤/ ٤٨٢ .

(٢) أبو الحسن عليّ بن الحسن (في المخطوطة بن الحسين) بن علي بن أبي الطيب الباخـرزي السّنخي من باخرز من نواحي نيسابور مصنف كتاب دمية القصر في شعراء العصر. تـوفي في ذي القعدة سنة ٤٦٧ قتلاً في مجلس أنس بباخـرز. وكان واحـد دهره في فنـه وصاحب الشعر البديع. أقام بالبصرة برهة بعد أن ورد إلى بغداد مـع الوزيـر الكندري. تفقّهَ على الشيـخ أبي محمد الجـويني. اختلف إلى ديوان الـرسـائـل وتنقّلت بـه الأحـوال في المـراتب والمنازل. أنظر: الأدباء ١٣/ ٣٣ ـ ٤٨. وابن خلكان ٣/ ٣٨٧.
باخرز ـ كورة بين نيسابور وهراة (ياقوت ١/ ٣١٦).

(٣) الإمام ضياء الدين الموفق أبو المعالي عبد الملك بـن أبي محمد عبد الله بـن يوسف بن عبـد الله بن يوسف الجويني النيسابوري (١٠٢٨ ـ ١٠٨٥ م). إمام الحرمين وأحد أشهـر علماء المدرسة الشافعية في الاسلام. أنظر عنه بالتفصيل: ابن خلكان ٢/ ١٢٠ ـ ١٢٣ .

وكان في مدّة السّلطنة للسّلطان طغرل بك وزيراً متمكّناً ، فورد عليه الشّيخ علي بن الحسن الباخرزي وهو ببغداد في صدر الوزارة في ديوان السّلطان ، فلمّا رآه الوزير قال : أنت صاحب « أقبل » ؟ فقال : نعم . فقال له الوزير : مرحباً وأهلاً ، فإنّي تفاءلت بقولك « أقبل » . ثمّ خلع عليه قبل انشاده وقال : عُدْ غداً وأنشد . فعاد في اليوم الثّاني وأنشد هذه القصيدة[1] :

أقوت مغانيهم بشط الوادي ... فبقيت مقتولاً وشطَّ الوادي
غـرَّ الأعاديَ منه رونق بشره ... وأفادهم برداً على الأكباد
هيهات لا يخدعهم ايماضه ... فالغيظ تحت تبسّم الآساد

فلما فرغ من انشاده قال الوزير لأمراء العرب : لنا مثله في العجم ، فهل لكم مثله في العرب ؟ وأمر له بألف دينار[2] . وبعثه السّلطان الأعظم عضد الدّولة ألب ارسلان بن داود بن سلجوق ، ووكّله حتّى تزوّج بنتاً لخوارزمشاه[3] من السّلطان . فوقع أرجاف ورُفع « ١٥ ـ أ » الى السّلطان أنّ الوزير عميد الملك زوّجها من نفسه وخان فتغيّر عليه رأي السّلطان ، فحلق عميد الملك لحيته ، وجبّ مذاكيره ، حتّى سلم من سياسة السّلطان . فمدحه الشّيخ علي بن الحسن الباخرزي بهذا النقصان حيث قال [4]:

---

(١) الأبيات واردة في: معجم الأدباء ٤١/١٣ . ولكن بدلاً من مغانيهم: معاهدهم.

(٢) القصة ترد في: معجم الأدباء ٤٢/١٣ ـ ٤٣.

(٣) يؤكد ذلك الزواج من قبل ألب أرسلان كلٌّ من: ابن خلكان (١٤١/٥) وابن الجوزي (٢٣٩/٨). وفي ابن الأثير (١١/١٠) والبنداري (٣٠) ومعجم الأدباء (٤٢/١٣) أن الزواج تمّ من قبل السلطان طغرل بك.

(٤) الأبيات مع اختلافات طفيفة ترد عند ابن خلكان (١٤١/٥ ـ ١٤٢) وياقوت (معجم الأدباء ٤٣/١٣) وابن الأثير (١١/١٠).

قـالـوا محا السّلطـان عنـه بعـدكم — سمة الفحـول وكان قـرماً صـائـلاً
قلـت اسكتـوا فـالآن زاد فحـولـة — لـمّـا اغتـــدى من انثييـه عـــاطـلاً
فـالفحـل يـأنف أن يسمّى بعضـه — أنثى لـــذلـــك جــدّه مستــأصـــلا

ولّـما فُوّضت الـوزارة إلى نظام الملك قـوام الـدّين الحسن بن عـلي بن إسحٰق الطّوسي ، عُزل الوزير عميد الملك وحُبس[1] ، فقال في حبسه :

المـــوت مُـــرٌّ ولـكنّـي اذا ظـمـئـت — نفسي إلى العزّ مستحـلٍ لمشربـه
وزارةٌ بـاض في رأسي وسـاوسُهـــا — تـــدور فيـه وأخشى أن تـــدور بـه

وقال أيضاً[2] :

إن كان بالنّـاس ضيق من منافستي — فالموت قد وسّع الدّنيا عـلى النّاسِ
مضيت والشـــامت المقبـــور يتبعني — كـلٌّ لكأس المنـايا شـارب حـاسي

وكان الوزير عميد الملك محبوساً في نيسابور ، في دار عميد خراسان . ثم نُقل الى مرو الرّود وحُبس في دارٍ ، وفي حجرة من تلك الـدّار عيالـه ، وله من الأولاد بنت فحسب .

فلمّا أحسّ بالقتل ، دخل الحجرة « ١٥ ـ ب » فـأخرج كفنـه ، وودّع عياله ، وأغلق باب الحجرة ، واغتسل وصلّى ركعتين ، وأعطى الّـذي همّ بقتله مائة دينار وقال : حقّي عليك أن تكفّنني في هذا الثّوب الّذي غسلتـه

---

(١) خـدم الكندري وزيراً عند السلطان ألب أرسلان كذلـك. وكـان نـظام الملك يغـار من استقلالية الكندري وقرر العمـل على ابعـاده. وما إن علم الكنـدري بذلـك حتى أتى عند نظام الملك وأعطاه ٥٠٠ ألف (في ابن الأثير ٥٠٠) دينار. ولما انصرف من عنـده سار معـه أكـثر الناس، فخـوّف نظامُ الملك السلطان وقـرروا اعتقال الكنـدري. أنظر في ذلـك ابن الأثـير ١٠/١٠ ـ ١١، ابن الجوزي ٢٣٩/٨، البنـداري ٢٩، الـراونـدي ١٨٦، رشيـد الدين ٢/٥، ٣٠ ـ ٣١.

(٢) الأبيات مع اختلافات طفيفة في ابن الأثير ١١/١٠.

من ماء زمزم . وقال للجلّاد : قل للوزير نظام الملك : بئس ما فعلتَ ، علّمتَ الأتراكَ قتلَ الوزراء وأصحاب الدّيوان ، ومن حفر مَهْواة وقع فيها ، ومن سنّ سنّةً سيّئةً فله وزرها ووزر من عمل بها الى اليوم القيامة[1] . ورضي بقضاء الله المحتوم ، وذلك في يوم الأحد السّادس عشر من ذي الحجّة ، سنة ستّ وخمسين وأربع مائة .

فرثاه الشّيخ علي بن الحسن الباخرزي مخاطباً للسّلطان الب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق :

وعمّك أدناه وأعلى محلّه ... وبوّأه من ملكه كنفاً رحبا
قضى كلّ مولىً منكما حقّ عبده ... فخوّله الدّنيا وخوّلته العقبى[2]

---

(١) في الراوندي (١٨٧) أن الكندري أوصى الجلاد بعد أن يقتله بأن يقول للوزير، « لقد ابتدعت بدعة سيئة ووضعت قاعدة خبيثة بقتل الوزراء. إني لأرجو أن تتبع فيك وفي أعقابك هذه السنّة التي اتبعتها معي ».

حول أيام الكندري الأخيرة أنظر: ابن الأثير ١٠/١٠ ـ ١١، ابن الجوزي ٨/٢٣٩، ابن خلكان ٣/٢٩٤ ـ ٢٩٥، ابن الوردي ١/٥٥٧ ـ ٥٥٨. الراوندي ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) الأبيات مع اختلافات طفيفة في: معجم الأدباء ١٣/٤٣ وابن خلكان ٥/١٤٢ وابن الأثير ١٠/١١.

قصّة الملك جقربك
داود بن ميكائيل بن سلجوق ومحاربة السّلطان عضد الدّولة أبي* شجاع ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق مع السّلطان مودود بن مسعود ابن محمود بن سبكتكين وانهزام مودود والمصالحة

أُنمي إلى الملك جقربك داود بن ميكائيل، أنّ أمراء فرازباج** يؤدّون الخراج الى غزنة . فقصد نواحي قرارباج** ووقعت بينه وبين بعض الأمراء محاربة ، وتحصّن « ١٦ ـ أ » ذلك الأمير بالقلعة حتّى ونيت أسبابه ، وفلّت شوكته . فطلب الأمان وانحدر من القلعة[١] ، وأهدى الى الملك جقربك داود ألف فرس من الآلات ، وسكّيناً مقبضة من اللّعل قريب من ستّين مثقالاً . وبقي ذلك السّكّين في خزائن السّلجوقيّة إلى سنة ثمان وأربعين وخمس مائة عند استيلاء الغزّ . ثمّ أصاب الملك داود من اليرقان مسّ ، وبراه المرض ، وتحقّق عند السّلطان مودود سقمه ، وضعف مزاجه ، فجهّز جيشه الى خراسان[٢] . ففوّض الملك داود ولاية عهده الى

---

* في الأصل : أبو .

** كذا .

(١) جرت المعركة المذكورة في خريف ١٠٤٠ . بعد هزيمته للعسكر الغزنوي بقيادة السلطان مودود، حاصر جغر بك داوود البلخ حيث ظهر فيها أحد أمراء الغزنويين ـ التون تاش. فسلّم هذا الأخير المدينة لجغر بك وانخرط في خدمته.

(٢) بعد الاستيلاء على مدن جوزجان وبادغيس وختلان وغيرها، مرض جغر بك من اليرقان. فاستغل ذلك السلطان مودود ووجه سنة ١٠٤٤ جيشاً للاستيلاء على بلخ وطخرستان. لكن السلاجقة بقيادة ألب أرسلان تمكنوا من سحق الغزنويين .

ولده السّلطان عضد الدّولة الب ارسلان . فأقام ألب ارسلان ببلخ مدّة ، حتّى انكشفت عنه هبوات وعثاء السّفر . ولمّا سمع قائد جيوش غزنة خبر السّلطان الب ارسلان ، جمع الجنود ولزموا مكانهم ، فحمل عليهم السّلطان الب ارسلان [و] ساق التّقدير منها إلى جيوش غزنة قتلاً ذريعاً ، وانهزاماً سريعاً . وأسر السّلطان الب ارسلان ألف رجل من القوّاد ، وغنم من الخيل والسّلاح ما لا يدخل في الحساب . فلمّا دخل على والده الملك داود ، أزال السّرورُ عنه مرضَه ، وأصبح معافاً في بدنه .

فلمّا بلغت الشّمس الحمل ، قصد الملك داود مع ولده الب ارسلان قلعة ترمذ ، وكوتوال القلعة الشّيخ الكاتب البيهقي . « ١٦ ـ ب » فكتب اليه الملك داود : اقطعْ أملك ورجاك عن سلاطين غزنة ، وانّ أخبارهم بخراسان قد درست ، ومعالم سعودهم قد انطمست ، فأَعْلِم أميرَكَ البيهقي أنّه لا ينال منهم وطراً ، ولا يحسّ أثراً . فخرج ووهب ضياعه وداره ببيهق للوزير أبي علي بن شادان ، وتوجّه الى غزنة[1] . ففوّض الملك داود ولاية بلخ وطخيرستان وترمذ وقباديان ووخش وولوالج[2] الى السّلطان الب ارسلان ، وشدّ أزره بوزارة أبي علي بن

---

(١) كوتوال (قائد) قلعة ترمذ هو أبو الحسن بن محمد الملقب بأميراك البيهقي . حمى القلعة لمدة ١٥ سنة من السلاجقة . سلّم القلعة ورفض الانخراط في خدمة السلاجقة ثم ذهب إلى غزنة حيث مات فيها عام ١٠٥٦ م .

كانت ترمذ في القرن ١٠ ـ ١٢ مركزاً تجارياً كبيراً وبوابة تصل سرخنداري مع أموداري .
بيهق ـ ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان من نواحي نيسابور بينها وبين نيسابور ستون فرسخاً . (ياقوت ١/٥٣٧ ـ ٥٣٨)

أبو علي شادان ـ متولّي البلخ : كان وزير الملك ألب أرسلان وكان في خدمته ككاتب الوزيرُ المقبل نظام الملك . أنظر ابن خلكان ١/٤١٣ .

(٢) قباديان ـ من نواحي بلخ . (ياقوت ٤/٣٠٣) .
ولوالج ـ مدينة في باذخشان في وادي أقساراي المركز الاداري لطخرستان (ياقوت ٥/٣٨٤) .

شادان . فعمّر ذلك الوزير تلك الولايات بكفايته ، وعمّ النّاس خيره* . ولّما قرب موته التمس من السّلطان الب ارسلان أن يفوّض الوزارة بعده الى الوزير نظام الملك .

ثمّ عصى صاحب خوارزم ، فقصد الملك داود خوارزم ، وفتح هزاراسب[1] في أسبوع ، ثم فتح كورة كوركانج ، ثمّ تيسّر له فتح سائر الولاية . واتّصل به أمير قفجاق[2] وأسلم على يديه وجرت بينهما مصاهرة . ثمّ كتب السّلطان مودود إلى ملوك الأطراف ، ودعاهم الى اعانته وامداده ، وأعدّ لهم الأموال وتفويض أعمال خراسان ونواحيها اليهم ، فأجابوه الى ذلك .

وانفصل السّلطان مودود من غزنة ، فاستقبله ملك الموت وغرب نجمه قبل الطّلوع ، وانصرف عساكره خائبين إلى غزنة . وكان الملوك قد انفصلوا من ديارهم ، لم تقرع « ١٧ ـ أ » أسماعهم خبر وفاة السّلطان مودود ، منهم الأمير كاليجار والي أصفهان . فهلك جميع عساكره في المفازة ، ومرض هو وانصرف إلى أصفهان[3] . وورد خاقان التّرك ترمذ ،

---

* في الأصل : خبره .

(١) كانت خوارزم في هذا الوقت تحت سلطة جندشاه ملك الذي كان يعمل بأمر الغزنويين. في المعركة (١٠٤٣ م) قتل شاه ملك، أما خوارزم فبقيت حتى عام ١٠٧٧ م تحت سلطة السلاجقة.

هزارسب ـ معناه بالفارسية ألف فرس: قلعة حصينة ومدينة جيدة الماء محيط بها كالجزيرة وليس لها إلا طريق واحد على ممر قد صنع من نواحي خوارزم بينها ثلاثة أيام. (ياقوت ٥/٤٠٤).

(٢) قفجاق ـ اسم قبيلة وليس اسم أمير. بعد هذه الأحداث انضم عدد من قبائل قفجاق للسلاجقة.

(٣) عماد الدين أبو كاليجار ابن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة (١٠٢٤ ـ ١٠٤٨) ـ حاكم همذان ونهاوند في فترة الفتوحات السلجوقية الأولى. كان حليف الغزنويين. خطب له ببغداد في صفر ٤٣٦ هـ. عنه أنظر بان الأثير ١٧٨/٩ ـ ١٨١.

وخـرّبهـا وأشـاع فيهـا النّهب والمصـادرة . وقصـد الأمـير خشكـا ولايـة خوارزم ، فطرده الملك داود وطرد السّلطان الب ارسلان الخاقان ، فخيّم* الخاقان على جيحون من جانب بخارى ، وقرع باب المصالحة . فعبر الملك داود على جيحون مع فارسين من خواصّـه ، وجلس مع الخـاقان في سـرير واحد ، وأكلا وشربا وتصالحـا وافترقا .

وانتهت نوبة سلطنـة غزنـة الى السّلطان فرّخـزاد بن مسعود ، فجهّـز جيشـاً جـرّاراً إلى خـراسـان ، فـاستقبلهم الأمـير قـطب الـدّين أتـابـك كلسارغ ، فأسـروه وقيّدوه وبعثـوه إلى غزنـة ، وأسروا جمـاعة من أركـان الدّولة . فاستأذن الب ارسلان من والده الملك داود بن ميكائيل ، وزحف اليهم في عساكره ، فانهزم منه عسكر غزنة ، وأسر كثيراً من أكابـر الدّولـة السّبكتكينيّة ، وأرباب المراتب . فأطلق السّلطان فرّخزاد الأسـراء ، وخلع عـلى أمير قـطب الـدّين أتـابـك كلسـارغ . ثم اتّفقت الآراء السّبكتكينيّـة والسّلجـوقيّة عـلى استبداد كـلّ واحد بملكـه ، وترك النّهـوض بغيـره[1] ، وكتب « ١٧ ـ ب » الشّيخ أبو الفضل البيهقي كتاب الصّلح ذلك[2] .

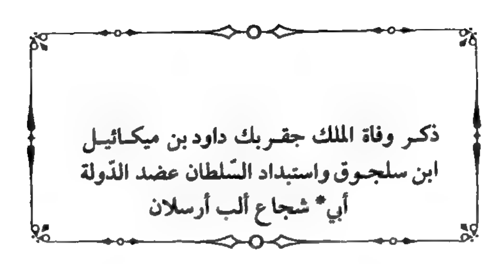
---

* في الأصل : ختم .

= عام ٤٣٩ هـ عقد صلح بين الملك أبي كاليجار والسلطان طغرل بك على أن يتزوج طغرل بك بابنـة أبي كاليجـار ويتزوج الأمير أبو منصـور بن أبي كاليجـار بإبنـة الملك داوود أخي طغرل بك. ابن الأثير ١٨٥/٩ ـ ١٩٢ .

(١) عندما علم جـغر بك داوود بمقتل عبد الرشيد ووصول فروخ زاده للسلطة جمع عسكره وتوجه إلى غزنة حيث وقف بوجه الحـاجب خرخيـز مع عسـاكره بعـد أن هُزم داوود رأس فروخ زاده حملة إلى خراسان. لكن السلاجقة هزمـوا ووقع قـائدهم كلسـارغ (أتابك ألب أرسلان) وعددٌ كبير من جنوده في أسر الغزنويين. أنظر ابن الأثير ٢٠٢/٩ .

(٢) أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي (٩٩٥ ـ ١٠٧٧) مدبّر شؤون الـدولة لـدى السـلطان الغزنوي ـ مؤلف تاريخ البيهقي (« تاريخ المسعود »).



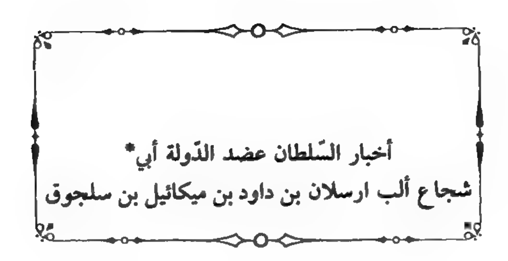
ذكر وفاة الملك جقربك داود بن ميكائيل ابن سلجوق واستبداد السّلطان عضد الدّولة أبي* شجاع ألب أرسلان

ثم أثّر المرض في الملك داود ، وزاد ضعفه ، وكان عمره سبعين** سنة . فتوفّي في صفر سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة في سرخس ، ونقل تابوته إلى مرو . وقام مقامه ولده ألب ارسلان ، وعاش السّلطان ركن الدّين طغرل بعد أخيه ثلاث سنين .

---

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : سبعون .



أخبار السّلطان عضد الدّولة أبي* شجاع ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق

لَمّا استبدّ السّلطان ألب ارسلان بالأمر ، واستوى على سرير الملك(1) ، بسط على الرّعايا جناح العدل ، ومدّ عليهم ظلّ الرأفة والبذل ، وقنع من الرّعايا بالخراج الأصلي في نوبتين من كلّ سنة . وكان يتصدّق في كلّ سنة بشهر رمضان بأربعة آلاف دينار ، ألف دينار ببلخ ، وألف دينار بمرو ، وألف دينار بهراة ، وألف دينار بنيسابور ، ويتصدّق بعشرة آلاف** دينار في حضرته . وكتب السُّعاة اليه سعايةً بنظام الملك الوزير ، وتعرّفاً بمكاسبه ، ووضعوه على طرف مصلاّه . فدعا السّلطان « ١٨ ـ أ » الوزير نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب ، فان صدقوا فيما كتبوه ، فهذّب أخلاقك وأصلح أحوالك ؛ وان كذبوا فاغفر للجازم ، وأشغل السّاعي بمهمّ من مهمّات الدّيوان ، حتّى يعرض عن الكذب والبهتان .

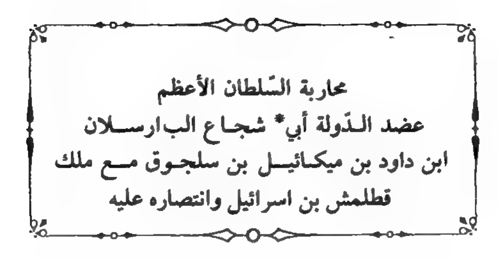
---

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : بعشرة ألف .

(1) استوى السلطان ألب أرسلان على سرير الملك في ذي الحجة ٤٥٥ هـ .





محاربة السّلطان الأعظم
عضد الدّولة أبي* شجاع الب ارسلان
ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق مع ملك
قطلمش بن اسرائيل وانتصاره عليه

وورد الخبر بأنّ الملك قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق ، وهو ابن عمّ السّلطان طغرل وهو جدّ ملوك الرّوم ، عصى وطلب السّلطنة لنفسه ، وجمع من أوباش الجنود مثل الجراد المنتشر ، ونزل بظاهر ساوة[1] وقصد كورة الرّي . فبعث السّلطان على مقدّمته قائداً يقال له : الأمير سوتكين[2] .وكان منشأ هذا القائد ومولده من قرية خاكستر وكعربن** وهو الّذي بنى رباط خاكستر ، وهو الذي جبّ مذاكيره باختياره من غير اضطرار . وتوجّه هذا القائد تلقاء الرّي ؛ وانفصل السّلطان من نيسابور في عشر محرّم سنة ستّ وخمسين وأربع مائة . وخرّب ملك قطلمش جميع قرى الرّي ، وأطلق أيدي رفود عساكره ، وأجرى الماء على

---

* في الأصل : أبو .

** كذا .

(1) ساوه ـ مدينة بين الري وهمذان في وسط، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً. (ياقوت ٣/١٧٩ ـ ١٨٠).

(2) عماد الدولة والدين أبو منصور سوتكين، حاجب وسرخان (قائد) جيش ألب أرسلان. مات في جادى الأولى ٤٧٧ هـ (١٠٨٤). ترك ورثة ضخمة بعد مماته: مليون دينار، ١٥ ألف مجموعة من الثياب منها ٩ الاف من الحرير البيزنطي، وخمسة آلاف حصان وألفاً من الإبل و٣٠٠ ألف رأس غنم إضافة إلى أمتعة وأسلحة كثيرة وغيرها. سبط ابن الجوزي ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

نـواحي **عبد الله آبـاد** ، ووادي الملح وهي **سبخة** يتعـذّر على السّـوابـل سلوكهـا[1] . فلمّا « ١٨ ـ ب » دلف الجيشـان بعضهم الى بعض ، لبس الوزير نظام الملك السّلاح ، وعبّأ الكتائب . وعلى ميمنة السّلطان الأمـير قـطب الـدّين كلسـارغ[2] والأمـير بهلوان شنكلوا ، وعلى الميسـرة الأمـير التـونتاق والـد الأمير جش* والقـائد سـوتكـين ، ومـع السّلطان في القلب الأمير بلداجي والأمير سنقرجه والأمير أغاجي ، وغيرهم من كبار الأمراء .

والملك قطلمش بن اسرائيل أصبح وقـد ضاق الفضـاء بجيشه وأخـوه على ميمنته ،والأمير **أبي بوقا**** على ميسـرته . وركب السّلطان وطلب في سفح الجبل طريقاً ، فما وجد . فأجرى فرسه في طـول الوادي بـين الماء ، وأشـار بوسـطه الى عسكره فتبعـه العسكر ، وخـاضوا هـائـل الغمـرات ، والملك قـطلمش وعسـاكـره ينتظرون انغمـاسهم في الطّين الـلاّزب في هذه السّبخة . فحمل سنقرجه عـلى الملك قطلمش ، وسلب جتـره ، ونكس أعلامه .

وانهزم الملك قطلمش وقد أصابته جراحات ، وقصـد قلعة **كـردكوه** من جملة حصونه . ولم يبق من عسكر قطلمش فارس ولا راجل ، وانهزموا على وجوههم .

ولمّا همّ السّلطان بقتل الأسارى ، الّذين قابلوا بطش الأسـود بوقـاحة

---

* كذا .

** في الأصل : ابن بوقا .

(١) حـاصر قتلميش الـريّ حيث كان يـوجد خمسـون ألف فارس تـركمـاني تعـرضـوا للنهب والتعذيب . أنظر سبط ابن الجوزي ١١٠ .

(٢) جـرت المعركـة عند قـريـة الملح في مـطلع محرّم ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) . أنـظر ابن الأثـير ١٠/١٢ ـ ١٣ . وسبط ابن الجوزي ١١٠ .

كان أخو قتلميش يدعى رسول تكين (سبط ابن الجوزي ١١١) .

كردكوه ـ قلعة في كرمان .

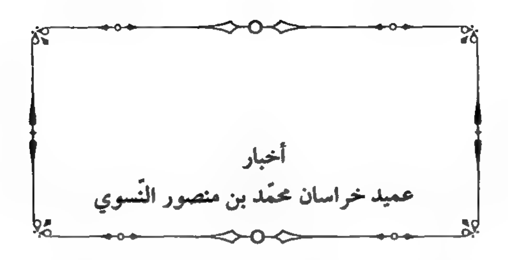
الذّئاب ، دعا الوزير نظام الملك السّلطان الى العفو والغفران ، فعفا عنهم وجازاهم بالبرّ والاحسان . ولمّا وضعت الحرب أوزارها ، « ١٩ ـ أ » وسكّن الفتح والظّفر غبارها ، وجدوا الملك قطلمش قد قضى نحبه في حظيرة غنم ، فحُمل تابوته إلى مقبرة السّلطان ركن الدّين طغرل بالرّي[1] .

وكان عميد خراسان محمّد بن منصور النّسوي في هذه السّنة عامل البصرة ، فعاد إلى حضرة السّلطان مع أموال كانت الآمال دائمة الوقوف عليها . وكان الشيخ علي بن الحسن* الباخرزي في خدمة عميد خراسان وله في البصرة وقائع .

---

* في الأصل : الحسين . وهكذا ترد دائماً في الأصل .

(١) أنظر كذلك ابن الأثير ١٠/١٢ ـ ١٣ .



أخبار
عميد خراسان محمّد بن منصور النّسوي

كان عميد خراسان في ريعان عمره قصّاب سوق العسكر ، وكان من نُدمان أخُر سالار(1) السّلطان ركن الدّين طغرل . فلمّا قضى أخُر سالار نحبه ، تقلّد العميد محمد هذا الأمر فأمر بكنس الاصطبل وتنقيته ورشّ الماء ، وأصلح الجلال وجدّد المخالي . وكان يرى السّلطان منه كلّ يوم في ذلك الشّغل ما يتحيّر منه في أمر عجاب ، فجذب بضبعه* وفوّض اليه امارة أصحاب المشاعل . فسار السّلطان الب ارسلان في ليلة ظلماء ، وتلفت بضاعته وفني دهنه ، فاشترى من المطبخي منّا(2) من دهن اللّوز بخمسين ديناراً ، فأضاء به المشاعل . فلمّا أحسّ « ١٩ ـ ب » السّلطان بشميم دخان المشاعل ، سأله عن حاله فصدقه سنّ بكره ، فاطّلع السّلطان على سداد رأيه فقرّبه الى سريره ، وأوسع صدره ، وفوّض إليه أعمال الخراج بنيسابور ونواحيها ، وقد جبى خراجاً من نيسابور ونواحيها . وفي قحط الواقع بنيسابور ، عمّ النّاس خيره ، ووسّعهم ميره ، وقد فوّضت اليه ايالة خوارزم . فبعث الوزير نظام الملك اليه

---

* في الأصل : بضد . . والأحرف بعدها مطموسة .

(1) أخور ـ سالار= قائد الفرسان السلطانية .

(2) منّ: الرطلان (بـ ١٣٠ درهم): ٨١٢,٥٠ غراماً.

وصولاً ديوانيّة ، مع أمير له خدم وحشم ، ووصاه أن يذيق عميد خراسان الذلّة . فأمر عميد خراسان بقتل هؤلاء الغلمان والقائهم في جيحون . واشترى مائة غلام وعقد على خصر كلّ غلام مائة دينار وأهداهم الى السّلطان ، وقال : «بالاحتقار والهوان لا يحصل مال السّلطان ، ولا يصير السّلطان متّسق النّظام إلاّ بالاحترام ، وهؤلاء الغلمان أخلّوا بواجب حقوق ديوانك ، فأذقتهم شربة السّياسة بالسّيف الذي قلّدتني ، وبنيت على ما أسسته ، وقد أقمت رسم الخدمة بعوض غير جزيل ، واثقاً بأنّ جهد المقلّ غير قليل » .فقبل السّلطان عذره ، وخُصّ بأوفر حظّ من ديوانه .

وكان عميد خراسان قد خدم حضرة الملك داود « ٢٠ ـ أ » بن ميكايل بن سلجوق ، وحضرة السّلطان الأعظم ركن الدّين طغرل بن ميكائيل بن سلجوق ، وحضرة السّلطان الأعظم عضد الدّولة أبي* شجاع ألب أرسلان ، وحضرة ولده السّلطان جلال الدّولة ملكشاه ، وحضرة الملك بوري برس[1] ، وحضرة الملك أرغون** وحضرة السّلطان ركن الدّين بركيارق ، وحضرة السّلطان الأعظم معزّ الدّين أبي* الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب ارسلان . ومات عميد خراسان يوم السّبت الحادي والعشرين من شوّال سنة أربع وتسعين وأربع مائة ، وقد همّ بقبضه*** الملك أرغون .وحمله الى مرو .فُوجِيء الملك أرغون وكفّنه ودفنه عميد خراسان .

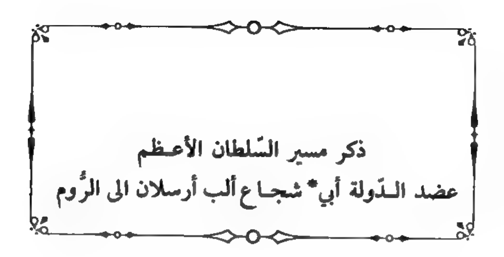
ومن النّوادر أنّ الملك أرغون بن السّلطان ألب ارسلان سلّ سيفاً ،

* في الأصل : ابو .
** في الأصل : ارغو . وهكذا ترد دائماً في الأصل .
*** في الأصل : بقبض .

(١) بوري برس (؟ ـ ١٠٩٥) وأرسلان أرغون (؟ ـ ١٠٩٦) هما أبناء السلطان ألب أرسلان.

وكان عميد خراسان بين يديه ، وقال لعميد خراسان : أضربك أم لا . وكان يعدّ جنايات عميد خراسان ويعاتبه معاتبةً أشدّ من وَخْز السّهام ، ووقع الحسام ، ويهدّده ويقول كلّ ساعة : أضربك ، والعميد ساكت ما له مجاله . فصفعه المسخرة وقال له : يا كشخان قل : لا تضرب ، فضحك الملك أرسلان أرغون ، ونجا عميد خراسان من القتل . فبعث عميد خراسان الى المسخرة بألف دينار . « ٢٠ ـ ب » وتعجّب النّاس من ذلك وقالوا : بصفعة أورثت المضروب نجاة من البوار ، والضّارب ألف دينار .





ذكر مسير السّلطان الأعظم عضد الدّولة أبي* شجاع ألب أرسلان الى الرُّوم

ثمّ توجّه السّلطان ألب أرسلان من الرّي تلقاء الرّوم ، في أوائل ربيع الأوّل سنة ستّ وخمسين وأربع مائة . وأنهي الى السّلطان أنّ جماعة من لصوص الأكراد ، في حدود حلوان[1] ، يقطعون الطّريق ، ويسعون في الأرض فساداً . فجهّز السّلطان نحوهم جيشاً أذاقوا هؤلاء اللّصوص كأس البوار ، وما غادروا منهم أحداً في تلك الدّيار . وورد الحضرة من هؤلاء الأكراد قوم من بقايا السّيوف ، ضمنوا حراسة الطّريق عن القطّاع . وفوّض السّلطان امارة تلك النّواحي إلى **الأمير بك ارسلان** .
ثم سرى العساكر إلى مدينة مرند[2] وأقام بها . وكان في طريق الرّوم **أمير مسير يقال له الأمير طغتكين**[3] ، وقد اجتمع عليه نفر من التّركمانيّة ، قد نالت الرّوم منهم مضرّة ، وأصابتهم من غزوه وجهاده معرّة . فلاذ بخدمة السّلطان ، وضمن هداية العساكر في مضايق تلك البلاد . فأنهي

---

* في الأصل : أبو .

(١) حلوان ـ مدينة إلى الشمال الغربي من العراق حيث يقع قربها تمّر أسد أباد.

(٢) مرند ـ من مشاهير مدن أذربيجان (جنوبها) بينها وبين تبريز يومان. ياقوت ٥/١١٠ .

(٣) حول طغتكين (في ابن الأثير طغدكين) أنظر ابن الأثير ١٠/١٣ .
وهو ليس في طريق الروم بل في ما وراء القفقاس. بونياتوف ١٨٩ .

إلى السّلطان أنّ بلاد الكرج من بلاد الرّوم عرصة الغيّ ، ومربع الكفر « ٢١ ـ أ » والبغي . فقصد السّلطان بلاد الكرج [(١)] ، وأقام مقامه في معسكره ولده السّلطان جلال الدّولة ملكشاه ، [الذي سار] الى قلعة[(٢)] بها مرّاق* النّصارى من الرّوم . فقتلوا من عسكر الاسلام فئة كبيرة ، وترجّل نظام الملك وعميد خراسان ، ورمى السّلطان ملكشاه بسهم أصاب حلق صاحب القلعة ، ورموا بالأحجار ، وحلّوا بربوة عالية ، وتعلّقوا بقلل الجبال . ثم ظفر بهم عسكر الإسلام ، وحكّموا فيهم السّيوف ، فما أبقوا منهم عيناً ولا أثراً .

ثمّ سار السّلطان ملكشاه الى قلعة يقال لها: قلعة سُرْ مَارَى[(٣)]، وهي قلعة فيها مياه جارية وبساتين ، ففتحها . وكانت بقربها قلعة أخرى [(٤)] ، ففتحها السّلطان ملكشاه وهمّ بتخريبها ، فنهاه الوزير نظام الملك عن ذلك وقال : هي حصن حصين وثغر للمسلمين ؛ فسدّ الوزير

---

* في الأصل : سرّاق .

(١) على رأس الحملة إلى بيزنطية عبر ألب أرسلان مع ١٨٠ ألفاً من الجنود الفرسان، أراضي أذربيجان. ووقف أهالي خوي وسلماس بوجه السلطان السلجوقي. لكن السلطان سيّر لهم عميد خراسان فأطاعوا بعد التهديد. من هناك توجهوا إلى نقجوان حيث أمر بعمل السفن لعبور نهر أرس وتوزع جيش ألب أرسلان إلى قسمين، كان هو نفسه على رأس مئة ألف منهم (أنظر فاردان ١٢٦) توجه بهم إلى الكرج عبر البانيا القفقازية. بعدما هزم ألبانيا عام ١٠٦٣، تزوج ألب أرسلان من ابنة الحاكم المحلي غيوريك وعقد معه صلحاً. ثم توجه بعدها إلى جواهدي وتشير من بلاد الكرج. أنظر فاردان (١٢٦ ـ ١٢٧) و ماثيوس أورفايتس (١١٨ ـ ١١٩) وابن الأثير (١٠/ ١٣ ـ ١٤).

(٢) هذه القلعة هي دوين حيث قتل جنود ملكشاه ثلاثين ألفاً من المدافعين وأسروا خمسين ألفاً آخرين. (سبط ابن الجوزي ١١٧).

(٣) سرماري (في الأصل: شماري) قلعة عظيمة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط. (ياقوت ٣/٢١٥) . وهي سرماري الحالية في تركيا تقع في مكان القلعة الخربة فارا ـ فالا .

(٤) هي قلعة قاراباغ ـ شمالي سرماري. أخضعت لأمير نقجوان أنظر ابن الأثير ١٠/ ١٣ .

نـظام الملك هذا الثّغـر بالشّجعـان والأبطال . وسـار السّلطان ملكشاه الى بلدة يقال لها مريم نشين[1] . وتلك المدينة مسكن الرّهابـين والقسّيسين ، وملوك النّصارى ورعاياهم يتقرّبون إلى هذه البلدة . وحصانتها خارجة عن امكـان الوصف ، وكـان سورهـا من الأحجار المنضّـدة المهندمـة* الموكّـدة بالمسامير « ٢١ ـ ب » وألواح الحديد[2] ؛ وحواليها ماء جار مسافة عـرضه مـطمح البصـر . فأعـدّ الوزيـر نـظام الملك للحـرب السّفن والـزّواريق ، ووصـل في الحرب غـدوّه برواحـه ، وعشيّته بصبـاحـه ، لا يهـدأ ليله ولا يسكن نهاره ، حتّى شـدّ السّلطان ملكشـاه الـرّسن** في شـرفـة السّـور ، وتسلّق الجدار فرمـاه في الماء . فنجّـاه الله تعالىٰ من البـلاء ، وقام وكبّـر . وتسلّق الغلمان وما قدروا على نيـل المراد ؛ وكلّت المعـاول عن النّقب لأنّ السّور كان من الحجر الموطّد بالمسامير وألـواح الحديـد ، فباتـوا تلك اللّيلة على ظهور الخيل . وحدثت في تلك اللّيلة زلـزلة خـرّبت الجانب الشّـرقي من الحصن ، ووهت أسبـاب النّصـارى . ولمّـا ذرّ قـرن الشّمس ، دخـل السّلطان ملكشاه البلد والوزير نظام الملك ، وأحـرقوا البِيَـع ، وحكّموا في النّصارى السّيف ، وتديّن من بقي منهم بدين الإسلام . ثم ورد مجز*** السّلطان الأعـظم الب ارسلان ودعـا ابنه ملكشـاه ووزيره نـظام الملك إلى معسكـره ، وهو غـافل عمّا يسّر الله لهم من الفتـوحات . فسـار السّلطان ملكشاه متوجّهاً تلقاء والـده السّطان الأعـظم ألب ارسلان ، ومـا مرّ عـلى قلعة الا فتحها الله تعالى لسببه ، « ٢٢ ـ أ » حتّى فـاز بخدمـة والده . ثم

---

* في الأصل : المنهدمة .

** في الأصل : حتى سدّ السلطان ملكشاه الوهن .

*** كذا ، ولعلّها : مخبر .

(١) مريم نشين ـ « مسكن ماري » ـ ربما يكون دير مرمراشين الواقع عند مصب نهر آربا ـ شاي في آراكس.

(٢) « هي مدينة حصينة سورها من الأحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير » (ابن الأثير ١٠/١٣).

جهّز السّلطان الأعظم ألب ارسلان الجيوش نحو سبيذ شهر[1] ، وجرت بين أهلها وبين السّلطان حروب شديدة ، حتّى فتح الله تعالى هذه البلدة . وقصد السّلطان بلدة أخرى يقال لها : أغاك لال[2]، وكان طول سور هذه البلدة مائة ذراع ، وعرضه أكثر من ذلك . وكان من جانب الشّرق والغرب والشّمال جبل محيط بالبلدة ، وعلى قلل الجبال قلاع حصينة . والسّور الّذي ذكرنا كان من الجانب الجنوبي ، وقدّام هذا السّور ماء مثل جيحون ، وعقد هناك جسر فرفعوا الجسر وانقطعت أطماع عساكر الاسلام عن فتح هذه البلاد وخيّم السّلطان ألب أرسلان [في] درب البلدة ، وابتهل وتضرّع وصلّى . وعقد عسكر السّلطان جسراً عظيماً ، واشتدّ القتال . فخرج من البلدة رجلان يستغيثان ، ويطلبان الأمان ، والتمسوا من السّلطان أميراً عادلاً يتكرّم* عن ارتكاب الجرائم ، ويتعفّف عن اكتساب المحارم . فبعث السّلطان الأمير ابن مجاهد وأبا سمرة[3] . فلمّا جاوزا الفصيل ، أحاط بهما وقدّامهم الماء . فدخل صواب الخادم على السّلطان ، وكان يصلّي ، « ٢٢ ـ ب » فأنهى اليه صورة الحال . وصال الكرجيون على المسلمين ، والمسلمون ولّوا على أدبارهم ؛ فما قطع السّلطان صلاته ، وأدّاها بخضوع وخشوع . ثمّ خرج

---

* في الأصل : لا يتكرم .

(١) قلعة سبيذ شهر (بالفارسية والتركية : آق شهر) هي قلعة تتريتسيخي (آقجا ـ قالا) تقع على المجرى السفلي من نهر دبيد إلى الشرق من بحيرة تشالدير على الطريق من قرس إلى أخالقالا .

(٢) في ابن الأثير أعال لال ـ هي حالياً مدينة أخالقالا في جمهورية جورجيا السوفياتية. « أعال لال مدينة حصينة عالية الأسوار شاهقة البنيان » ابن الأثير ١٠/١٤ .

فاردان (١٢٦) يتحدث عن أخذ مدينة أخرى هي سمشفيلد.

(٣) في ابن الأثير (١٠/١٤) « والتمسا من السلطان أن يرسل معهما طائفة من العسكر فسيّر جمعاً صالحاً » .

وركب وصبر على حرّ اللّقاء وسفك الدّماء ، حتّى دخل البلدة وطهّر الأرض من رجسها . وبقي في برج من بروج تلك البلدة شجعان ، فقاتلوا السّلطان بجرأة صادقة . فأمر السّلطان بجمع الحطب حوالي البرج ، وأوقدوا فيه النّار حتّى امتحشوا وصاروا حُمَماً .

عاد السّلطان الى سرادقه على أحسن حال ، وأنعم بال ؛ ونال عساكر الاسلام من الغنائم ما لا يدخل في الحصر والعدّ . ولمّا جنّ اللّيل ، هبّت ريح عاصفة ، وبقي من النّار الموقدة الّتي ذكرناها بقيّة ، فحملتها الرّيح فألقتها في البلدة فاحترقت بأسرها . وكان في جوار تلك القلعة قلعة حصينة[1] ، ففتحها السّلطان[2] .

ثم أرسل ملك الكرج[3] الرّسل والهدايا ، وقرع باب المصالحة ، ومهّد قواعد الاعتذار . وعاد من حضرة السّلطان مع رسل الكرج الأمير تمر الحاجب و انك* الخاص . وكتب السّلطان إلى ملك الكرج ، أنّه لا بدّ لك من التّدين بدين الإسلام ، أو قبول الجزية فقبل الجزية[4] .

---

* كذا .

(١) ربما تكون هذه القلعة لوري، قرب القرية الحالية جلال أو غلي في جمهورية جورجيا السوفياتية.

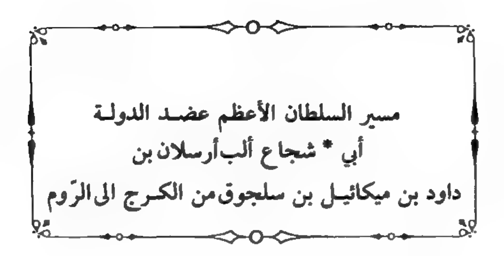
(٢) يشير ابن الأثير (١٠/١٤) إلى أن هذه الأحداث جرت في رجب ٤٥٦ هـ.

(٣) ملك الكرج آنذاك كان بُقراة(بقراط) الرابع (١٠٢٨ ـ ١٠٧٢م).

(٤) في البنداري (٣١) أن ألب أرسلان أجبر ملك الأبخاز بقراط بن كيوركي على اقامة الصلح واعطائه ابنته (ابنة بقراة). وفي : سبط ابن الجوزي (١٣٦) أن السلطان تزوج من ابنة أخت بقراة، ملك الأبخاز وأعطاه الأمان. بعدها طلب ملكة الكرج لنظام الملك.

عام ٩٧٥ م ورث بقراة (أمه كانت أبخازية) عرش الأبخاز. وفي ١٠٠٨ م اعتلى بقراة عرش جورجيا ووحّد المملكتين وصارت تعرف باسم الدولة الأبخازية (أنظر ١٦٢ ـ أنتشا بادزي).





مسير السلطان الأعظم عضد الدولة أبي * شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق من الكرج الى الرّوم

« ٢٣ ـ أ » ثمّ قصد السّلطان بلاد الرّوم . فقصد كورة قارص[1] و كورة آني .[2] وفي حدودهما أيضاً كورتان يقال لها : تسل وردة ونوره[3] فخرج أهلها وقبلوا مذاهب الايمان ، وابتهج السّلطان بذلك أشدّ الابتهاج والسّرور ، وأمر بتطهيرهم جميعاً ، وخرّب البِيَع وبنى المساجد . وما استقرّ السّلطان بمكان حتّى وصل إلى كورة آني ، فوجد سورها من الجبال الشّامخة ، وعلى قلّة كلّ جبل حصن حصين . وكانت هذه البلدة معقل بلاد الرّوم ، وكانت خزائنهم في تلك الحصون . فظنّ سكّان البلدة أنّ السّلطان وعساكره تجّار ، لأنّهم ما عاينوا قطّ جيشاً من

---

* في الأصل : أبو .

(١) قارص ـ مدينة في تركيا. « مدينة أرمينية من نواحي تفليس بينها وبين تفليس يومان» (ياقوت ٣٢٣/٤). في ابن الأثير (١٤/١٠): قرس .

(٢) آني ـ مدينة بأرض أرمينية بين خلاط وكنجة. (ياقوت ٥٩/١). وهي أول مقاطعة للروم (سبط ابن الجوزي ١١٧) وتقع المدينة على نهر آربا ـ تشاي. خرائبها الآن تقع في الأراضي التركية.

(٣) في ابن الأثير (١٤/١٠): رسل ورده ونوره. حسب ماتيوس أورفايتس (١١٩) فإن ألب أرسلان قبل أخذه لآني استولى على: لور وجواهدي وهذان المركزان كانا يقعان على طريق ألب أرسلان إلى آني.

جيـوش أعـدائهم . فخيّم السّلطان في مـزارع تلك البلدة ، فخـرج من البلدة فـرسان لهم مـوكّلون بحفظ المزارع ومجـاري المياه ، وهمّـوا بـازعـاج العسـاكـر عن المـزارع . فتسـارع اليهم جمـاعـة من غلمـان السّلطان ، فـانصـرف الـرّوميّـون متعجبـين* واقتفى آثـارهم السّلطان حتّى دخلوا البلدة(١) . فلمّا جاس السّلطان خلال ديـارهم وبـالغـوا في الانجـان(٢) ،

---

* في الأصل : متعجبون .

(١) في سبط ابن الجوزي (١١٧ ـ ١١٨) أنه أثناء الرمي على القلعة من قبل السـلاجقـة كان عند السلطان ألب أرسلان ممثلُ الخليفة القائم بأمر الله، نقيب النقباء أبو الفوارس الكامل الذي وجه إلى بغداد الخبر التالي:

« في هذه المدينة المذكورة كنتُ شاهداً على صـورة مرعبـة لا أذكر لهـا مثيلاً من قبـل، ولا أذكر سلطاناً توصّل لمثل هذا الانتصار. ثلاثة أرباع مـدينة آني يقـع على نهر أراكس الكبـير وربعٌ على خندق متصل بالنهر. المياه تتـساقط فيه من القمة البعيـدة بضجيج قـوي وسيلان الماء كان صاخباً لدرجة أنه إذا رموا فيه صخوراً ضخمة لطُحنت وأخذها في دربه. الطريق إلى بـوابة المـدينة تمـرّ عبر جسـر كان مباشرة قبـالتها. أسـوار المدينة كانت من الحجارة، الضخمة الصلبة ويقال إن في المدينة ما يقارب الـ ٧٠٠ ألف بيت وألف كنيسة ودير (عند ابن الأثير أكثر من ٥٠٠ كنيسة) ولم يكن يوجد معبر للمدينة كذلك لم يكن مكان للعراك. وقد يئس العسكر من أخذ المدينة بسبب مناعتهـا. وكانـوا عاجـزين لتلك السـاعـة عنـدمـا بدون سبب انهار جزء من الـسور، مما سبب اضعاف الدفاع عن المدينة ويسّر بالتالي دخول عسكر ألب أرسلان اليهـا وقتلوا سكانها ونهبـوها وأحـرقوهـا وأهلكوا وأسـروا من نجا من السيف واحتلوا المدينة وأصبحت الشوارع غير صالحة للعبور لاكتظاظها بالقتـلى وأُسر ما لا يقلّ عن ٥٠٠ ألف. وقد أردتُ أن أدخل المدينة وبنفسي رأيتُ كل هذا وحاولت أن أجـد لنفسي طريقاً غـير ممتلء بـالجثث دون جدوى. وقـالوا إن في إحـدى الكنائس وجـدوا ٩ أواني للماء من الكريستال حطّمها العسكر وقسّموها فيما بينهم. وكانت كل قطعة تـزن ١٨ رطلاً (الرطل= ٤٠٦,٥ غراماً). .

ماتيوس اورفايتس (١١٩ ـ ١٢٠) يكتب أن في آني كان يوجد ١٠٠١ كنيسة وأن « المدينـة كانت محاطة بـسور حجري من كل الجهات. ونهر أرياتشاي كان يجـري حولـه. فقط جهة واحدة من المدينة كانت في الأسفل. وبالرغم من أن المسلمين دمّروا هذه الجهة بالقـذائف، إلا أنهم على امتداد أيام عدة لم يستطيعوا التسرب إلى المدينة. لكن الأمراء اليونان المعينين=

(٢) أنجان ـ هي أنجال المعاصرة في تركيا (غربي ملاذكرت).

تفاشل الرّوميّون وتكاسلوا ، وتفرّقت أهواؤهم واختلفت آراؤهم . ولمّا أحسّوا بأس السّلطان توقّلوا قلل الجبال التي هي سور بلدهم ، فألقوا الخشبات مع الثّياب المعمورية** على أراجيها ودرجها ، وسدّوا قلل طرق الجبال « ٢٣ - ب » بهذا الاحتيال . فأمر السّلطان النّفّاطين باحراق تلك الخشبات والثّياب ، فهبط الرّوميّون وقبلوا الجزية . وسلّط عليهم السّلطان عميد خراسان[1] وشمس الخادم ، حتّى أخذوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون . ثمّ بعد ذلك ندم الرّوم على هذه المصالحة ، وبرزوا إلى المكافحة ، واشتدّ القتال . وأمر السّلطان بوضع الجواليق المحشوّة من التّبن والتّراب وتنضيدها ، حتّى بدت تلالاً علاها أرباب المقاليع والنّفّاطون ورُماة الحُسْبانات والمراسيل والخطّيّات . فاختار الرّوميّون من بيلدهم كلّ امرأة حسناء ، وكلّ أمرد جميل ، فأخرجوهم من البلدة ووقّفوهم في معسكر السّلطان ، حتّى يصدّ سبيهم المعسكر عن القتال .

** كذا .

= بواسطة امبراطورهم قسطنطين دوقا، من أجل الدفاع، ولاسيما الحقراء بقراط والدسمباط، وغريغور ابن باكوران، ابتعدوا إلى الحصن والقلعة العليا وتحصنوا هناك، في هذا اليوم بدأ السلطان بتحضير نفسه من أجل أن يذهب مع جيشه لإيران. وقد رأى سكان المدينة كيف أن المدافعين الملحدين تحصنوا في الحصن. كانت الروح المعنوية لسكان المدينة متهارة وبدون أي سبب أصبح الجميع يفرّون في اتجاهات مختلفة ولفّ الغبار المدينة. ورأى المحاربون المسلمون أن المدافعين تركوا أسوار المدينة ودخل السلطان بكل جيشه المدينة ».

كانت آني في ذلك الوقت تحت سيطرة البيزنطيين الذين نتيجة لا مبالاة حاميتهم سقطت المدينة.

أُخذت آني من قبل ألب أرسلان في ١٠٦٤/٨/١٦ م. وبعد أخذها توجه إلى قارص الذي كان حاكمها غاغيق بن أشوت. عام ١٠٦٤ سلم غاغيق المدينة للسلطان وعاد إلى بيزنطية حيث أُعطيَ بدلاً من قارص، مقاطعات عدة. ماتيوس أورفايتس (١٢١ - ١٢٢).

(١) كان عميد خراسان آنذاك: محمد بن منصور النسوي.

فأمر السّلطان بجمع هؤلاء وحبسهم . وصبر السّلطان وعساكره على شدّة القتال وما اشتغلوا بلامر* بالأكل والشّرب والنّوم . ثمّ بنى السّلطان قصراً من الخشب ، عليه مظلّة من اللّبود المغموسة في الخلّ ، وقاتلوا عليه ، ومنعوا الرّوميّين من تسلّق السّور والأبراج ، وخرّبوا أركان السّور ودخلوا البلدة ، وتركوا سكّانها مواطي الحوافر . وبنى السّلطان فيها مسجداً ، ورتّب في تلك البلدة أميراً مع جيوش . وسار الى أصفهان ومنها « ٢٤ - أ » الى كرمان . فاستقبله أخوه الملك قاورت بن الملك داود بن ميكائيل ابن سلجوق[١] . ثمّ انصرف من كرمان إلى خراسان ، ثمّ سار الى مَنْقَشْلاغ[٢] وحاصر الأمير قفشت حتّى أهبطه من حصنه عنوةً ، ثمّ رضي عنه وردّه الى قلعته[٣] . ثمّ اشتاق إلى زيارة جدّه الأمير سلجوق** ، فأقبل نحو جَنْدو صبران[٤] ، فاستقبله جندخان مع هدايا

---

* كذا .

** أي قبر جدّه الأمير سلجوق .

(١) شقيق ألب أرسلان، قاورت عماد الدولة أحد قارا أرسلان بن داوود جغر بك (؟ - ١٠٧٣) كان مؤسس دولة كرمان السلجوقية (١٠٤١ - ١١٨٣).

(٢) منقشلاغ : قلعة حصينة في آخر حدود خوارزم، قرب البحر الذي يصب فيه جيحون وهو بحر طبرستان (قزوين) - ياقوت (٥/٢١٥).

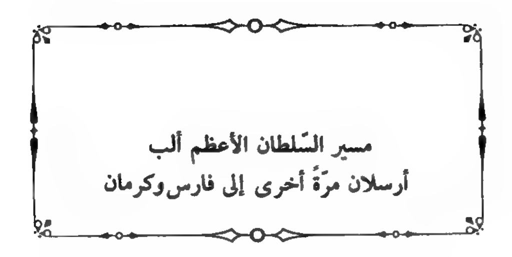
(٣) في كانون الثاني ١٠٦٦ سحق ألب أرسلان عدة انتفاضات لبعض الأمراء في ما وراء النهر وخوارزم. في رسالة الى الوزير نظام الملك، أخبر السلطانُ: بأن « التركمان اختلطوا بالكفار ونهبوا التجار. هذا حصل قرب البحر وقفجاق. عندما سمعوا عنّا توجهوا إلى جزيرة في البحر تاركين متاعهم ونساءهم والمواشي التي لا يمكن حصر مقدارها. وقد حصلنا على كل هذا وعدنا إلى خراسان » .

(٤) جند - مدينة فروسطية، خرائبها تقع على الصفة اليمنى لنهر سردار قرب قزل اورد بينها وبين خوارزم عشرة أيام. ياقوت (٢ /١٦٨) .

صبران (في الأصل: صبيران) - «بليدةفيها قلعة عالية بما وراء النهر ثم وراء نهر سيحون وهي مجتمع الغزيّة، صنف من الترك للصلح والتجارات وهي في طرف البريّة » ياقوت (٣/٣٩١).

كثيرة . ثم عاد إلى كركانج خوارزم وفوّض امارة خوارزم إلى ولده ارسلان أرغون ، وانتقل إلى مرو . وانتقل من مـرو إلى رايكان[1] ، وهنـاك فوّض ولاية عهده الى ولده السّلطان جلال الـدّولة ملكشـاه ، وخلع على الأمـراء الحاضرين في ذلك الموضع .

(١) رايكان ـ مدينة في ناحية طوس.



مسير السّلطان الأعظم ألب أرسلان مرّةً أخرى إلى فارس وكرمان

ثمّ سار السّلطان ألب أرسلان نحو أصفهان في سنة تسع وخمسين وأربع مائة . وكان لملك كرمان وهو قرا ارسلان ، وزير جاهل(١)، فزيّن لملك كرمان عصيان السّلطان ، فاستجاب لدعائه . فتوجّه السّلطان تلقاء كرمان ، فوقعت الطّليعة على الطّليعة ، وانهزم عسكر كرمان ، ونصر السّلطان بالرّعب ، وعملت مهابته في أوهامهم ما تفعل سيوفه في أجسامهم ، فطاروا جميعاً بأجنحة الرّعب لا تلوي « ٢٤ ـ ب » أولاهم على أخراهم . وهرب الملك قرا ارسلان مع فارسين الى جيرفت(٢) ، ثم استمطر نوء الاستعطاف ، وشام مخيلة الانجاب والاسعاف ، ففاز بمطلوبه ، بعدما تاب واستغفر لذنوبه . ودخل على السّلطان ، فقام السّلطان واعتنقه وبكى ، وأبكى من حوله وفوّض اليه ولاية كرمان ؛ فقال له الملك قرا ارسلان : لي بنيّات كزغب القطا تجهيزهنّ عليك ، فأجاب السّلطان وفرض لكلّ واحدة منهنّ في خزانته مائة ألف دينار ، سوى الثّياب ووَشْيٍ والاقطاعات والأقراح* .

---

(١) وزير قارا ارسلان (قاروت) هو القاضي أبو محمد فزاري .

(٢) جيرفت هي عاصمة كرمان أيام قاورت . تقع جنوب كرمان .

* القراح : الأرض المخلّصة لزرع أو لغرس . انظر لسان العرب ، مادة : قرح ٢ /٥٦١ . =

ثمّ سار السّلطان على طريق فارس ، فلمّا وصل إلى **اصطخر**[1] فتح قلعتها التي بناها سليمان بن داود ، صلوات الله عليه ، واستنزل واليها كما يستنزل العُصم من المعاقل . ثمّ أهدى صاحب القلعة إلى السّلطان قدحاً من الفيروزج ، مكتوب عليه اسم **جمشيد**[2] برقوم الخطوط الماضية ، واستخرج من خزائن تلك القلعة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ونقل صاحب هذه القلعة الى قلعة أخرى .

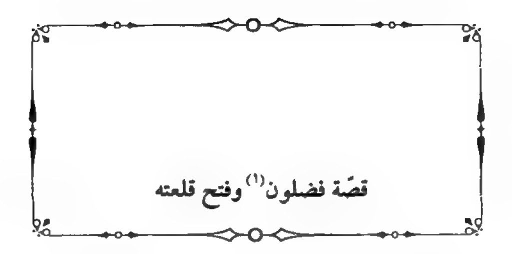
= وفي مكان آخر ٢/٥٦٠ : خير الخيل الأقرح المحجّل ، وهو ما كان في جبهته قرحة ، بالضم ، وهي بياض يسير في وجه الفرس دون الغرّة . والأقرح : الذي غرّته مثل الدرهم أو أقلّ ، بين عينيه أو فوقها من الهامة .

(١) اصطخر ـ « بلدة بفارس من أعيان حصون فارس ومدنها وكُورَها . . .

كان سليمان بن داوود يسير من طبرية إليها من غدوة إلى عشية » ياقوت (١/٢١١).

كان واليها الأمير أبو العباس فضلويه بن آلويه من دولة شبنكار الكردية .

(٢) جمشيد ـ الملك الأسطوري لإيران.



قصّة فضلون[1] وفتح قلعته

فضلون كان والي كنجة ونواحيها . فسار الوزير نظام الملك الى بلاده ، واستقبله فضلون وقبّل ركابه وعاد معه « ٢٥ ـ أ » الى حضرة السّلطان ، وفوّض السّلطان ولاية فارس إلى فضلون . وهناك قلعة من خلقة الله ، حجريّة ، ما بناها بانٍ ، ولا تصرّف فيها مخلوق . فتحصّن فيها فضلون ونفخ الشّيطان* في مناخره ، وضرب بالأسداد في أوائل أمره وأواخره . فسار الوزير نظام الملك إلى سفح تلك القلعة[2] ، وأوقد نيران الحرب وانقضّ من أهل القلعة على عسكر نظام الملك سهام تنفذ من** الحديد ، وعسكر نظام الملك يرمونهم بالأحجار والسّهام . فلمّا قام قائم الظّهيرة ، استمسك سكّان القلعة بعروة الاستئمان ، فعجب النّاس من ذلك وتفحّصوا عن حقيقة الحال . وكان السّبب في ذلك ، أنّه قد غارت مياه آبار تلك القلعة في ليلة واحدة ، فقادتهم ضرورة العطش إلى الاستئمان . والتجأ فضلون في وسط القلعة الى قصر مشيد . فأشار الوزير

---

* في الأصل : نفح السلطان .

** في الأصل : على .

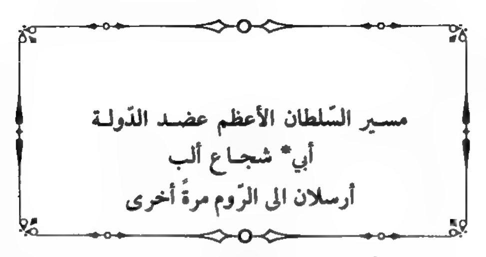
(١) فضلون أو فضل بن حسن المشهور بفضوله.

(٢) هي قلعة باردشير إحدى أمنع القلاع في كرمان. تقع على بعد ١٤ فرسخاً منها.

نظام الملك إلى الأمير هزاراسب[1] ، وقال: « عليك بالمسير مع خيلك ورجلك الى مسقط رأس فضلون». [فسار] وطلب أقاربه وحرمه ، وشلّهم شلّ النعم ، وفراهم فري الأدم . فأنهي ذلك التّدبير إلى فضلون ، فنزل من القلعة مع جنوده ليكون سدًّا بين هزاراسب وبين أقاربه . فاستقبله طلائع عسكر الوزير نظام الملك ، فترجّل فضلون واختفى في الحشائش ، فظفر « ٢٥ ـ ب » به واحد من عسكر الوزير نظام الملك ، وجرّه بذوائبه أسيراً إلى مجلس نظام الملك ، فأمر بحبسه . وكان السّلطان الأعظم ألب أرسلان بكرمان ، ورأى في منامه في تلك اللّيلة ، أنّ الوزير نظام الملك فتح القلعة واستنزل سكّانها وأخذ فضلون . فلمّا هبّ من منامه عرض رؤياه على المعبّر [ين] فقالوا : رؤيا صالحة تعبيرها تحقيقها . فورد بعد أيّام قلائل مبشّر نظام الملك ، ووصل نظام الملك الى حضرة السّلطان مع فضلون الأسير ، فعفى السّلطان [عنه] وكتب الشّيخ علي بن الحسن الباخرزي كتاب الفتح .

---

(١) تاج الملوك أبو كاليجار هزارسب (في الأصل: هزاراست) بن بكير بن عياض ـ نائب السلطان طغرل بك وألب أرسلان في البصرة والأهواز ونواحيها وخوزستان والديلم مع حقه بالخطبه له. كان له شأناً عظيماً في بلاط ألب أرسلان. مات في رمضان ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م). أنظر ابن الأثير ٢١/١٠ . والبنداري ٣٧ ـ ٣٨.



مسير السّلطان الأعظم عضد الدّولة أبي* شجاع ألب أرسلان الى الرّوم مرةً أخرى

وفي سنة ستّين وأربع مائة ، أغار ملك ابخاز ، واسمه بقراط ، على البرذعة[1] وهي بلدة من بلاد المسلمين . فأكّد السّلطان العزم وقصد بلاد ابخاز وكان القائد الأمير سوتكين طليعة العساكر . وشجعان بلاد الرّوم الفرنج ورجال شكّى . وشكّى[2] ، ناحية كان ملكها اخستان . وناحية شكّى غياض وآجام ، وفيها متلصّصة الرّوم والابخاز . فأمر السّلطان النّفّاطين باحراق تلك الغياض فأحرقت . ورأى السّلطان في وسط تلك الغياض قلعتين[3] مبنيتين من أطباق الحديد ، « ٢٦ ـ أ » ومسامير من النّحاس ، قد عجزت الحيل عن الوصول اليها . فيئس السّلطان عند معاينتها . وكان بين صاحب هاتين القلعتين وبين ملك شكّى أخية قديمة ،

---

* في الأصل : أبو .

(١) برذعة ـ هي « باردا » المعاصرة في جمهورية أذربيجان السوفياتية .

(٢) شكّى : ولاية بأرمينيا (ياقوت ٣/٣٥٧) . وهي شكّى المعاصرة في جمهورية أذربيجان السوفياتية .

أخستان ـ أو أغسرتان (أخسارتان) ـ هو ابن غاغيق ـ ملك الكاخية (١٠٥٨ ـ ١٠٨٤) . يبدو من المصادر أن أخسارتان حتى يحافظ على ملكه اعتنق الاسلام وخضع للسلطان ألب أرسلان مع تأدية الخراج له . (بونياتوف ١٩٢ ـ ١٩٣ ، نقلاً عن مصادر أجنبية) .

(٣) إحدى هاتين القلعتين ربما تكون « دسكرة الجُنين » التي أخذها عام ١٠٦٨ أخسرتان الثاني من غيورغي الرابع كثمن لتسليمه حاكم أران فضل بن شاورا .

فنزل صاحب القلعتين وأسلم، وسلّم القلعتين، ثم توغّل السّلطان في تلك البلاد، وجاس تلك الدّيار بفتح القلاع وينهب البلاد، حتّى غنم منها ما يردّ طرف الوصف كليلاً . فورد الحضرة ملك الفرنج [وهو ملك] شكّي اخستان ، مع فوارس معدودة ، وقام بالباب فقال السّلطان : أنزلوه وألزموه فانّه ملك عظيم الشّأن . فلمّا نزل ودخل على السّلطان قال : عركتني الضّلالة عرك الأدم ، ما ساقني الى حضرتك إلاّ تصوّر دين الاسلام في اعتقادي ، وقطعي على النّصرانية علائق مرادي . فنزل السّلطان من السّرير واستقبله وعانقه وقبل رأسه ؛ وقبل هو رجل السّلطان ، فانحلّت هناك عُقَد الدّموع ، والتهبت نيران الوجد بين الضّلوع . فاعترف الملك اخستان بشهادة أن : لا إلـه إلا الله وأنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله . ونثر السّلطان على اخستان ما في خزائنه من الجواهر ، وأركبه جنيبته بعد اكرامه واحترامه . ومشى الأمراء والحجّاب بين يديه مترجّلين ، حتّى أنزلوه في سرادق حفّ بأسباب الملك والنّعمة . وبعث السّلطان اليه فقيهاً علّمه « ٢٦ ـ ب » آداب الإسلام والصّلاة ، وسوراً من القرآن ، وأمر بتطهيره وولاّه الامارة في تلك الولايات . ثمّ سار السّلطان الى بقراطيس ملك الابخاز ، فأطلق أيدي العساكر بالقتل والنّهب في تلك الولايات ، حتى ورد كورة تفليس . فوجد فيها حمّاماً بناه سليمان بن داود ، صلوات الله عليهما ، على عين حمّة سخنة بمائها الحار من غير أن تجاوره النّار ، وهو أوّل حمّام بني في الدّنيا ، وطول سور تفليس أربعون ذراعاً في عرض يطابقه . وفيها بيعة النّصارى هي لهم كالكعبة للمسلمين ، ففتح السّلطان هذه البلدة وبنى فيها الجامع[1] . وكانت في حدود ابخاز قلعة يقال لها قلعة الصّليب [2] ، وفيها شجعان لا يخافون

---

(١) اخذت تفليس من قبل ألب أرسلان عام ١٠٦٨ م.

(٢) ربما تكون قلعة « ميتسخت » حيث يقع معبد « سفيتي تسخوفلي » (عامود خالق الحياة) وسمتافر.

مباشرة الأسنّة والنّصال ، ولا يبالون بمقارعة الأبطال ، وفيها بيع كثيرة وفيها صورة عيسى ومريم عليهما السّلام من الذّهب ، وصور الحواريّين من الفضّة ، وصورة المائدة الّتي أنزلت على عيسى من الذّهب . ففتح الله تعالىٰ هذه القلعة بسعي الوزير نظام الملك ، وصارت تلك الأموال غنائم المسلمين ، وأضحت سكّانها هشيماً تذروه الرّياح .

وبعث بقراطيس إلى حضرة السّلطان رسولاً استجار بعواطفه ، فأجابه السّلطان الى مطلوبه . ثمّ ندم بقراطيس على الاستئمان ، واغترّ بتسويل الشّيطان ، « ٢٧ ـ أ » وكلح وجه الشّتاء وتواترت الثّلوج . وصبر السّلطان حتّى اعتدل الزّمان ، وذاب الثّلج ، فعاد بقراط إلى الاستئمان ، فردّ السّلطان كيده في نحره ، وأذاقه وبال أمره . فجهّز بقراط جيشاً فهلكوا من برد الشّتاء ، وحاق بهم أسباب البلاء والعناء . ثم خرّب السّلطان بلدة كان نمرود بن كنعان[1] يسكنها وصعد منها الى السّماء ، وبنى في جوارها بلدةً ومسجداً ، وأقام السّلطان بكرجستان* خمسة أشهر[2] ،

---

* في الأصل : كرخستان .

(١) نمرود، حسب الأسطورة، هو ابن كنعان بن فوش بن حام بن نوح. تدخل في نطاق أراضي نمرود كل من بابل، أرخ، أكاد، خالنة من أراضي سنّار. يعتقد مينورسكي (بونياتوف ١٩٣) أن هذا كان قلعة ابن كندمان ـ أي غردبان ـ وهي غردبان المعاصرة في جمهورية جورجيا السوفياتية .

(٢) في سبط ابن الجوزي (١٣٦) أن ألب أرسلان قرّر التوجه الى بلاد اللّان، لكن ثلجاً كثيفاً ضرب العسكر وأمات الكثير منهم ومن الخيول وغيرها. فقرر السلطان العودة الى كنجة. وأتى لعنده للخدمة أمير تفليس ابن جعفر ومعه أموال وخيول. حاكم كنجة فضلون ابن أبي الأصفر دفع أموالاً من أجل تفليس وأعطاه السلطان المدينة في شهر ربيع الأول ٤٦٠هـ-١٠٦٨م.
حسب المصادر الجورجية فإن السلطان توجه بعد أران عائداً إلى أريتي (الضفة اليمنى من نهر الأزان) بعد ثلاثة أسابيع كان في كاخيتي، ثم بمرافقة حاكم طاشير كيوريك الأول (١٠٤٨ ـ ١٠٨٩) والأمير التفليسي علي بن جعفر واسخارتان، استولى في كانون الأول (ديسمبر) ١٠٦٧ على تفليس وروستاف وأعطاهما لفضلون.

وأُنهي إليه أنّ خاقان ترك قضى نحبه[1] والتاث أمر تلك الولاية والممالك . فعاد السّلطان إلى كنجه ، ثم سار إلى البرذعة وعبر نهر أرس ، وهو مثل جيحون ، بلا سفينة وملّاح ، فوصل السّلطان إلى قرية يقال لها وريانس[2] ، فاستقبله شيخ قد أكل الدّهر عليه وشرب وسلّم على السّلطان وقال : أنا رجل مسلم ، أسلمت على يد أمير المؤمنين المعتصم[3] حين مرّ بهذا الموضع . فسأله الوزير نظام الملك عن آداب الاسلام فكان عالماً بها ، وشهد ثقاة تلك الولاية من المسلمين والنّصارى أنّ هذا الشّيخ قد دارت عليه الأدوار والأطوار وهو أصدق من القطا وأبي ذرّ[4] وأكرمه السّلطان وعظّمه وساق اليه مركوبه وأعطاه ألف دينار ، ثم انصرف السّلطان الى فارس وعيّد هناك .

= عندما عاد السلطان الى بيته، نزل بغراة الرابع من جديد من الجبال. فضلون بـ ٣٣ ألف جندي كانوا في مهران وأرسل بغراة له ايفان بن ليباريت حيث هزمّ جيش فضلون الذي هرب مع ١٥ فارساً.

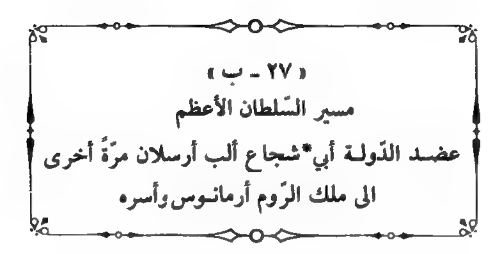
(١) هو طمغتش خان أبو اسحاق ابراهيم الأول بن نصر (١٠٥٢ ـ ١٠٦٨) خاقان دولة الكرخانيين الغربية.

(٢) عبر ألب أرسلان أراكس عبر جسر هودا ڤيرين الذي توجد بقربه على الضفة اليمنى من النهر قرية لارجان (لاريانس). (بونياتوف ١٩٣).

(٣) المعتصم بالله هو الخليفة العباسي الثامن (٨١٣ ـ ٨٣٣). يفهم من النص أن الشيخ عمره حوالي ٢٤٠ سنة .

(٤) القطاة: طائر في حجم الحمام. ويقال: أصدق من قطاة، لأن لها صوتاً واحداً لا تغيره. وصوتها حكاية لإسمها، تقول: قطا قطا، ولذلك تسميها العرب الصدوق. أنظر مجمع الأمثال ٤١٢/١، ومحيط المحيط للبستاني ١٧٣٦/٢.

أما أبو ذرّ فهو الصحابي أبو ذر الغفاري: جندب بن جنادة. من المؤمنين الأوائل روى أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ وعاش بعد وفاة النبي ﷺ في الشام. كان عدواً لدوداً للأغنياء والمستغِلّين، فتقاطر إليه الفقراء والمظلومون من كل مكان. اشتهر بتقواه وتقشفه وصدقه. توفي سنة ٣٢ للهجرة (٦٥٢ ميلادية).



« ٢٧ ـ ب »
مسير السّلطان الأعظم عضـد الدّولـة أبي* شجاع ألب أرسلان مرّةً أخرى الى ملك الرّوم أرمانـوس وأسره

وفي سنـة ثـلاث وستّـين وأربـع مـائـة ، مـرّ السّلطان ألب أرسـلان بـالشّام ، وخلّف ابنـه مع فـوج من عساكـره بكورة حلب[١] ، وعبـر ماء الفـرات بسنابـك الجيـاد دون السّفـائن والـزّواريق . وورد نـواحي خـوى وسلماس .

فقرع سمعه أنّ ملكـ[ـة] الرّوم[٢] قد فوّضت المملكة الى رجل من

---

* في الأصل : أبو .

(١) السنة يجب أن تكون ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ ـ ١٠٧٠). يذكر ابن الأثير (١٠/ ٢٠) والبنداري (٣٦) أن ملك الروم أقبل من القسطنطينية في عسكر كثيف (يقدّرة ابن العبري (١/ ٣١٨ ـ ٣١٩ بمئتي ألف) إلى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبني كلاب وابن حسان الطائي ومن معهما من جموع العرب. لكن ملك الروم ارتحل عائداً الى بلاده وذلك لشدة الجوع. أما سكان منبج فتوجهوا إلى السلطان ألب طالبين نجدتهم ضد البيزنطيين. فانطلق هذا من همذان بجيشه في ذي القعدة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠). (أنظر سبط ابن الجوزي ١٤٢ ـ ١٤٣). ثم قدم إلى سوريا فأخذ حلب وديار بكر. ومن هذه توجه في رجب ٤٦٣ هـ (١٠٧١) لملاقاة البيزنطيين وبعد احتلاله لمدن أرجيش ملاذكرت وأرزان وبتليس وخلاط وغيرها، سار إلى أذربيجان ـ إلى مدن صفرى وسلماس. أنظر كذلك ابن الجوزي ٨/ ٢٥٦ وماتيوس أورفايتس ١٣٧ .

(٢) ملكة الروم ـ في المخطوطة ملك ـ آنذاك كانت أفدوكيا ماكريمْوليتيسا: أرملة الامبراطور=

أولاد الملوك النّصارى ، وجهّز له جيشاً يـربو* عـلى ثلثمائـة ألف فارس[1] وراجـل . ورمت الرّوم الى السّلطان أفـلاذ** كبدهـا ، وأخرجت الأرض أثقـالها من عديدها وعددهـا ، واجتمع عـلى هذا الملك من أوبـاش الـرّوم والأرمن والفـرس والبجنـاك والغـزّ والفـرنـج[2] أقـوام طـالت العـين بهم سواعدهـا ، وأعلت النّصرانيّـة باجتمـاعهم قواعـدها ، وحلفـوا على أنّهم يزعجون الخليفة ويقيمون مقامه الجاثليق ويخرّبون المساجد ويبنون البِيَـع . فأنفذ السّلطان الى زوجته ووزيره نظام الملك وقال : إنّي صـائر بهـذا القدر الّـذي معي [الى] العـدوّ ، فـإن سلمت فنعمـة من الله تعـالىٰ ، فـان

---

* في الأصل : يربي .

** في الأصل : أولاد .

= قسطنطين دوق (١٠٦٧). في ٣١ كـانـون أول (ديسمبر) ١٠٦٨ م تـزوجت من رومـان ديوجين وفي أول كانون الثاني (يناير) ١٠٦٩ م تمّ تتويجه أمبراطوراً.

(١) رقم ٣٠٠ ألف يـرد عند البنـداري (٣٩) والفارقي (١٠٠). عنـد ابن الأثير: ٢٠٠ ألف (١٠/٢٢). سبط ابن الجوزي: ٤٠٠ ألف (١٤٨) ابن القلانسي: ٧٠٠ ألف (٩٩).

(٢) البنـداري (٣٩) يعدّ ضمن الجيش البيـزنطي « مـا بـين رومي وروسي وغـزي قفجـاقي وكرجيّ وأبخازي وخزري وفرنجي وأرمني ».

مـاتيوس أورفـايتس (١٤٠) يدخـل البلغار وشعـوب الجزر البعيـدة من كبادوكيـا وكيليكيا وانطاكية وطرابزون.

ابن الوردي (١/٣٧٣). « سار ملك الروم ارمانوس بجموع من الروم والجركس والروس ووصل ملاذكرد ».

سبط ابن الجـوزي (١٤٨) يذكـر عن جيش البيزنـطيـين: ١٠٠ ألف مقـاتـل، مئـة ألف مهنـدس وناسف، مئـة ألف من الجورجيـين ومئة ألف من الصنّـاع و٤٠٠ عربـة مصفحة يجـرها ٨٠٠ جـاموس. وألف عـربة محملة بـالسـلاح والقنـابـل من أجـل الحصـار (آلات الزحف). ومع العـسكر كان يوجد ٣٥ ألف بطريق (قائد) ويوجد ضاربة منجانيق يخـدمها ١٢٠٠ شخص، ومجمـوع الحجار التي تـزنها يعادل عشـرة قناطير (القنطار ٩٧,٥ كلغ)، وفي خزنة السلطان كان يوجد مليون دينار ومئة ألف رزمة من القماش إضـافة إلى أسـرجة وأحزمة من الذهب وغيرها. كما يكتب سبط ابن الجوزي (١٤٨) أن الامبراطور رومانوس وزع سلفاً على بطارقته اقطاعات مصر وسوريا وخراسان والري والعراق.

استشهدت فرحة من الله تعالىٰ ، فخليفتي ابني ملكشاه وهو في خمسة عشر ألف فارس من الشّجعان الرّجال ، ومع كلّ « ٢٨ ـ أ » واحد فرس يركبه[١] . فإنّ الخليفة القائم بأمر الله أمير المؤمنين قد أمر بالدّعاء على المنابر ، وعمل نسخة الدّعاء ودفعه الى الخطباء ، وهو من أنشاء أبي* سعيد بن موصلايا[٢] ، وهو :

اللّهمّ أعلِ راية الاسلام وناصره ، وادحض الشّرك بجبّ غاربه وقطع أواصره ؛ وامدد المجاهدين في سبيلك الّذين في طاعتك بنفوسهم سمحوا ، وبمبايعتك مهجتهم فازوا وربحوا ، بالعون الّذي يطول به باعهم ، وتملأ بالظّفر والأمن رباعهم ؛ وأحْبُ السّلطان ألب ارسلان برهان أمير المؤمنين بالنّصر الّذي تستنير به أعلامه ، ويستيسر مرامه** ؛ وأوْلِهِ من التّأييد الضّاحكة مباسمه ، القائمة أسواقه ومواسمه ، ما يقوّي اعزازَ دينك يده ، ويقضي له بأن يشفع بيومه من الكّفار غده ؛ واجعل جنوده بملائكتك معضودة ، وعزائمه على اليمن والتّوفيق معقودة ؛ فانّه قد هجر في كريم مرضاتك الدّعة ، وتاجر في بذل المال والنّفس ما انتهج فيه مسالك أوامرك الممتثلة المتّبعة ، فانّك تقول وقولك الحقّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾*** .

---

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : مكانه .

*** سورة الصف ، الآية ١٠ .

(١) مجموع عساكر ألب أرسلان يؤكدها كذلك سبط ابن الجوزي (١٤٨)، والبنداري (٣٨).

(٢) أمين الدولة أبو سعد (في المخطوطة سعيد) العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا. كان منذ ٤٣٢ هـ (١٠٤١) ـ كاتب انشاء بدءاً من الخليفة القائم بأمر الله. من حيث المنشأ فهو سوري مسيحي. اعتنق الإسلام عام ٤٨٤هـ. (١٠٩١ ـ ١٠٩٢م). قبل موته بقليل (١٩ جمادى الأول ٤٩٧ هـ (١١٠٤) أعفي من مهامه. أنظر ابن الجوزي ١٤١/٩. سبط ابن الجوزي (٨/١١ ـ ١٢)، وابن خلكان (٤٨٠/٣).

اللّهمّ « ٢٨ ـ ب » فكما أجاب نداك ولبّاه ، واجتنب التّثاقل عن السّعي في حياطة الشّريعة وأتاه ؛ ولاقى أعداءك بنفسه ، وواصل في الانتصار لدينك يومه بأمسه ؛ فأنت اخصصه بالظّفر ، وأعنه في مقاصده بحسن مجاري القضاء والقدر ، بحرزٍ يدرأ عنه من الأعداء كلّ كيد ، ويشمله من جميل صفاتك بأقوى أيد ؛ ويسّر له كلّ مرام يحاوله ، ومطلب يأمّه ويزاوله ؛ حتّى تكون نهضته الميمونة عن النّصر مسفرة ، ومقلة أرباب* الشّرك لسبل الرّشاد مع اصرارهم على الضّلال غير مبصرة .

فابتهلوا معاشر المسلمين الى الله تعالىٰ ، بالدّعاء له بنيّة صافية وعزيمة صادقة وقلوب خاشعة ، وعقائد في رياض الخلوص رائعة ؛ فانّه سبحانه وتعالى : يقول : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾** . وواصلوا الرّغبة الى الله تعالىٰ في اعزاز جانبه ، وفلّ غرب مُجانبه ، واعلاء رايته ، وانالته من الظّفر أقصى حدّه وغايته ؛ وتيسير المصاعب لديه ، واذلال الشّرك بين يديه .

وتقارب السّلطان من ملك الرّوم في موضع يعرف بالزُّهرة[1] بين **خلاط** و **ملازكرد** ، في يوم الأربعاء خامس عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستّين وأربع مائة . فراسله السّلطان في الهدنة ، فأجاب أنّ الهدنة تكون بالرّي[2] .

---

* في الأصل : آداب .

** سورة الفرقان ، الآية ٧٧ .

(١) هكذا في المخطوطة . في ياقوت (٣/١٠٨ ـ ١٠٩) : رهوة ـ صحراء قرب خلاط .

(٢) « كلب الروم (الامبراطور) نازل بين خلاط وملاذ كرت في موضع يعرف بالزهرة وهو في مائتي ألف فارس من ذوي القلوب المدلهمّة والوجوه المكفهرّة وبين العسكرين فرسخ (٧ كلم) وبين حجري التوحيد والتثليث برزخ » البنداري (٤٠) .
حول الصلح المقترح من قبل ألب أرسلان على رومانوس ديوجين أنظر البنداري (٤٠)، ابن الأثير ٢٢/١٠ وابن العبري (٣٢١/١).

فانزعج من ذلك « ٢٩ ـ أ » السّلطان ، فقال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمّد بن عبد الملك البخاري الحنفي : انّك تقاتل عن دين الله ، وأنا أرجو أن يكون الله تعالىٰ قد كتب باسمك هذا الفتح ، فالقهم يوم الجمعة في السّاعة الّتي تكون الخطباء على المنابر ، يدعون للمجاهدين بالنّصر على الكافرين والدّعاء مقرون بالاجابة . فتوقّف السّلطان الى يوم الجمعة عند خطبة الخطباء ، وقرأ قوله تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ * . وقال السّلطان ربّما يكون في الخطباء من اذا قال في آخر خطبته : اللّهمّ انصر جيوش المسلمين وسراياهم ، حقّق الله ببركات دعائه مقاصد الغزاة ومبتغاهم .

وعاد الوزير نظام الملك الى همدان ، صيانة للعراق والخراسان ومازندران عن أهل العيب والفساد . وألقى السّلطان نفسه في المهالك ، وقال السّلطان : من أراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان** يأمر وينهي غير الله . ورمى بالقوس والنّشّاب ، وأخذ السّيف ، وعقد ذنب فرسه بيده ، وجعل جميع عسكره مثل فعله . فلمّا التقى الجمعان ، حفر الرّوم الخندق حول العسكر ؛ فقال السّلطان : انْهَزَمُوا والله ، فإنّ حفر الخندق لهؤلاء مع كثرة عددهم دليل على الجبن والفشل .

وضرب قيصر الرّوم فسطاطاً من الأطلس « ٢٩ ـ ب » الأحمر وخيمة مثلها وأخبية من الدّبابيج ، وجلس على سرير من الذّهب ، وفوقه صليب من الذّهب مرصّع بجواهر لا قيمة لها ، وبين يديه بشر كثير من الرّهابين والقسّيسين يتلون الانجيل .

والتقى الفريقان يوم الجمعة عند طلوع خطيب المسلمين في المنبر ، وعلت الأصواتُ بالقرآن وأصوات الكوسات من عسكر السّلطان ،

---

* سورة الأنفال ، الآية ١٠ .

** في الأصل : السلطان .

وأصـوات النّـواقيس من عسكــر الـرّوم . وهبّت أعصــار أعمت عيـون المسلمـين ، وكاد ينهـزم عسكـر السّلطان ؛ فنـزل السّلطان من الفـرس ، وسجد لله تعالى وقال :

اللّهمّ توكّلت عليك ، وتقـرّبت بهذا الجهـاد إليك ، وعفّـرت وجهي بـين يديـك ، وضرّجتـه بعصارة كبـدي وعينـاي نضّـاختـان من البكـاء ، وسالفتاي رشّـاحتان من الـدّماء ، فـان كنت تعلم من ضميري خـلاف ما أقوله بلساني فأهلكني ومن معي من أعواني وغلماني ؛ وان كان سرًّا موافقاً لعـلانيتي فامـددني عـلى جهـاد الأعـداء ، واجعـل لي من لـدنـك سلطانـاً نصيراً ، وصيّر العسير عليّ يسيراً .

وكـان يردّد هـذا التضرّع والبكـاء ، حتّى انعكست مهابّ الـرّياح ، وأعمت عيـون الكفّار ؛ واجتثّ التّقـديـرُ شجـرة البغي ، واصـطلم أنفُ الغيّ ، « ٣٠ ـ أ » ودرس أعلام النّصارى ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَـارَى ﴾* . وانجلت عند اصفـرار الشّمس غبرة المعـركة ، وأحـاطت بملك الرّوم يد الأسر والهلكة . وكيفيّة ذلك : أنّه عار فرس لبعض غلمان السّلطان ، فتبـع ذلك الغـلام أثر فـرسه ، فـوجد فـرساً مـع لجام مـرصّع وسـرج من الذّهـب ورجـلاً جالسـاً** عند الفرس ، وبين يـديه مغفـر من الذّهب ودرع مسرودة من الذّهـب . فهمّ الغلام بقتله فقال له الرّجل : أنا قيصر الرّوم فلا تقتلني فانّ قتـل الملوك شؤم . فشدّ الغـلام يديـه ، وجرّه الى معسكـر السّلطان فـما رآه أسـير من أسـراء الـرّوم إلاّ ألصق جبهتـه بـالتّـراب . فـورد المبشّـر حضـرة السّلطان ، والسّلطان يصـلّي المغــرب . فأدخلوه على السّلطان والحجّاب أخذوه [من] ضفيرته وجيبه ، يجرّونه الى الأرض ليقبّلها . فما قبّل الأرض بين يدي السّلطان ، لما استهـواه من زهو

---

* سورة الحج ، الآية ٢ .

** في الأصل : جالس .

الملك والأبّهة . فقال السّلطان : دعوه فحسبه معاينة هذا اليوم .

وكان لسعد الدّولة كوهرائين[1] مملوك أهداه الى الوزير نظام الملك ، فردّه عليه ، ولم ينظر اليه ، ورآه حقيراً فرغّبه فيه كثيراً . فقال الوزير نظام الملك : وماذا يراد منه عسى « ٣٠ ـ ب » أن يأتينا بملك الرّوم قيصر أسيراً . فكان كما قال الوزير نظام الملك . وحضر يوم الوقعة الغلام بين يدي السّلطان ، وأحضر ملك الرّوم أسيراً ، فأمر بتقييده . ومنّى الغلام فتمنّى بشارة غزنين فبذل ذلك له .

سمعت من خواجا إمام مشرف الشّيرازي التّاجر على شاطىء جيحون مقابل دَرْغان[2]، ونحن منحدرون الى خوارزم ، قال : سمعت من مشائخي أنّه لمّا تقاتل عسكر السّلطان ألب ارسلان وعساكر الرّوم ، سيّر ملك الرّوم رسولاً إلى السّلطان وقال له : إنّني قد أتيتك ومعي من العساكر ما لا قبل لك به ، فان أنت دخلت في طاعتي فأنا أدفع لك من البلاد ما يكفيك ، وتأمن سطوتي وبأسي ؛ وان أنت لم تفعل ذلك فأنا معي من العساكر ثلثمائة ألف فارس وراجل ، ومعي أربعة عشر ألف عجلة عليها خزائن الأموال والسّلاح ، وليس يقف بين يديّ أحد من عساكر المسلمين ، ولا يغلق بوجهي مدينة من مدائنهم ، ولا قلعة من قلاعهم .

---

(١) كان سعد الدولة الكوهرائين من الخدم الأتراك الذين ملكهم أبو كاليجار وبعد وفاة الأمير خدم الكوهرائين ألب أرسلان. بعد قتل ألب أرسلان أرسله جلال الدولة ملك شاه إلى بغداد واقطعه واسط وجعله شحنة بغداد. ولما اختصم محمد وبركيا روق (أبناء ملكشاه) وقف الكوهرائين مع بركيا روق فكبا به الفرس فسقط وعليه سلاحه فقتل في رجب ٤٩٣ عند نهر سفيدروز ودفن في بغداد. أنظر ابن الجوزي ٩/١١٥ ـ ١١٦.

(٢) دَرْغَان: مدينة على شاطىء جيحون، بينها وبين جيحون ميلان « رأيتها في رمضان سنة ٦١٦ هـ عند قصدي لخوارزم من مرو » ياقوت (٢/٤٥١). وهي المدينة الثانية في خوارزم من حيث أهميتها بعد غرغانج.

فلمّا سمع السّلطان هذه الرّسالة ، أخذته عزّة الإسلام ، وتحرّكت في صدره نخوة الملك . فقال للرّسول : قل لصاحبك انّك أنت ما قصدتني ، ولكنّ الله سبحانه حملك اليّ ، وجعلك وعساكرك طعمة للمسلمين ، « ٣١ ـ أ » فأنت أسيري وعبدي ، وعساكرك بعضهم قتلاي وبعضهم أسراي ، وخزانتك كلّها ملكي ومالي ، فاثبت للمقارعة ، وتهيّأ للمكافحة ؛ فسوف ترى أنّ عساكرك هي رقاب تساق الى ضاربها ، وخزانتك هي أموال تحمل الى ناهبها .

وفي بكرة غد كان الحرب بينهما ، وجرى جميع ما قاله السّلطان بعون الله وتوفيقه . ولّما أحضر الملك أمام سدّة السّلطان ، قال ملك الرّوم للتّرجمان : قل للسّلطان يردّني الى دار ملكي قبل أن تجتمع الرّوم الى ملك آخر يجاهرنا بالمكافحة والمحاربة ، ويدرس كتاب العدوان ، ويُبرز صفحة العصيان ، وأنا أطوع لك من عبيدك ، ولك عليّ كلّ سنة أن أؤدّي على سبيل الجزية ألف ألف دينر[١] .

فأجابه السّلطان الى سؤاله ، بعد ما عرضه النّخّاسون على معرض البيع في الأسواق ، ثمّ أعتقه السّلطان ، وخلع عليه وعلى من بقي معه من الأسارى . وعاد الملك الى دار ملكه ووفي بما عاهد[٢] .

---

(١) يذكر كلود كاهين (٦٩) في تعليقه على هذا النص أن شيوخ مشرف الشيرازي كانوا قد اشتركوا في معركة ١٠٧١ م عند ملاذكرت. وأن هذا التعبير الذي أورده، عاش مؤلفه في القرن السادس هجري / الثاني عشر ميلادي. لكن من هذا النص لا يبدو ذلك. فناقل الكلمة على لسان شيوخه ينقل فقط حديثاً للسلطان ألب أرسلان. وهذا النقل الشفهي لهذه الكلمة، هو على الأرجح خرافة هدفها تزيين شخص السلطان ـ كحامي للعقيدة. عدا ذلك، فإن المؤلف ـ الشخصية الأولى عما سمعه من أمين الدين الزنجاني الذي كان بالتأكيد معاصراً وشاهداً على الأحداث عام ٥٩٠/١١٩٤.

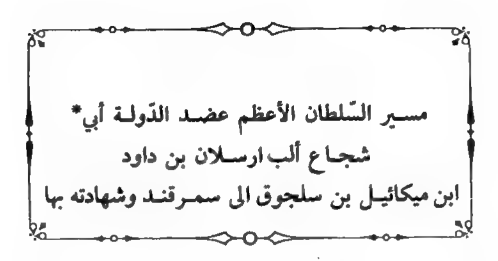
(٢) عندما عُلم في بيزنطية بأسر رومانوس ديوجين. أعلنتْ أفدوكيا (زوجته) ابنها الأكبر ميخائيل السابع دوق (١٠٧٢ ـ ١٠٧٨) امبراطوراً ولكن عندماوصل الخبر في العاصمة بأن الامبراطور رومانوس قد حُرّر من الأسر وأنه متوجّه إلى الامبراطورية، فإن يوحنا دوق (عمّ =

وورد من جهة أمير المؤمنين القائم بأمر الله الى السّلطان الب أرسـلان كتـاب تهنئة الفتـح والظّفـر وخاطبـه فيه : الـولد السّيّـد الأجـلّ ، المؤيّـد المنصور المظفّـر ، السّلطان الأعظم ، مـالك العـرب والعجم ، سيّد ملوك الأمم ، ضيـاء الدّين ، غيـاث المسلمـين ، ظهـير الإمـام ، كهف « ٣١ - ب » الأنـام ، عضد الـدّولة القـاهرة ، تـاج الملّة البـاهـرة ، سلطان ديـار المسلمين ، برهـان أمير المؤمنـين ، حرس الله تمهيـده وجعل من الخيـرات مزيده[١] .

= ميخائيل) طلب من افدوكيا اعلان خلع رومانوس ديوجين. وعندمـا رفضـت أفدوكيـا قبول الطلب أحتُجزت في أحد الأديرة. ونتيجة للخلافات اللاحقة استُفرد برومانوس وحوصر في أضنة حيث استسلم وتخلّى عن العرش وأرسل إلى أحد الأديرة حيث، بعـد ذلك، سُملت عيناه ومات عام ١٠٧٢ م في جزيرة بروت.

(١) عن أحداث هذا الفصل كتب الكثير في المؤلفات العربية والفارسية والجورجية والأرمنية.

يكتب ن. أ. أوسبينسكي (تـاريخ الأمبـراطوريـة البيـزنـطيـة ٩٤) حـول أسبـاب هـزيمـة رومانوس ديوجين أنه في الأيام الأخيرة للمعركة أعطى رومانوس اشـارة إلى جنوده بـالعودة إلى المعسـكـر. لكن اندرونيـك دوق، قائـد الجيش المحاصـر، بدلاً من هـذا والاتحاد مـع الامبراطور هرب وتبعه المشاة الأمر الذي أدى إلى خسـارة المعركة فيما بعد.



مسير السّلطان الأعظم عضد الدّولة أبي* شجاع ألب ارسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق الى سمرقند وشهادته بها

وكان سبب هلاك هذا السّلطان عظيم الشّأن ، مع قوّة شوكته : أنّه سار في أوّل سنة خمس وستّين وأربع مائة ، حتّى عبر نهر جيحون على جسر مدّه ، وكان معه مائة ألف فارس مقاتل ، خارجاً عن الحشم والغلمان والسّواد (1) ، يريد شمس الملوك صاحب طمغاج(2) . وأتاه أصحابه

---

* في الأصل : أبو .

(1) في ابن الأثير (10/25) يبلغ تعداد الجيش مئتي ألف فارس. كذلك عند ابن الجوزي (196).

(2) المقصود شمس الملك أبو الحسن نصر الأول بن ابراهيم (1068 - 1080) في موضع يتحدث ابن الأثير (10/25) عن « ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين » وفي موضع آخر (10/26) « التكين صاحب سمرقند ». في سبط ابن الجوزي (196): « شمس الملك تكين بن طغماج ـ صاحب سمرقند، بخارى وما وراء النهر ».

في ابن الفوطي (4/2، 650 ـ 651) أن والد شمس الملك هو عماد الدولة أبو المظفر ابراهيم بن ايلك نصر المشهور طفغج التركستاني.

في « تاريخه » يذكر أبو الحسن الهمذاني: « حدثني أبو المجد محمد بن عبد الجليل الكاشغري. أن والده كان مشهوراً باسم ايلك بك وكان ناسكاً، وتحت سلطته فرغان وسمرقند. عندما توفي حل محله ابنه طفغج الذي كان تقياً مؤمناً. لم يقتل يوماً ولم ينهب متاع أحد، ما دام لم يكن لديه سماح من الفقهاء. كل سنة كان يرسل للخليفة مبعوثين ثم تلقى لقب عماد الدولة، تاج الملة، عزّ الأمة، كهف المسلمين، ملك الشرق والصين، =

بشخص من مستحفظي القلعة[1] يقال له : يوسف الخوارزمي ، فأراد قتله على ذنوب ارتكبها ، فأمر أن تضرب له أربعة أوتاد ، وتشدّ أطرافه اليها . فقال له يوسف : يا مخنّث* هكذا تقتل الرّجال ! . فاحتدّ السّلطان ، وأخذ القوس والنّشّاب ، وقال للموكّلَيْن به : خلّياه ، ورماه فأخطأه ولم يخطىء له سهم غيرها . فعدا يوسف اليه ، وكان السّلطان على سدّة ؛ فنهض ونزل ، فعثر ووقع على وجهه وقد وصله يوسف ، فنزل عليه وضربه بسكّين في خاصرته . وكان سعد الدّولة كوهرائين واقفاً فجرحه [يوسف] عدّة « ٣٢ ـ أ » جراحات ، ولم يفتر ، ولحق يوسفَ فرّاشٌ أرمنيٌّ ضربه بالمرزبة على رأسه فقتله ، وتلاحقت الأتراك فقطّعوه بالسّيوف .

قال السّلطان ما من وجه قصدته ، ولا عدوّ أردته ، إلاّ استعنت بالله عليه . فلمّا كان أمسنا صعدت تلاًّ فارتجّت الأرض تحتي من عظمة الجيش ، فقلت في نفسي : أنا ملك الدّنيا ، وما يقدر أحد عليّ ، فخانني

---

* في الأصل : مخبّث .

= طفغج بن بغراخان سيف أمير المؤمنين. توفي عماد الدولة في شهر رمضان ٤٧٠ هـ.

مستغلاً موت ألب أرسلان، ملك شمس المُلك تكين مدينة ترمذ ونقل ذخائرها إلى سمرقند ثم سار إلى البلخ بناء لطلب أهلها ثم وقعت بيد اياز بن ألب ارسلان الذي توجه إلى ترمذ لملاقاة التكين لكن إياز انهزم. (ابن الأثير ١٠/٢٦ ـ ٢٧).

بعد سنتين فقط استعاد ملك ترمذ وأرسل عسكراً الى سمرقند. في هذا الوقت كان نصر عند لقائه بالوزير نظام الملك ينجح في اقامة صلح تزوج بعده بابنة ألب أرسلان. أنظر كذلك سبط ابن الجوزي (١٦٤).

(١) قلعة برزان في مقاطعة مرو. ياقوت (١/٣٨٢). . في سبط ابن الجوزي أن القلعة اسمها « بيرون » (١٦٥). وقد سقطت القلعة وحاميتها بيد جيش السلطان بعد حصار طويل. قائد القلعة يوسف الخوارزمي قطع قبل استسلامه للسلطان، رؤوس ثلاثة من أبنائه وزوجته. وقد خرج من القلعة وتحت ثيابه قد خبأ خنجرين. أنظر فاردان (١٢٩) وماتيوس اورفايست (١٤٥) وكيراكوس (٥٨).

قدره، وأنا أستعين بالله وأستغفر من ذلك الخاطر .

وعاش السّلطان بَعْدُ ، ثلاثة أيّام ، وتوفّي يوم السّبت سلخ ربيع الأوّل سنة خمس وستّين وأربع مائة[1] . وكانت مدّة ملكه عشر سنين . أولاده: ملكشاه ، تكش ، اياز ، تتش ، بوري برس ، ارسلان أرغون .

كان حسن السّيرة ، صارماً ديّناً ، عادلاً ، منصفاً ، مظفّراً في حروبه ، كثير الغزوات والجهاد . وكان يذبح كلّ يوم خمسين* رأساً من الغنم ، ويطبخ الطّعام ويطعم الفقراء في كلّ [يوم وذلك سوى الرّاتب المعيّن للسّماط برسم الأمراء والعسكر]** ، ووصّى بالسّلطنة الى ولده ملكشاه . فكان عمره أربعين سنة وشهرين ، ودفن بمرو عند أبيه وعمّه ، وأوصى وزيره نظام الملك بطاعة ولده ملكشاه ، واستحلفه له ، واستحلف*** العساكر .

[قلت رأيت في بعض التواريخ أنّ السلطان ألب ارسلان هذا كانت يده لا يفارقها القوس حتى في المكتب وأنه رأى جندياً يتعدّى على رجل عامي . . . . . فرمى الب ارسلان للجنديّ سهماً فأصماه به على . . . جد وعظم في أعين النّاس وتحدثوا . . . نال الملك بسهم صائب و . . . .]**** .

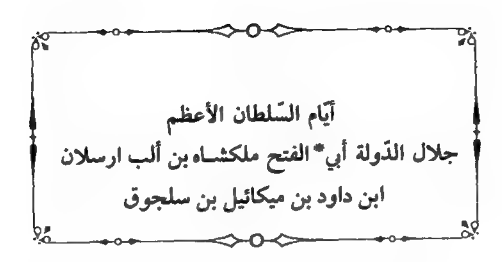
* في الأصل : خمسون .

** ترد هذه العبارة في الهامش .

*** في الأصل : استخلف .

**** ترد هذه العبارة في الهامش ، ومكان النقاط مقصوص .

(١) حسب ابن الأثير (١٠/٢٥) فإن ألب أرسلان ولد سنة ٤٢٠ أو ٤٢٤ هـ ومات في العاشر من ربيع الأول سنة ٤٦٥ (٢٤ كانون الأول ديسمبر، ١٠٧٢ م).



أيّام السّلطان الأعظم
جلال الدّولة أبي* الفتح ملكشاه بن ألب ارسلان
ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق

« ٣٢ ـ ب » كان رحمه الله بين ملوك السّلجوقيّة واسطة العقد ، والمشهور بالسّعادة في الحلّ والعقد ، والتصرّف في أقاليم الأرض بالبسط والقبض . [وأعطاه الله] ما لم يعطه لملك ممّن تقدّم ولا لمن تأخّر . ومن أعظم سعاداته ، أنّه لا يصحب أباه في سفر إلاّ في السّفرة الّتي قُتل فيها . وبقي والده حتّى أوصى العسكر به ، واستحلفه** له . وعاد السّلطان الأعظم ملكشاه الى مرو ، وأضحى به وجه الملك الى أوامره ونواهيه ناظراً ، وأطاعته ملوك الأطراف ، ورأوا منه ما أحبّوا من الاسعاف والالطاف . وكتب الى عمّه قاورد بن الملك داود كتاباً ، يطيّب القلب ، ويكشف الكرب .

وقال شرف الملك أبو سعد المستوفي الخوارزمي[1] لنظام الملك : الأولى والأصلح المقام بنيسابور ، فانّها واسطة عقد خراسان ، ومعسكر الملوك الماضيين وآل سامان . فوصل السّلطان الى نيسابور ، يوم الجمعة

* في الأصل : أبو .
** في الأصل : استخلف .
(١) الحاج شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور بن محمد الخوارزمي (توفى ١١٠٠ ـ ١١٠١) المستوفي، عمل عند السلطان ألب أرسلان وملك شاه مستوفياً للمملكة وصاحب ديوان الزمام والاستيفاء. البنداري ٦٠ ـ ٦١.

السّادس عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستّين . واستخرج السّلطان الأعظم ملكشاه من قهندز نيسابور أموالاً جمّة ، واستمال بها قلوب أمراء العسكر والحشم . فلمّا قرع سمع الملك قاورد نعي أخيه السّلطان ألب ارسلان ، سار من عُمان[1] الى كرمان . وعبر « ٣٣ ـ أ » البحر وانكسرت السّفائن ، وهلك أكثر الجنود . ثمّ كتب الى السّلطان ملكشاه :

أنا الأخ الكبير ، وأنت الولد الصّغير ؛ وأنا أولى بميراث أخي السّلطان ألب ارسلان منك .

فأجاب السّلطان ملكشاه فقال : الأخ لا يرث مع وجود الابن .

وكتب الأمير تميراك بن الأمير فرّخشاه الى الملك قاورد ملك كرمان : لا يغرّنك * ملكك ومكانك ، واستيلاءك وسلطانك ؛ والله تعالىٰ ألّف بين قلوبنا في طاعة ابن أخيك ، فلا تقبل من غواة عسكرك الكلام الرّكيك ؛ واعلم أنّ الفرخ لا يقاوم الدّيك .

وكتب الوزير نظام الملك الى الملك قاورد من المواعظ والنّصائح ما يهدي الى سبيل الرّشاد ، ويوضح نهج السّداد .

ولكن السّلطان أسدى وألحم ، وأسرج وركب الشّحناء وألجم . وسار الملك قاورد الى أصبهان ، والسّلطان ملكشاه الى الرّي ؛ وصال القائد أمير سوتكين على مقدّمة الملك قاورد فهزمهم ، وبدّد شملهم[2] . والتقى

---

* في الأصل : يرمي .

(١) بعد موت ألب أرسلان خُطب في بغداد باسم السلطان الجديد ملك شاه. وحسب وصية الب أرسلان فإن قاورت بك أُعطي أعمال فارس وكرمان. ابن الأثير ٢٦/١٠ .

(٢) تحرك قاورت بك بسرعة من عُمان إلى كرمان ثم قصد بألف فارس وأربعة آلاف راجل امريٌ حيث الخزنة السلطانية. وكان قاورت يفترض انضمام العساكر السلطانية إلى جانبه. لكن ملك شاه سبقه ووزع على التركمان الذين كان يؤمل عليهم قاورت ٥٠٠ ألف دينار و ٥ آلاف ثوب قماش وأسلحة. وقد تأخر قاورت يومين. وفي الحملة إلى الريّ =

الجمعان بظاهر همدان يوم الأربعاء ، السّادس والعشرين من جمادي الأولى سنة ستّ وستّين وأربع مائة . وكان على ميمنة السّلطان أمير سوتكين ، وعلى ميسرته تمراك . وللملك قاورد سبعة بنين[1] ، وقف بعضهم في الميمنة ، وبعضهم في الميسرة ، وبعضهم مع أبيهم في القلب . وظنّ الملك قاورد أنّ « ٣٣ ـ ب » عسكر أخيه السّلطان ألب ارسلان اذا عاينوه أطاعوه . فلمّا كان الأمر بخلاف ذلك ندم ندامة الكسعي[2] ، فصال أمير العرب وهو مسلم بن قريش[3] مع حشمه على ميسرة الملك قاورد ؛ فانهزم عسكر الكرمان فظفر بالملك قاورد الأمير تميراك في جبال همدان[4] . فوعده الملك قاورد الاقطاعات والأموال ، فقال له الأمير تميراك : أنت المولى ونحن العبيد ، ليس لنا أن نحكم فيك ما نريد ؛ فاقصد معي حضرة السّلطان فانّه صاحب الأمر . فحُمل الملك قاورد وخرج السّلطان

= أبيدت مقدمة جيشه وذلك في معركة جرت في شعبان ٤٦٥ هـ. وحسب ابن الجوزي (٢٧٧/٨) جرت المعركة في الرابع من شعبان.

(١) كان لقاورت تسعة أبناء: أحمد، عمر، حسين، كرمان شاه، سلطان شاه، طوران شاه، شاهان شاه، مردان شاه، ايران شاه.

(٢) أندم من الكُسَعي: مثل حول رجل من كُسَع ندم على كَسْر قوسه بقطع ابهامه بعدما ظنّ، خطأً، أنه لم يصبْ أياً من الحُمُر في رمياته الخمس. فأنشأ يقول:

ندمتُ ندامةً لو ان نفسي تطاوعني إذا لَقَطَعْتُ خُمسي
تبيّنَ لي سفاه الرأي مني لَعَمْرُ أبيك حين كسرتُ قوسي

وقال الفرزدق حين أبان النّوار زوجته وقصته مشهورة:

ندمتُ ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوارُ
وكانت جنتي فخرجتُ منها كآدم حين لجّ به الضرار

أنظر مجمع الأمثال: ٣٤٨/٢ ـ ٣٤٩.

(٣) مسلم بن قريش ـ ابن علم الدين أبو المعالي قريش بن بدران.

(٤) بعد هزيمته التجأ قاورت إلى بعض القرى، فجاء رجل من القرية وأخبر ملك شاه فأخذه. (ابن الجوزي ٢٧٧/٨، البنداري ٤٩، سبط ابن الجوزي ١٦١، ابن الأثير ٢٧/١٠).

ملكشاه . فلمّا بدا الموكب والجتر* ، ترجّل الملك قاورد ، ومسح الأرض بجبينه ، وتمرّغ بين يدي السّلطان . فأوقدت صلةُ الرّحم نيرانَ الرّحمة بين أحشاء السّلطان وضلوعه ، وصار طرفه شرقاً بدموعه ، وقال للوزير نـظام الملك : أنا لا أقطع رحماً وأضيع نسباً ، وعمُّ الرّجل بمنزلة أبيه .

فقـال له الـوزير نـظام الملك : المُلْكُ عقيم ، وهو لا ينـظر اليـك إلاّ بعين فيها من وجودك قذى ، ولا يواليك إلاّ بصدر ينطوي من ملكك على أذى ؛ ولو ظفر بك لما أخذته فيك رحمة ولا رحم .

فقال له السّلطان : هل على وجه الأرض أخسر صفقة ممّن قطع يمينـه بشماله وقتل عمّه « ٣٤ ـ أ » الّذي هو بمنزلة أبيه .

فحبس الملك قاورد في خيمة الأمير سوتكين ، ودخل عليه العميد أبـو الرّضا وطلب منه مفاتيح الخزائن وعلامات الدّفائن ؛ فقـال الملك قاورد : بلاد كرمان تضايقت حدودها ، دخلها قليل وسـاكنها عليـل ، وكلّ مـا لي فيها من الأموال والخزائن تحفة منّي لغلام من غلمان السّلطان ؛ فـأطلقوني حتّى أسير الى بلاد عمان ، وأكون للسّلطان عمّا مطيعاً ووالداً حدباً ، فـإنّي قد علمت أنّ ماء وجهي صار غوراً ولا أستطيع له طلباً . فما عرضت هذه الرّسالة على السّلطان خوفاً من أن يطلقه وقتلوه بالتّخنيق[1] .

وصام السّلطان رمضان هذه السّنة في أصفهـان ، وأنفق أموالاً كثيـرة على الفقراء والصّلحاء وأطلق المحبوسـين ، وفوّض ايـالة فـارس الى الأمير ركن الدّولة قتلغ تكـين ، ومملكة عُمَـان وكرمـان الى أولاد الملك قاورد ،

---

* الجَتْر : الخيمة والشمسية ، وهي تعريب جتر الفارسية .

(١) في الراوندي (٢٠١) والنيسابوري (٣٠) فإن قاورت بك قد سُمّم . وقد أُسر معه كذلـك خمسة من أبنائه . وبناء لأوامر ملك شاه فقد سُملت أعينهم . اثنان منهما ماتا، أما سلطان شاه وطوران شاه ومردان شاه فقد بقوا على قيد الحياة (ابن العربي ٣٢٦/١) . واللّذان ماتا هما: ايران شاه وشاهان شاه . أنظر كذلك سبط ابن الجوزي ١٦٣ .

وأهدى اليهم خلعاً أقرّ بها عيونهم واستمال قلوبهم . وعاد الى الرّي وبلغت نعية أخيه اياز[1] من بلخ .

ثمّ خلع السّلطان على أخيه شهاب الدّولة الملك تكش وفوّض اليه بلخ وطخيرستان[2] .

وورد في تلك الأيّام رسل السّلطان ابراهيم صاحب غزنة مع التّحف والهدايا ، وخطبوا كريمة السّلطان ملكشاه ، فأجابهم الى ما سألوه وزوّج ابنته كوهر ملك الملقّبة « ٣٤ ـ ب » بمهد العراق بالسّلطان مسعود بن ابراهيم . ولقّبت بذلك لأنّ السّلطان بعثها من الرّي الى غزنة .

ونهض السّلطان من الرّي نحو جرجان[3] ، وورد رسول عمّ السّلطان الملقّب بأمير الأمراء الحضرة ، وعرض تحنّنه وتعطّشه الى ملاحظته ، وتشوّقه الى ملافظته ، وقال : لو ركب الينا أجنحة الرّياح لحمد السُّرى عند الصّباح[4] . فسار السّلطان نحو سرخس

---

(١) الأمير شهاب الدولة قطب الملة إياز ـ الابن الأكبر لطغرل بك. ادعى، كما قاورت، العرش السلطاني. توفى في ٤٦٦ هـ. أنظر ابن الأثير ٣٢/١٠، البنداري ٥٠ وسبط ابن الجوزي ١٦٧.

(٢) الأمير شهاب الدولة تكيش مارس الاستقلالية عن السلطان وهاجم المدينة حيث مارس النهب والتخريب. كان يشرب الخمر في رمضان وغيرها من الأيام المقدسة. في النهاية نفاه السلطان الى قلعة فيروزكوه في اقليم دمغان. أنظر سبط ابن الجوزي (٢٧، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٢٩ ـ ٢٣٣، ٢٣٧).

البلخ ـ مدينة بخراسان بينها وبين ترمذ ١٢ فرسخاً وبين جيحون عشرة فراسخ. ياقوت ٤٧٩/١ ـ ٤٨٠.

طخارستان :من نواحي خراسان، تشتمل على عدة بلاد، غربي جيحون، أكبر مدنها طالقان. ياقوت ٢٣/٤ .

(٣) جرجان ـ اقليم إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين. أنظر عن جرجان ياقوت ١١٩/٢ وما يليها.

(٤) السُّرى: سير عامة الليل، وهو مثل يضرب للرجل الذي يحتمل المشقة رجاء الراحة. =

وبـادغيس[1] ، فوصـل الى الحضرة أمـير الأمراء ، وهـو عثمـان بن الملك داود ، وهمّ بتقبيـل الأرض ، فمنعه الحُجّـاب عن ذلك ؛ ونـزل السّلطان عن سريره وعانقه وأجلسه معه على سريره وبالغ في احترامه . وفوّض اليـه ايـالـة ولـوالـج[2] ، وخـوطب بـالملك المؤيّـد ركن الـدّين ، ورخّص لـه السّلطان في اقامة مراسم النّوبة وأمر له بالجتر* الأسود .

وفوّض ولاية هراة ونواحي غور وغرجستـان[3] الى أخيه الملك بـوري برس ؛ وكتب الخاقان الى السّلطان ملكشاه كتاباً لـه طعمان : حلو ومـرّ . وملخصه :

إنّ بلدة ترمذ وقلعتها من بلاد ما وراء النّهر فينبغي أن يكون التّصرّف فيها للولاة الخاقانيّة ، وفي ذلك تأكيد الألفة ، وتوطيد المودّة ما تصـدق فيه الرّغبات ، وتحرز منه الحسنات . وفي خلال ذلك الكتاب كلام يحكي وقع الحسام ، ووخز السّهام[4] . « ٣٥ ـ أ » .

---

* في الأصل : الجير .

= ويضرب أيضاً في الحث على مزاولة الأمر والصبر وتوطين النفس حتى يحمد عـاقبته، وأول من قال ذلك خالد بن الوليد:

عند الصباح يحمد القوم السرى   وتنجلي عنهم غيابات الكرى.

أنظر: مجمع الأمثال ٢/٤، ومحيط المحيط للبستاني ١/٩٥٤.

(١) باذغيس ـ ناحية من أعمال هراة ومرو الروذ. ياقوت (١/٣١٨).

(٢) ولوالج ـ بلد من أعمال بذخشان خلف بلخ وطخارستان، ياقوت (٥/٣٨٤).

(٣) غور: ولاية بين هراة وغزنة، فيها قلعة كبيرة هي فيروزكوه. ياقوت (٤/٢١٨).

غرشستان أو غرشتان أو غرجستان: هي ولاية برأسها ليس لها سلطان ولا لسلطان عليهـا سبيل فيها نهر مرو الروذ، تحيط بها هراة والغور ومرو الروذ وغرزنة. ياقوت ٤/١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) استغل حاكم سمرقند وفاة ألب أرسلان وهاجم في ربيع الآخر سنة ٤٦٥ هـ ترمذ. وقـد حاول إياز، شقيق ألب أرسلان استعادتها، لكن في المعركة التي جرت في ٢٣ جمادى الأولى =

فركب السّلطان الأعظم ملكشاه في عساكر تكاد الأرض ترجف منها ، حتّى صار الى بلخ . فاستقبله أعيانها وأكابرها من الأئمّة السّادة ، وتظلّموا من الخاقانيّة وقالوا : نرى في كلّ وقت من عساكر ما وراء النّهر غارة شعواء وخبطة عشواء ؛ وهم قوم ضُرُّوا بنقض العهود ، ولعجوا بفسخ العقود .

وفي [أثناء] ذلك ورد المبشّر بولادة ابن السّلطان ، شهدت له أحكام النّجوم أنّه سيملك أداني الأرض وأقاصيها . واقتضى رأي السّلطان أن يسعد جدّه باسم ابنه محمّد ألب ارسلان وهو السّلطان محمد[1] .

ثمّ ورد رسول الخاقان مع مقمعة وزنها خمسون منًّا ، ومع سيف وزنه عشرة أمنان وقال : [أيّها] السّلطان يقول لك الخاقان نحن نحارب بل نلاعب بهذا السّيف الذي اذا أصاب الدّلاص رسب وغاص ؛ وبهذه المقمعة الّتي لا تفرّق بين درع الحديد وزرع الحصيد .

فسكت السّلطان ساعة وأمر باحضار وجوه العسكر ، وركب إلى الصّحراء وحمل المقمعة وأدارها حول رأسه سبع مرّات ، ورمى بها ثمانين خطوة ، وأخذ السّيف وضربه على عنق ناقة فرق مفاصله ، وحمل قوساً ورمى عليها ، وقال للرّسول : قُلْ للخاقان : لك المقمعة ولنا المقرعة ، ولك السّيف ولنا القوس . وبعث القوس على يدي رسوله وأرسل معه نوشتكين المعمري . « ٣٥ ـ ب » فلمّا وصل المعمري الى ظاهر سمرقند ، قدم اليه من مراكب الخاقان فرس جموح مجنون ، ما ركبه أحد إلّا أهلكه ، فركبه المعمري وألصقه بالأرض . ووصل الى دار الخاقان سالماً

= ٤٦٥ هـ فإن قسماً من فرسانه البالغ عددهم عشرة آلاف أبيدوا على يد الكاراخانيين وقسم آخر غرق في نهر جيحون (أموداريا). ولم ينجُ إلا القليل. أنظر ابن الأثير ١٠/٢٦ ـ ٢٧ .

(١) ولد محمد بن ملكشاه في ١٨ شعبان ٤٧٤ هـ. (١٠٨٢).

وأدّى الرّسالة ووضع القوس بين يدي الخاقان ، فعجز عن توتيرها فضلاً عن الرّمي عليها . وتَشَوَّرَ تَشَوُّرَ العنّين من الحسناء ، وبعث أخاه[1] الى قلعة ترمذ حتّى تحصّن فيها .

وفي محرّم سنة سبع وستّين وأربع مائة ، سار السّلطان مع الوزير نظام الملك الى ترمذ[2] ، وطمّ أوباش العسكر الخندق ونصبوا على القلعة المجانيق . فاستأمن أهل القلعة ، فبذل السّلطان لهم الأمان ، فتخاصم غلامان بعد انطفاء جمرات الحرب بسبب التقاط السّهام ، فكشفت الحرب عن ساقها مرّةً أخرى ، وأرتهم آياتها الكبرى . فأسروا سكّان القلعة وجعلوهم مقرّنين في الأصفاد ، ثم عفا عنهم السّلطان وأطلقهم . وعادت القلعة الى ايالة السّلطان الأعظم ملكشاه ، وخلع على أخي الخاقان[3] ، وأشار الى القائد الأمير سوتكين بعمارة القلعة واحكامها .

وسار الأمير ميكائيل على مقدّمة عسكر السلطان ، وخيّم على درب سمرقند . فلاذ الخاقان الى دار ملكه كابي الزّناد صفر المراد[4] ، وعاد السّلطان الى بلخ وفوّض امارة خراسان الى أخيه الملك شهاب الدّولة « ٣٦ ـ أ » تكش[5] وسار الى الرّي .

---

(١) أخ الخاقان كان يدعى بورغاتكين هيدر (توفي في ١٠٨١ م (؟)). أنظر سبط ابن الجوزي ١٧٢ .

(٢) في ابن الأثير (٣٢/١٠) جرت المعركة في ٤٦٦ هـ في شهر صفر وكان مُلك شاه، قبل ذلك، قد تقلّد السلطنة من الخليفة القائم بأمر الله. أنظر ابن الأثير ٣١/١٠ .

(٣) في الأصل: السلطان. يكتب ابن الأثير ٣٢/١٠: « وكان بها (أي القلعة) أخ لخاقان التكين فأكرمه وخلع عليه وأحسن إليه وأطلقه ». في سبط ابن الجوزي (١٧٢) أن أثناء حصار ترمذ أُسر بوغا ـ تكين، أخ شمس الملك ابن طفماج خان ـ صاحب بخارى وسمرقند.

(٤) كان حاكم سمرقند عند اقتراب جنود السلطان ملك شاه، قد هرب من المدينة. بعد ذلك، بواسطة الوزير نظام الملك، ظفر من السلطان بهدنة. أنظر ابن الأثير ٣٢/١٠. وسبط ابن الجوزي (١٧٢).

(٥) يضيف ابن الأثير (٣٢/١٠) أن ملكشاه أقطع أخيه شهاب الدين تكش بلخ وطخارستان كذلك.



وفاة أمير المؤمنين القائم بـأمر الله الثـاني عشر من شعبـان سنة سبع وستّين وأربع مائة

فكانت مدّة خلافته أربعاً وأربعين* سنة وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يـوماً وكـان عمره خمسـاً وسبعين** سنـة وثمانيـة أشهر وثمـانية أيّـام(1) .

ووزرا [ؤ] ه : وزر له رئيس الرّؤساء أبو القاسم بن المسلمة(2) ، ثمّ قتله ارسلان البساسيري وقد ذكرناه .

ثمّ استوزر فخر الدّولة أبا نصر محمّد بن جهير ؛

سيرته :

كان رضي الله عنه عالماً معتنياً بالأدب ، حليماً رؤوفاً حسن

---

* في الأصل : أربع وأربعون .

** في الأصل : سبعون .

(1) في ابن الأثير (10/32 ـ 33) أن الخليفة تـوفي ليلة الخميس 13 شعبان وكـان عمره 76 سنـة و3 أشهر وخمسـة أيام. أو 76 سنـة و9 أشهـر و25 يـومـاً. انـظر كـذلـك السيوطي (422).

(2) بعد مقتل الـوزير أبي القاسم بن مسلمـة في 453 هـ (1061 ـ 1062) عُيّن وزيـراً أبو الفتح منصور بـن أحمد بـن دارست الذي استبدله الخليفة بعد سنة لسوء تصـرفاتـه. توفي في الأهواز سنة 467هـ . بعده عُيّن وزيراً فخر الدولة عميد الملك أبو نصر بن جهير (ولد سنة 398) الذي كان وزيراً لصاحب ميافارقين نصر الدولة بن ودان. وفي صفر 476هـ عُزل فخر الدولةمن الوزارة وعيّنه السلطان ملك شاه نائباً على ديار بكر. توفي في محرم 486هـ (ابن الأثير 10/44).

الاعتقاد ، سليم الطّويّة ، عالماً منصفاً ديّناً شديد الخوف من الله تعالى[1] ، وممّا يروي من شعر القائم بأمر الله :

سقى ليلنا بأعالي الرُّبا من المزن هطّالة تنسجم
شهرنا على سنّة العاشقين وقلنا لما يكره الله نم
وما خيفتي من ظهور الورى اذا كان رب الورى قد علم

ونصّ على المقتدي : هو أبو القاسم عبيد الله بن الذّخيرة محمّد بن القائم بن القادر بن اسحق بن المقتدر بن المعتضد ، وأمّه أمّ ولد أرمنيّة . بويع له بالخلافة يوم توفّي جدّه القائم بأمر الله ، فبايعه الأمراء والأكابر والأشراف . ثم برز فصلّى بالنّاس صلاة العصر ، ثم حمل تابوت جدّه فصلّى عليه ، ودفن في حجرته التي كانت* برسم خلوته . « ٣٦ ـ ب » واستقرّت خلافة المقتدي بأمر الله واستفحل أمره وعمرت بغداد في أيّامه وتزاحمت** . وخُطب له باليمن والشّام ، وبيت المقدّس ، واسترجع المسلمون في زمانه الرُّها وانطاكية[2] من يد الرّوم . وكانت له همّة عالية ، وهيبة وشجاعة ، فقامت بهيبته حشمة الخلافة .

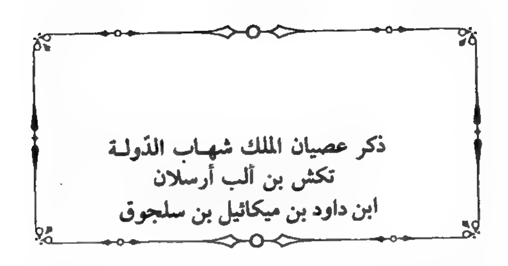
---

* في الأصل : كان .

** أي كثر سكانها . في الأصل : تراحمت .

(١) حول سيرة الخليفة القائم بأمر الله أنظر ابن الأثير ٣٢/١٠ ـ ٣٣ وابن الجوزي ٢٩٥/٨ والسيوطي ٤١٧ ـ ٤٢٣ .

(٢) أُخذت مدينتا الرها وانطاكية من قبل السلاجقة في ٤٧٧ هـ . أنظر ابن القلانسي ١١٧ .



ذكر عصيان الملك شهاب الدّولة تكش بن ألب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق

ثمّ عاد السّلطان في سنة سبع وستّين وأربع مائة الى مرغاب هراة ، وقصد الحضرة أمير الأمراء وأقاربه ، فاستقبلهم الوزير وأركان الدّولة فخلع السّلطان عليهم . وورد الحضرة أيضاً الملك شهاب الدّولة تكش ، واستوفى بصلته من الخلع والاكرام ، وعاد الى بلخ . وأشار السّلطان الى القائد الأمير سوتكين بالمسير على مقدّمة العسكر الى بلخ ، بسبب تحرّك الخاقان شمس الملك مرّة أخرى لاتّقاد نيران الوحشة وايقاظ أجفان [العداوة] . فسار سيراً عنيفاً والتقى الجمعان على شطّ جيحون ، واستولى الخاقان شمس الملك على قلعة ترمذ ، وقتل هناك **الأصبهبذ كبود جامه** . وانفتحت القلعة مرّة أخرى على حشم السّلطان ، وانهزمت الخاقانيّة وتعذّر عليهم وجه الهرب . ثمّ توجّه السّلطان « ٣٧ - أ » تلقاء شمس الملك ، وتراءت ناراهما في حدود نخشب[1] . فورد الحضرة الملك

(١) توفى خاقان شمس الملك في محرّم ٤٧٣ هـ. الأحداث التي يذكر المؤلف هنا ترد في الراوندي (٢٠١) سنة ٤٧١ هـ. هزمَ السلطان ملك شاه عند نخشب جنود الكاراخانية ثم حاصر سمرقند وأجبر الخاقان على التسليم ثم اقتيد إلى أصفهان حيث عفا عنه ملكشاه وسمح له بالعودة إلى سمرقند.

كبودجامه (الآن خاجيلا - في ايران) - مقاطعة في القسم الشرقي من استراباد.

شهاب الدّولة تكش ، وأكّد العهود والمواثيق .

وعاد السّلطان الى الرّي وقصد الشّام . ودخلت الأتراك انطاكية[1] ، فلمّا وصل السّلطان الى بلاد أرّان وابخاز ، ورد رسول ملك الرّوم مع أموال ناء بثقلها الخُزّان ، واغتصّ بحسابها الدّيوان[2] ، فعاد السّلطان الى

= اصبهبذ: حاكم مقاطعة (فارسية).

نَخْشَب: من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند. بينها وبين سمرقند ثلاث مراحل. ياقوت (٥/٢٧٦).

(١) في ماتيوس أورفايتس (١٦١) أن أنطاكية أُخذت من قبل السلاجقة عام ٥٣٣ (حسب التقويم الأرمني) ـ (١٠٨٤ ـ ١٠٨٥ م ـ ٤٧٧ هـ). استولى عليها سليمان بن قتلمش (١٠٧٤ ـ ١٠٨٥). وكانت انطاكية قد حُكمت من قبل بيزنطية منذ ٣٥٨ هـ. في ابن الأثير (٧٤/١٠) أن سليمان أخذ البلد في شعبان ٣٥٨ هـ « قاتله أهل البلد فهزمهم مرة بعد أخرى وقتل كثيراً من أهلها ثم عفا عنهم وتسلّم القلعة المعروفة بالقسيان وأخذ من الأموال ما يجاوز الاحصاء وأحسن إلى الرعية وعدل فيهم وأمرهم بعمارة ما خرب ». أنظر كذلك السيوطي (٤٢٤). في القلانسي (١١٧) أخذت انطاكية في ١١ شعبان ٤٧٧ هـ. باحتلاله انطاكية حرم سليمان بن قتلمش بيزنطية في معقلها الأخير في الشرق اوسبينسكي ١٠٧.

(٢) اذ وقع الامبراطور رومانوس ديوجين في الأسر عرض على السلطان ألب أرسلان أن يدفع للسلاجقة ما قيمته ٣٦٠ ألف دينار سنوياً، إضافة إلى فدية عن نفسه تبلغ مليون ونصف مليون دينار. ووضع جزء كبير من الأناضول بمثابة رهن مقابل ذلك. ولكن، كما يؤكد أوسبينسكي ، فإن خلفاء رومانوس ديوجين اعتبروا أنفسهم غير ملزمين بتنفيذ الاتفاقية. المؤرخ البيزنطي سكيليتسا يكتب « بما أن الاتفاقية المعقودة مع ديوجين بقيت دون تنفيذ فإن الأتراك . . . المنطلقين من ايران، وبكل سلاحهم، والذين لم يلقوا أية مقاومة، هاجموا المقاطعات الرومية واكتسحوها غير مكتفين فقط بهجوم مؤقت كما في السابق، وبالتراجع السريع، بل سيطروا على البلاد بهدف امتلاكها الدائم. من ذلك الوقت فإن الأتراك، مالكين الحرية التامة، قاموا، كل سنة، بغزوات على المقاطعات الشرقية ينهبون ويخرّبون ».

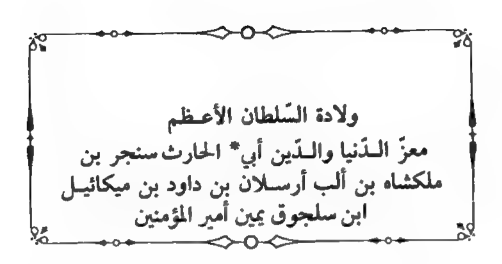
عام ١٠٧٧ تأسست في آسيا الصغرى سلطنة سلجوقية حكمتها سلالة قتلمش. يذكر البنداري (٥٦) أنه أثناء حكم ملك شاه ـ وصل السلاجقة إلى سوريا وانطاكية وإلى مشارف=

كورة حلب . فأدرك الملك شهاب الدّولة تكش الخذلان ، وزيّن له الشّيطان ، حتّى امتطى مركب العصيان ، واعتلى منكب العدوان . فقطع السّلطان مسافة ما بين حلب ونيسابور في عشرة أيّام ، ولم يبق معه إلاّ مائة فارس ؛ وتحصّن الملك شهاب الدّولة تكش بترمذ ، فأنزله السّلطان منها وكفاه الله مؤنته وعجّل منيّته[1] ، فانفتحت تلك القلعة على يد السّلطان ملكشاه ثلاث مرّات .

= القسطنطينية. وفرض ملك شاه على هذه المقاطعات ضريبة ثلاثة ملايين ذهباً تذهب كلها إلى خزنة السلطان.

(1) بعد موته في محرّم ٤٧٣ هـ، حلّ مكان صاحب سمرقند وما وراء النهر شمس الملك ـ أخوه حسن أغتكين. في هذا الوقت عبر تكش شقيق ملك شاه أموداريا وتوجه إلى بخارى. وقد تصدى له حسن بحوالي ثمانية آلاف تركماني وفي المعركة عند جراوند (بين بخارى وترمذ) هُزم تكش ثم دخل حسن إلى سمرقند. سبط ابن الجوزي (٢٠٧). وفي شعبان من نفس السنة (٤٧٣) أظهر تكش العصيان على أخيه ملك شاه واستولى على مرو الروذ ومرو الشاهجان وترمذ وغيرها وسار إلى نيسابور لكن أخيه ملك شاه وصلها قبله. فلما علم تكش بذلك سار عنها وتحصن بترمذ فحاصره السلطان بها إلى أن استقرّ بينهما صلح. ابن الأثير (٤٠/١٠).

وعام ٤٧٥ حاول السلطان ملك شاه من جديد تطويع أخيه الثائر تكش وعام ٤٧٧ عصى تكش أخيه ملك شاه من جديد واستولى على مرو الروذ وغيرها في مقاطعة سرخس. لكن السلطان ملك شاه قصد تكش وأخذه بعد أن وعده بعدم الأذية. لكن البعض أفتى له بتحكيم ولده أحمد الذي أمر بكحله فكُحل وسجن. (ابن الأثير ٤٦/١٠ وسبط ابن الجوزي ٢٢٩ ـ ٢٣٣). وفي التاسع من جمادى الثاني ٤٧٨ هـ أخذ تكش إلى قلعة فيروزكوه التي وصلها في العشرين من رمضان. أنظر سبط ابن الجوزي ٢٣٧ .



ولادة السّلطان الأعظم معزّ الدّنيا والدّين أبي* الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق يمين أمير المؤمنين

وُلِد في رجب سنة سبع وسبعين وأربع مائة ، يوم الجمعةَ الخامس والعشرين منه ، في بلدة سنجار من نواحي الجزيرة[1] . ووجد في بعض الكتب عن حذيفة بن اليمان[2] رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنّه قال ﷺ : « ٣٧ ـ ب » « يخرج رجل في آخر الزّمان ويقصد شطّ جيحون ، فيقصد خارج المشرق في جيش عظيم ، فيهزم صاحب خراسان والأتراك لمرايه**. وهو رجل أسمر ، عظيم البطن والهامة ، جهير الصّوت ، به أثر الجدري ، على يده اليمنى خال أو خالان فيغلب خراسان

---

* في الأصل : أبو .

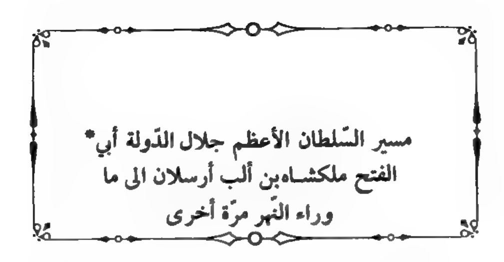
** كذا ، ولعلها : الخطائية .

(١) في الراوندي (٢٧٩) فإن مكان ولادة سنجر (سوريا) وأما تاريخ ولادته ففي العام ٤٧٩ هـ.

حسب ابن الأثير (٤٨/١٠) فقد ولد سنجر في ٢٥ رجب ٤٧٧ هـ بمدينة سنجار. ولكنه كذلك يذكر سنة ٤٧٩ هـ تاريخاً لميلاده. وعام ٤٧٩ يرد أيضاً عند الجوزجاني (٤٦/١) وابن الجوزي (١٧٨/١٠) وابن خلكان (٤٢٨/٢).

(٢) حذيفة بن حسين بن جابر بن ربيعة بن عمر بن جروة العبسي اليمان ـ من صحابة الرسول محمد ﷺ وأحد معاونيه . توفي عام ٣٦ هـ في المدائن وقبره يقع في سلمان باك قرب المدائن. أنظر ابن الجوزي (١٧٨/١٠)».

واسمه اسم بلدة بالجزيرة ، وينزل مرو ويستولي عليه خيله ورجله ، ولكنّه يقهر الملوك ، ثمّ تقهره عساكر عظيمة تأتيه من المشرق والصّين . ويبقى ملكه بعد ذلك في ضعف ويكون بعده الهرج والمرج بخراسان » .



مسير السّلطان الأعظم جلال الدّولة أبي* الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان الى ما وراء النّهر مرّة أخرى

أفسد الخاقان شمس الملك على نفسه الأمور ، وغرّته الأماني فاتّبع الغرور[1] . فسار السّلطان نحو ما وراء النّهر ، وفي شهور سنة احدى وثمانين وأربع مائة[2]، ونزل بظاهر كاشغر. وورد رسول الرّوم مع أموال الجزية حين كان السّلطان بأصفهان ، فأكرم نظام الملك مثوى الرّسول ، وما قضى حوائجه ولا أعاده الى دياره ، حتّى نزل السّلطان بباب كاشغر . ثمّ سرّح الوزير نظامُ الملك رسولَ الرّوم وقال : يجب أن يذكر** في التّواريخ أنّ رسول الرّوم بعد أداء الجزية[3] ، انصرف عن حضرة السّلطان من باب كاشغر . « ٣٨ ـ أ »

فأرسل خاقان كاشغر[4] إلى السّلطان رسولاً مع الهدايا والتّحف ،

---

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : تذكر .

(١) كان الخاقان آنذاك ـ حسن أغتكين . (سبط ابن الجوزي ٢٠٧) .

(٢) يذكر ابن الأثير (١٠/٥٨) أن الحملة تمت سنة ٤٨٢ هـ .

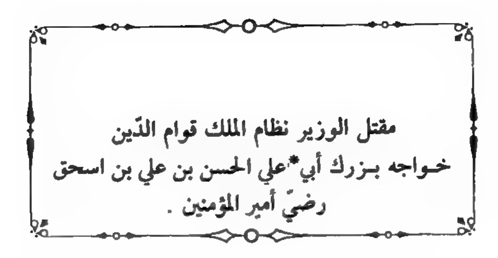
(٣) نفذت بيزنطية الاتفاقية المعقودة من قبل رومانوس ديوجين . وهذه علامة أخرى على دفع بيزنطية ضريبة للسلاجقة .

(٤) خاقان دولة كراخان الشرقية آنذاك كان ـ حسن بن سليمان (٤٦٧ ـ ٤٩٦/١٠٧٤ ـ ١١٠٣) .

والتمس من السّلطان العفو والغفران ، وقال لرسوله : قل للسّلطان : أذلّت لك الأيّام أخادعها ، وصفت لك الأقاليم مشارعها ، فلا يضرّك ان بقي في الأقاليم بيت من بيوت الملك القديم . وان اقتضى رأيك زوّجت من بعض بنات مواليك لبعض* أولادك ، فنحن من مواليك وعبادك .

فقال الوزير نظام الملك للسّلطان : أنصف لك الخاقان ، وظهر على صدق قوله البرهان . ثمّ ورد الخاقانُ حضرةَ السّلطان ، وقبّل الأرض أمام السّرير ونال من الاحسان والاكرام ، ما يبقى ذكره على صفحة الأيّام ، وعاد الى ملكه مكرّماً مبجّلاً .

* في الأصل : الى بعض.



مقتل الوزير نظام الملك قوام الدّين خواجه بزرك أبي*علي الحسن بن علي بن اسحق رضيّ أمير المؤمنين .

ولّما التجأ الحسن بن صبّاح [1] الى قلعة ألَمُوت[2] ، سدّ نظام الملك مسالك تلك القلعة بالعساكر ، بعد ما تأكّدت فتنة ابن الصّبّاح وانتشر شررها وكثر ضرّها[3] . فخرج رجلان** من القلعة ، ونعال فرسهما

---

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : رجال .

(١) حسب رشيد الدين فإن مؤسس دولة الاسماعيليين يدعى الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري . (٤٥٧ ـ ٥١٨) .

(٢) ألَموت : قلعة في جبل إيلبورز، شرقي قزوين . أخذها حسن بن الصباح في ٥ آب ١٠٩٠ م .

(٣) ما زال محفوظاً ما كتبه السلطان ملك شاه إلى حسن الصباح وجواب الأخير على السلطان . وهذه الرسالة لملك شاه أرسلت تحت تأثير خطر الصباح المتزايد وبتحريض من وزير السلطان نظام الملك .

يذكر ملك شاه في رسالته إلى الصباح أنه (أي الصباح) أنشأ ديناً جديداً وقاد الشعب إلى متاهات وجمع حوله غير المؤمنين محرّضاً إياهم على حمل السلاح . وأنه تجاسر على الخلفاء العباسيين الذين هم خلفاء المسلمين وسند الدولة والشعب وبهم يحفظ الدين والدولة . ولهذا عليه أن يتنصل من هذا الدين الجديد ويعود مسلماً حقيقياً . وإلا فسيجّهز (أي ملك شاه) العساكر التي ستكون مضطرة لإرجاعه إلى الطريق الصواب . وعليه الحذر ثم الحذر وإلا يعرّض نفسه وتابعيه للفناء . وألا يعتمد على قلاعه وعليه أن يعلم أن قلعته المسماة « ألَموت » ولو كانت في السماء السابعة فبعون الله تعالى سوف تسوّى بوجه الأرض . =

معكوسة ، فظنّ العسكر المحيط بالقلعة أنّهما دخلا القلعة . فخرج نظام الملك من الحمّام ، وهو في المحفّة ، فاستقبله واحد من هذين الرّجلين ، على هيئة متظلّم ، من موضع سماطه وضربه بسكّين وهرب ، فعثر « ٣٨ ـ ب » بأطناب الخيمة فقتلوه[1] . وكان مدّة وزارته سبعاً وعشرين سنة ، وكان قتله ليلة السّبت عاشر رمضان ، سنة خمس وثمانين وأربع مائة[2] بيد الباطنيّة .

وسبب قتله أنّ تاج الملك أبا* الغنائم صاحب خزانة السّلطان ملكشاه ، والنّاظر في أمر دوره ، وفي وزارة أولاده[3] ، قد أفسد قلب

---

* في الأصل : أبو .

= وفي جوابه على السلطان ملك شاه يكتب حسن الصباح أن السلطان وقع تحت تأثير أكاذيب الوزير نظام الملك وأعوانه . وبأنه لم يؤسس ديناً جديداً . وبأن الخلفاء العباسيين انحرفوا ولهذا لا يمكن أن يكونوا رؤوس العالم الاسلامي . الرؤساء الوحيدون للعالم الاسلامي هم الخلفاء الفاطميون . وبأنه يرى فيهم مصلحة الشعب ويدعو لهم . أنظر (اسناد ونامه هاي تاريخي از أوائل دوره هاي اسلامي تا أواخر عهد شاه اسماعيل صفوي . تأليف سيد علي مؤيد ثابتي ، تهران ، ١٩٦٧ ـ بونياتوف ص ٢٠٠) .

(١) قتل نظام الملك في قرية سحنة قرب نهاوند . تقع الآن هناك مدافن صحابة الرسول ﷺ الذين استشهدوا في معركة نهاوند ٢١ هـ (٦٤٢) م . عندما رأى نظام الملك هذه المقابر صاح : « هذا الموضع قُتل فيه خلق كثير من الصحابة زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم أجمعين ، فطوبى لمن كان معهم » . أنظر بالتفصيل : ابن الأثير (١٠ / ٧٠ ـ ٧١) ، ابن الجوزي (٩ / ٦٤ ـ ٦٨) ، ابن خلكان (٢ / ١٢٨ ـ ١٣١) ، الراوندي (٢٠٩) .

(٢) حسب الجويني (٢ / ٦٧٦) قتل نظام الملك في ١٢ رمضان . وكان وزيراً لألب أرسلان وملك شاه طيلة ثلاثين عاماً . أنظر ابن الأثير (١٠ / ٧٠) .

(٣) تاج الملك أبو الغنائم مزربان بن خسروي ـ فيروز ، الملقّب بابز دارست كان عشيق زوجة ملك شاه تركان خاتون التي لعبت دوراً كبيراً في مكائد البلاط وقامت بكثير من أعمال الدولة . وبالاشتراك معها نجح تاج الملك في التآمر على الوزير القديم وتأليب السلطان ضده .

كان تاج الملك سليل أسرة إيرانية شهيرة من الوزراء . عمل لدى سوتكين وعينه السلطان =

السّلطان على الوزير نظام الملك . وظهر من السّلطان ملل وأراد عزله فلم يقدر على ذلك ، لميل العساكر والأجناد اليه . وكان الوزير نظام الملك قد أنافت مماليكه على عشرين ألف ، فلمّا عجزوا عنه* أوثبوا عليه رجلاً ديلمياً في صورة مستمنح ، ضربه بسكّين كما ذُكر[1].

وحسب السّلطان وتاج الملك أنّ الدّنيا قد صفت لهما ، فكان بين السّلطان وبينه ستّة وثلاثون يوماً[2] . وكان بين تاج الملك وبينه مقدار شهرين[3] ، كان فيها خائفاً ؛ ولم يلبث أن قبض عليه غلمان الوزير نظام الملك وقتلوه . ومن جملة ما سعى تاج الملك في الوزير نظام الملك ، أن قال للسّلطان عنه إنّه ينفق في كلّ سنة على الفقهاء والصّوفية والقرّاء ثلثمائة ألف دينار ، ولو جُيّش بها جيشاً لطعن باب القسطنطينيّة . فاستحضر [السّلطانُ] نظامَ الملك الوزير واستفسره عن الحال ، فقال : يا سلطان « ٣٩ ـ أ » العالم ، يا ملك البسيطة ، إنّي رجل شيخ لو نودي عليّ لما زادت قيمتي على ثلاثة دنانير ، وأنت حدث لو نودي عليك لما زدت عن مائة دينار . وقد أعطاك الله تعالىٰ وأعطاني بكم ما لم يعطه أحداً من خلقك ، أفلا تعوّضه عن ذلك في حَمَلة دينه ، وحَفَظة كتابه العزيز ، بثلثمائة ألف دينار . ثمّ انّك تنفق على الجيوش المحاربة في كلّ سنة

---

* في الأصل : عليه .

= ملك شاه رئيس ديوان الطغرة والانشاء. بعد موت نظام الملك أصبح تاج الدولة وفي وقت قصير الوزير الأول في الدولة. وحلّ أنصارُه تدريجياً محل أنصار نظام الملك. أنظر البنداري ٥٨ ـ ٥٩ وابن الجوزي ٩/٦٧.

(١) يذكر الجويني (٢/٦٧٦ ـ ٦٧٧) أن أبا طاهر أرّاني هو قاتل نظام الملك. ونظام الملك هو أول رجل قُتل من قِبل الاسماعيليين.

(٢) مات ملك شاه في النصف من شوال ٤٨٥ هـ، ليلة الجمعة. وكانت وفاته حسب ابن الأثير (١٠/٧٣) بعد ٣٥ يوماً من مقتل نظام الملك. أنظر ابن خلكان ٥/٢٨٨ . وفي القلانسي (١٢١) والبنداري (٨٢) بعد ٣٣ يوماً.

(٣) قُتل تاج الملك في ١٢ محرم ٤٨٦ (١١٠٣) وله من العمر ٤٧ عاماً (ابن الأثير ١٠/٧٥).

أضعاف هذا المال ، مع أنّ أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلاً ، ولا يضرب سيفه* الا ما قرب منه . وأنا أجيّش لك بهذا المال جيشاً تصل من دعائهم** سهام الى العرش لا يحجبها شيء عن الله .

فبكا السّلطان وقال له : استكثرْ من هذا الجيش ، والأموال مبذولة لك ، والدّنيا بين يديك .

وكان نظام الملك مهيّأً لما يصنع : أقطع الجنديّ ألف دينار ، نصفها على حمول سمرقند ، ونصفها على بلاد الرّوم ، لا يتعوّق منها درهم فردٌ . وهو أوّل من أقطع الأتراك ، وبنى المدارس النّظاميّات[1] في سائر البلاد ، العراقين والخراسان . وكمل بناء نظاميّة [ببغداد] على يد أبي سعد الصّوفي[2] في سنة ثمان وستّين وأربع مائة ، ودرّس بها الامام أبو اسحق الشّيرازي[3] الى أن توفّى لسبع ليال خلون من جمادي الآخرة سنة ستّ

---

* في الأصل : سبع .

** في الأصل : الدعا .

(١) الوزير نظام الملك هو في الحقيقة مؤسس عدة مدارس عرفت بالنظامية وقد بدأ بناء المدرسة النظامية في بغداد في ذي الحجة ٤٥٧ هـ وانتهى في ذي القعدة ٤٥٩ . أما التاريخ المذكور عند الحسيني فغير صحيح . (أنظر ابن الجوزي ٢٣٨/٨ وابن الأثير ١٧/١٠ وسبط ابن الجوزي ١٢٤، ١٣٥ وابن خلكان ١٢٩/٢). إضافة إلى مدرسة بغداد بنيت مدارس نظامية في نيسابور، آمل، موصل، بصرة، هراة، دمشق، جزيرة العمار، غزنة، مرو. قسم من هذه المدارس بناه الوزير بنفسه وقسم بالمال الذي كان يعطيه.

(٢) شيخ الشيوخ أحمد بن محمد أبو سعيد (في المخطوطة وبعض المصادر ـ سعد) بن دوباست أبو سعيد النيسابوري الصوفي ـ اشتهر ببنائه رباطاً للصوفية في بغداد يدخل من بابه جمل وعليه راكب. توفى ليلة الجمعة تاسع ربيع الآخر سنة ٤٧٧ هـ وعمره ينيف على السبعين (ابن الأثير ٥٠/١٠ وابن الجوزي ١١/٩).

(٣) شيخ ابراهيم بن علي بن يوسف اسحاق الفيروز ابادي الشيرازي. ولد سنة ٣٩٣ ـ أمام شافعيي بغداد وقد بنيت المدرسة النظامية تحت رعايته وكان أول مدرّس فيها. وكان موضع احترام جميع رجال الدولة. صُلّي عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلّى عليه الخليفة المقتدي بأمر الله . (ابن الأثير ٤٥/١٠ وابن الجوزي ٥/٩ ـ ٨).

وسبعين وأربع مائة. فولّاها نظام الملك لأبي نصر بن الصّبّاغ[1]، إلى أن توفّي . « ٣٩ ـ ب » وقد كان لنظام الملك أخلّاء ساعدوه على التّدبير ، من جملتهم كمال الدّين أبو الرّضا فضل الله بن محمّد ،[2] صاحب ديوان الانشاء . وكان وجيهاً عند السّلطان ، لا يكاد يفارقه ، ولا يصبر عنه لحظة . تأخّر عنه يوماً فكتب اليه بالتّركيّة ما معناه : إنّك لا تتأثّر بالغيبة عنّي ، وأنا أتأثّر بغيبتك عنّي ، لأنّك تجد الأنس [بغيري وإنّي لا أجد الأنس]* بغيرك .

وخواجه شرف الملك صاحب ديوان اشراف الممالك ذكر عماد الدّين الاصفهاني[3] ، أنّ شرف الملك هذا ، كانت له ثلثمائة وستّون كسوة

---

* نقلاً عن البنداري (٥٩) .

(١) شيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن الصباغ. (ولد في ٤٠٠ هـ ببغداد) ـ فقيه شافعي ومؤلف سلسلة كبيرة من الأعمال الدينية. كان مدّرساً في المدرسة النظامية. توفي في ١٣ جادى الأول ٤٧٧ هـ. (أنظر ابن الأثير ١٠/٤٨ وابن الجوزي ١٢/٩ ـ ١٣).

(٢) المقصود بالعميد، وبعد ذلك كاتب ورئيس ديوان الانشاء والرسائل، أبو المحاسن بن كمال الدولة والدين بن أبو الرضا فضل الله بن محمد. قتله السلطان ملك شاه بعد وشاية الوزير نظام الملك في شوال ٤٧٦ هـ بعد أن سملت عيناه. أنظر ابن الأثير ١٠/٤٤. والبنداري ٦٠/٦١.

(٣) أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بابن أخي الوزير الملقب عماد الدين الكاتب الأصبهاني. كاتب انشاء السلطان نور الدين زنكي الذي رتبه عام ٥٦٨ في اشراف الديوان، ثم سافر إلى بغداد بعد وفاة نور الدين ثم عاد الى سوريا في خدمة صلاح الدين الأيوبي. كانت ولادته يوم الاثنين ٢ جمادى الآخرة، وقيل في شعبان، سنة ٥١٩ بأصبهان وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان سنة ٥٩٧ بدمشق ودفن في مقابر الصوفية. صنف: «خريدة القصر وجريدة العصر»، و «البرق الشامي» و «الفتح القدسي في الفتح القدسي» و «السيل على الذيل». أما كتابه «نصرة الفترة وعصر الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية» فهو ترجمة لكتاب «فتور زمان الصدور وصدور زمان =

مكمّلة مفصّلة ، معدّلة على عدد أيّام السّنة من الملابس الفاخرة الحسنة . فيلبس كلّ يوم ما يناسبه من أيّام الفصول الأربعة من أنواع الثّياب ، واذا خلع منها أو وهب أعاد خازنه الى الخزانة عوض ما ذهب .

وبنى على ضريح أبي* حنيفة نعمان بن ثابت ، رضي الله عنه ، بباب الطّاق مشهداً ومدرسة لأصحابه(١) . وكتب الشّريف البياضي(٢) على القبّة التي أحدثها :

ألم تر هذا العلمَ كان مشتّتاً	فجمّعه هذا المُغَيَّبُ في اللّحد
كذلك كانت هذه الأرضُ ميتة	فأنشرها قصد العميد أبي سعد(٣)

وذكر عماد الدّين الأصفهاني رحمه الله في كتاب « نصرة الفترة » ، أنّ السّلطان ملكشاه أرسل تاج الملك ، المقدّم ذكره ، الى الوزير نظام « ٤٠ ـ أ » الملك برسالة مضمونها : إنّك استوليت على ملكي ، وقسمتَ

* في الأصل : أبو .

= الفتور » للوزير السلجوقي والعباسي أنوشروان بن خالد الكاشاني (؟ ـ ١١٣٨) من اللغة الفارسية الى اللغة العربية والذي اختصره بعد ذلك الفتح بن علي بن محمد بن الفتح البنداري الأصفهاني المعظمي تحت عنوان: « زبدة النصرة ونخبة العصرة ». وقد طبعه عام ١٨٨٩ هوتسما. انظر ابن خلكان ٥/١٤٧ ـ ١٥٣.

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الفقيه الكوفي (٨٠ ـ ١٥٠ هـ) (٦٩٩ ـ ٧٦٩ م) مؤسس المذهب الحنفي. ولد في الكوفة ودفن ببغداد بمقبرة الخيزران. وقبره هناك مشهور يزار. وقد بنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملك شاه على قبر الإمام أبي حنيفة مشهداً وقبة وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية. أنظر ابن خلكان ٥/٤٠٥ ـ ٤١٥.

(٢) الشريف أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي. شاعر مشهور. توفي في ١٦ ذي القعدة ٤٦٨ هـ ببغداد ودفن بمقبرة باب أبرز. أنظر ابن خلكان ٥/١٩٧ ـ ١٩٩.

(٣) في البنداري (٣٢): «فأنشرها فضل» وفي ابن خلكان: (٥/٤١٤): «فأنشرها فعل».

مماليكي* على أولادك وأصهارك ومماليكك كأنّك شريك في الملك . أتريد أن آمر برفع دواة الوزارة من بين يديك ، وأخلّص النّاس من استطالتك !

فقال لتاج الملك : قل لمولانا السّلطان : خلّد الله أيّامك ، كأنّك اليوم عرفت أنّي مساهمك ، وفي الدّولة مقاسمك ، فاعلم أنّ دواتي مقرونة بتاجك ، متى رفعتها رُفع ، ومتى سلبتها سُلب[1].

قال : فكأنّما نطق ، بما به القدر سبق . فلم يكن بين مقتل الوزير نظام الملك ووفاة السّلطان غير شهر واحد .

ولّما عبر السّلطان ملكشاه نهر جيحون ، وقّع نظام الملك للملاّحين بمال على انطاكية . فكلّمه السّلطان في ذلك فقال : أردتُ أن يُكتب في التّواريخ بسطة ملكك ، ونفاذ حكمك ، والنّائب بانطاكية في ركابك جاء مودعاً تدفع له الوصولات ، وتأخذ منه المبلغ للملاّحين . فاستحسن ذلك منه .

وفضائل الوزير نظام الملك هذا يكاد أن يفوت الحصر . ولقد رأيت كتاباً جمعه بعض أكابر دولته ، مشتملاً على جميل سيرته ، وضمّنه من حسن عقيدته وكرم سجيّته ، وعدله وعفوه وصبره على أذى أصحاب الحاجات .

حُكي عنه أنّ فقيراً قصده ، وجلس على بابه ، ومعه ركوة كبيرة ؛ فلمّا حضر الوزير نظام الملك من خدمة السّلطان « ٤٠ ـ ب » ملكشاه ، قام اليه الفقير وقال : قد بلغني أنك تحبّ الفقراء وتدّعي موالاتهم ، ولا أصدّقك في دعواك حتّى تملأ لي ركوتي هذه ذهباً . فاستكثر الوزير نظام الملك الرّكوة ، وأخذ يلاطف الفقير ويسأله المساحة ، والفقير مصرّ على أنّه

---

* في الأصل : ممماليكي .

(١) أنظر كذلك البنداري (٦٣) وابن الجوزي (٩/٦٧) وابن الأثير (١٠/ ٧٠ ـ ٧١).

لا يقبل صرّة ولا يرجع إلاّ على الرّكوة مرّة . فأمر الوزير نظام الملك خازنه أن يحوّل ما في الخزانة من العين بأسره الى الرّكوة ، ففعل ذلك وما تنصّفت . فأمر أهله وبنيه بأن يحوّلوا اليها من حليهم ما قدروا ، فلم يزالوا يحملون حتّى امتلأت الرّكوة ، وعجز الفقير عن تحريكها . فأمر الوزير نظام الملك بحملها معه ، وصرخ الفقير بأعلى صوته : يا نظام الملك إنّما أردت امتحانك ، والاّ فما للفقير والذّهب . وهام على وجهه ، فأمر نظام الملك بتطلّبه ، فلم يقدر عليه ولا وقف على أثره . وجعل الوزير نظام الملك ذلك المال في وجوه البرّ والصّدقات رحمه الله تعالى .

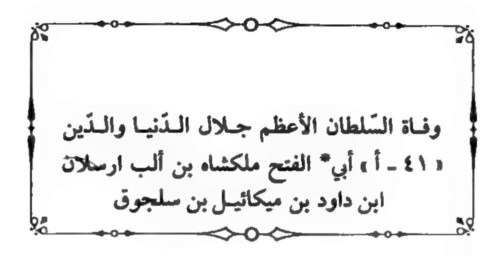
لشبل الدّولة أبي الهيجاء البكري[1] يرثي الوزير نظام الملك رحمه الله تعالى :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤةً ... مكنونة صاغها الرّحمٰن من شرف
جلّت فلم تعرف الأيّام قيمتها ... فردّها غيرةً منه الى الصّدف[2]

---

(١) شبل الدولة أبو الهيجاء بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي. توفي في ٥٠٥ هـ. يتحدر من قبيلة بكر الوائلي. خدم عند الوزير نظام الملك وتزوج من ابنته. بعد موت نظام الملك ألف مرثية عنه. مرض في آخر عمره وتسودن وحمل إلى البيمارستان وتوفي به في حدود سنة خمس وخمسمائة. أنظر ابن خلكان ٥/٢٥٧ ـ ٢٦٠ .

(٢) هكذا وردت الأبيات عند أبي الجوزي ٦٨/٩ وابن خلكان ١٣٠/٢. وابن الأثير ٧١/١٠.



وفـاة السّلطان الأعظم جـلال الـدّنيـا والـدّين «٤١ ـ أ» أبي* الفتح ملكشاه بن ألب ارسلان ابن داود بن ميكائيـل بن سلجوق

ولمّا انفصل السّلطان عن أصفهان ، وقصد مـدينة السّـلام ، مرض . فما طال مرضه حتّى توفّي في سادس عشـر شوّال سنـة خمس وثمانـين وأربع مائة(١) ، وعمره ثمانوثلاثون سنة وثلاثة أشهر وسبعـة وعشرون** يـوماً . وكانت مدّة سلطنتـه سبع عشـرة*** سنة وشهـوراً ، ودُفن عند قبـر والده بمرو .

ملك السّلطان ملكشـاه من البـلاد مـا لم يجتمـع لأحـد من الملوك ممّن

---

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : عشرين .

*** في الأصل : سبعة عشر .

(١) يكتب ابن الأثير (٧٣/١٠) أن سبب مرضه أنه أكـل لحم صيد فحم وافتصـد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمّى محرقة فتوفي ليلة الجمعة في النصف من شوال.

ابن الجوزي (٧٤/٩) يذكر أن سبب موته ثلاثـة أقوال أحـدها أنـه خرج إلى الصيـد بعد صلاة العيد فأكل من لحم الصيد وافتصد فحم فمات والثاني أنه طرقته حمى حادة فمـات. والثالث أنه خردك اسمه في خلال هلك به وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة ومدة ملكه تسـع عشرة سنة وأشهر ودفن في الشونيزية ولم يصلِّ عليه أحد.

مـاتيـوس اورفـايتس (١٧٨) وفـاردان (١٣٤) وكيـراكـوس غـانـزاكيتس (٥٨) كتبـوا أن السـلطان ملك شاه سُمّم من قبل زوجته تركان خاتون .

تقدّمه ولا ممّن تـأخّر* . وكـان قد قـرّر لمماليكـه ملك الدّنيـا : فجعل غلامه بـرسق(1) بجانب الـرّوم ، فضايقهم حتّى قـرّر عليهم ثلاثمائـة ألف دينـار [للسّـلطان] ، وثـلاثـين ألف دينـار [لــه] ، يؤدّيهـا ملك الــرّوم جاليةً .

وتوجّه ملكشاه بنفسه الى الشّام ثمّ الى القسطنطينيّة وحاصرها ، وقرّر عليهم ألف ألف دينار أحمر . وأخـذ القونيـة وآقسرا و قيصـرية وجميـع البلاد ، ووضع بها الملك ركن الدّين سليمان بن قطلمش بن اسـرائيل بن سلجوق(2) ، وفتح انطاكية وسلّمها اليه .

وسـيّر أخاه الملك تـاج الدّولـة تتش بن ألب ارسـلان(3) الى دمشق ،

---

* في الأصل : تقدم .

(1) الأمير برسق كان من أصحاب السلطان طغـرل بك الـذي عينه أوّل شحنـة ببغداد عـام ١٠٥٩ م. أُرسـل برسق عـام ١٠٧٧ للحرب في الأنـاضـول من قبـل السلطان ملك شاه. وصل في حملته إلى ضفاف بحر مرمرة. قتله باطني من الاسماعيليـة في شهر رمضـان ٤٩٠ هـ (١٠٩٦ ـ ١٠٩٧). أنـظر ابن الأثـير (١٠/٩٤) وسبط ابن الجـوزي (٩٧، ١١٩، ١٢١، ٢٣١).

(2) ركن الدولة سليمـان بن قتلمش بن اسرائيـل بن سلجوق (؟ ـ ١٠٨٦ م). بعـد موت قتلمش عام ١٠٦٤ أراد السلطان ألب أرسلان إبادة كل أعقابه. لكن الـوزير نـظام الملك منعه من ذلك بسبب ما قد ينعكس ذلك في نفوس المسؤولـين الآخرين في الـدولة. فعـين سليمان نائباً عن السـلطان في سوريا، وسوية مع اخوته احتـل ملطية وقيسـرية وأقسـراي وقونية وسيـواس في الأناضـول. أي معظم أراضي شبه الجزيـرة تقريبـاً. (أنظر سبط ابن الجوزي ٢١٨، ٢٢٩، ٢٣٣ ـ ٢٤٠) . أما ملك شاه فقد عَيّن رسمياً سليمانَ حاكماً على الأناضول. وعام ١٠٨١ م احتل سليمـان أراضٍ هائلة من سـوريا إلى بحر مرمرة وصار في مقدمة العـرق السلجوقي وأرسـل جيشاً إلى سـوريا التي كـان يحكمها شقيق ملكشاه ـ تاج الدولة تتش. وفي المعركة التي جـرت في ١٨ صفر ٤٧٩ هـ (١٠٨٦) هُزم سليمان فأخرج سكيناً كانت معه وقتل نفسه وقيل بل قتل في المعركة . (ابن الأثير ١٠/ ٥٠ وابن القلانسي ١١٩ ابن العربي ١/ ٣٣).

(3) أبو سعيد تاج الدولـة تتش بن ألب أرسلان بن داوود بن ميكـائيل بن سلجـوق (ولد في رمضان ٤٥٨ هـ) كان حاكماً على سوريا وجزء من فلسطين.

وقــرّر معـه أَخْــذَ مصـر والمغــرب . فملك دمشق من الأقسيس وقتله[1] وأحسن السّيـرة فيها ، وأخـذ أكثر الشّـام ، ومات قبـل بلوغ الغرض من مصر . وكان « ٤١ ـ ب » السّلطان ملكشاه أمر مملوكَيْـه* : قسيم الدّولـة اقسنقـر صاحب حلب[2] ، وبُـزان صاحب الـرّهـا[3] ، أن يـطيعـاه . ونـدب سعد الـدّولة كهـرائـين بفتـح اليمن ، فسـيّر اليهـا جيشـاً من قبله [قـدّم] عليه [تُـرشَك] ، فملك أكـثر اليمن ومات بهـا وعمـره سبعـون سنة . وتولّى مكانه يرنقش صاحب قتلغ[4] [أمير] الحاجّ .

وأوغل السّلطان ملكشاه في بلاد الخركاوات ، حتى أطاعـه سرخـاب

---

* في الأصل : مملوكة .

(١) آتسز (الأقسيس وآقسز) اسم تـركي ، وهو ابن أوَق الخـوارزمي ، أحد الأمـراء التركمـان النـوقيين الـذين انسلخوا عن ألب أرسـلان تحت زعامة أرباسـان (الآخـران همـا قـورلـو وشوقليو) .

عام ٤٦٣ هـ احتل آتسز فلسطين وعام ٤٦٨ أخذ دمشق وعام ٤٦٩ توجه إلى مصر وكاد أن يملكها إلا أنـه انهزم في النهايـة ونجا مـع ١٥ من غلمانـه . اشتهر آتسز بدمـويته المتطرفة . عندما علم ملك شاه بهزيمة آتسز أوعز إلى تتش بأن يملك الشام ويطرد منهـا آتسز . في ١١ ربيع الثاني ٤٧١ هـ (١٠٧٨) أخذ تتش سوريا وقتل آتسـز فوراً . (أنـظر ابن الأثير ٢٣/١٠ ، ٣٤، ٣٥، ٣٨ . ابن خلكــان ٢٩٥/١ . ابن القـلانسي ٩٨، ١٠٩ ـ ١١٣، سبط ابن الجـوزي ١٥٢، ١٦٩، ١٧٢ ـ ١٨٤، ٢٠٠ ـ ٢٠٣ .

(٢) قـاسم الدولـة أبو سعيـد آقسنقر بن عبـد الله ، اشتهر بلقب الحـاجب وكـان من معـاوني السّلطان ملك شاه ووالد عماد الدين زنكي ـ مؤسس الدولة الأتابكية في الموصل .

آق سنقـر وقارا سنقـر (العصفورة البيضـاء والعصفورة السـوداء) لقب للعديـد من الأمراء السلاجقة ، والذين لعبوا دوراً كبيراً في الحياة السياسية للدولة السلجوقية .

(٣) الأمير عماد الدولة أو مؤيد الدولة بزان (المهدّم ـ تركية) من معاوني ملك شاه . يسميه ابن الأثير (الأتابكية ١٢، ١٣، ١٥) بنور الدين . أما ابن واصل (١٩/١) ـ مجاهد الدين .

(٤) الأمـير تُرشـك توفى سنـة ٤٨٥ هـ في الجدري بعـد أن ملك عسكره اليمن وعـدن وكـان عمره سبعين سنة (ابن الأثير ٧٠/١٠) .

=

صاحب طراز .[1] وتجهّز من الرّي ، وقصد ما وراء النّهر ، وأتى سمرقند وحاصرها وهزم مَلِكَها وأسره ، وملك البلد وحمل مَلِكها بين يديه غاشيته الى موضع سريره[2] .

ودخل في هذه الكرّة * ملك كافر ترك ، وهو يعقوب بن بغاتكين ، في طاعته ، ودخل به معه الى أصفهان وأعاده الى بلاده مكرّماً[3] .

واتفق له عبور على بلاد أرّان فسيّر الى شروانشاه صاحب بلاد شروان ، فأطاع وقرّر على نفسه سبعين ألف دينار[4] كلّ سنة يحملها .

---

* في الأصل . الكوة .

= كان أبو منصور قُتلغ بن كتتكي أميراً للحج ١٢ مرة وكانت العرب تخافه وعندما مات سنة ٤٨٠ هـ قال نظام الملك: مات اليوم ألف رجل (ابن الأثير ٥٦/١٠)، له آثار جميلة في المشاهد والمساجد والمصانع بين مكة والمدينة (ابن الجوزي ٣١/٩). وحسب هذا الأخير فإنه مات يوم الخميس بين الظهر والعصر سابع جمادي الأولى من سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م).

(١) طراز ـ هي الآن مدينة جبول في جمهورية كازاخستان السوفياتية ـ بلد قريب من إسفيجاب من ثغور الترك وهو قريب من الذي قبله. ياقوت (٢٧/٤). في زكريا القزويني (٥٤٤) أن طراز « هي حد بلاد الاسلام لأنك إذا جزتها دخلت في فرقاهات الخرلخية ». ورجالها ونساؤها يضرب بحسن صورتهم المثل . البنداري (٧١) .

(٢) تاريخ هذه الحوادث يعود للسنة ٤٨٢ هـ حيث أخذ في الأسر كاراخان أحمد خان (١٠٨١ ؟ ـ ١٠٩٥). بعد هذه الأحداث أخضع ملك شاه دولة الكاراخانديين القريبة. (ابن الأثير ٥٨/١٠ ـ ٥٩. البنداري ٥٥، الراوندي ٢٠٣).

(٣) حاكم دولة الكاراخنديين الشرقية آنذاك كان طبغتج بُغراقارا حسن أبو علي حسن بن سليمان (١٠٧٧ ـ ١١١٣). كان هذا الخان عمّ محمود الكاشغري ـ مؤلف ديوان لغات الترك.
هنا يدور الكلام على شقيق أبي علي الحسن حاكم اتباش (وادي نهر نارين) يعقوب تكين ابن سليمان الذي وقف ضد السلاجقة وقد حاول أخوه ملك كاشغر، خوفاً من السلطان ملك شاه، تسليم أخيه لهذا الأخير دون جدوى. أنظر ابن الأثير (٥٨/١٠ ـ ٦٠)، البنداري (٥٥) سبط ابن الجوزي (١٧٢) يذكر ان الحاكم يدعى بغاتكين.

(٤) تمت هذه الحملة بين (١٠٧٦ و ١٠٧٨ م) وكان شروان شاه آنذاك هو فريبورز الأول =

وكـان السّلطان ملكشاه أرمى النّـاس لم يخـطيء قطّ ، وأطعن النّـاس برمح ، وكان محبّاً للصّيد . أمر يوماً بعدِّ ما اصطاده بيده ويد مماليكـه فكان عشرة آلاف ، فأمر أن يتصدّق بعشرة آلاف دينار ، وقال : أخاف من الله تعـالىٰ من اهراق دم حيـوانٍ عبثاً (١). وهـو الّـذي بنى منـارة القـرون الّتي بطريق مكة من بغداد بقرون الصّيد وحوافره (٢) .

ومن أخباره العجيبة في العـدل أنّ مملوكاً من كبـار مماليكـه مرّ بـرجلٍ « ٤٢ ـ أ » فقيرٍ معه بطّيخ يتّجر فيه ، ولم يكن زمن البـطّيخ ، فـأخذه منـه بغـير ثمن قهراً . فمضى ووقف للسّلطان ملكشـاه فقال لـه : هل تعـرف خصمك ؟ فقال : لا . فأمر بجمع مماليكـه . فلمّا اجتمعوا قـال لهم : إنّي قـد أصبحت مشتهيـاً للبـطّيـخ ، وليس أوانـه ، فهـل منكم من يقـدر لي عليـه ؟ فقال خصم ذلـك الرّجـل أي خداونـد : عندي بـطّيـخ لا يُقـدر عليه ، فأمر بالقبض عليه . واستدعى الرّجل فعرفه ، فقال له السّلطان : هو مملوكي وقد وهبته لك ، فخذه . فأخذه الرّجل وخرج ، فاشترى نفسه

= ابن سالّار (١٠٦٣ ـ ١٠٩٦). أنظر بونياتوف، ص ٢٠٤ نقلاً عن مقالة له حول شـروان في القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر.

يكتب مُنجم باش (مينورسكي ٦٣) أن شروان شاه بدأ يدفع ضريبة المال المفروضة عليه الى الخزنة السلطانية. في البنداري (١٤٠) أنـه عندمـا عبرملك شاهأران جاءه الى الخـدمة صاحب شروان ملك فريبورز ودفع ضريبة للسلطنة ٧٠ الف دينار، وهذا المبلغ خُفّضَ في عهد السلطان محمود إلى أربعين ألف دينار في السنة.

ويكتب النسوي (١٨٩): « كان السـلطان ملكشـاه بن ألب أرسلان لمّـا ملك أران مضافة إلى سائر ممالكيه الفسيحـة حضر بـابه شـروان شاه زمـانه بعـد غارات تـتابعت على بـلاده ووقعات أفنت معظم أجنـاده. وتقرر أن يحمـل كل سنـة الى الخزانـة السلطانية مـائة ألف دينار».

(١) أنظر كذلك البنداري (٦٩) وابن خلكان (٢٨٩).

(٢) منـارة القرون بنيت من قبـل السلطان جلال الدولة ملك شاه بن ألب أرسـلان في محلة الصوبيثة قرب واقصة بطريق مكة. أنظر ياقوت ٥/٢٠١.

منه بثلثمائة دينار . فعاد الرّجل الى السّلطان وقال : يا مولانا قد بعت المملوك الّذي وهبتنيه بثلثمائة دينار . قال : أرضيت بهذا ؟ قال : نعم . قال : اقبضها وامض في حفظ الله تعالىٰ . فقبضها ومضى[١] .

ودخل مرّة الى طوس الى مشهد علي بن موسى الرّضى[٢] ، رضي الله عنهما ، للزّيارة ومعه وزيره نظام الملك . فقال له : يا حسن بما دعوت ؟ قال : دعوتُ أن يظفّرك الله تعالىٰ بأخيك تكش . وكان ذلك في وقت عصيانه عليه ومحاربته له . فقال له : إنّي لم أدع هكذا ولكنّي قلت : اللّهمّ ان كان أخي أصلح للمسلمين فأظفره بي ، وان كنت أصلح فظفّرني به . « ٤٢ ـ ب »

وكانت نيّته في الخير جميلة ، فأمنت السّبل ، وكثر الخصب ، وخافه النّاس خوفاً عظيماً ، وهابوه هيبة شديدة ، وكفّ المظالم ، وانتصف المظلوم ، وكان يقف للمرأة والضّعيف والمظلوم فلا ينصرف حتّى يقضي حوائجهم[٣] .

---

(١) أنظر كذلك البنداري ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. أحد الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الأمامية الجعفرية. جعله المأمون ولي عهده وضرب اسمه على الدينار والدرهم ولد في ١٥٣ هـ بالمدينة وتوفي ٢٠٢ هـ. أنظر ابن خلكان ٣/٢٦٩ ـ ٢٧١ .

(٣) كان السلطان ملك شاه قد أخضع لسلطته أراضٍ هائلة الاتساع. يكتب ابن الأثير (١٠/٧٣): « خُطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ومن أقاصي بلاد الاسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن وحمل إليه ملوك الروم الجزية ». وخضع له ملوك طراز، اسفيجاب، كاشغر، بالاسكون وغيرها من الأقطار البعيدة وكذلك حكام سمرقند وما وراء النهر. أنظر كذلك ابن الأثير (الأتابكية ١١) وابن خلكان (٥/٢٨٤) والراوندي (٢٠٣ وما يليها). ٤٦٧هـ دعا السلطان والوزير نظام الملك كل علماء الفلك البارزين، واتخذوا قراراً باعتماد النوروز (٢٢ آذار (مارس)) بداية السنة الجديدة وقد اتخذ هذا التقويم الجديد اسم الجلالية. وفي هذه السنة بأمر من السلطان بُني مرصد كبير عمل فيه =

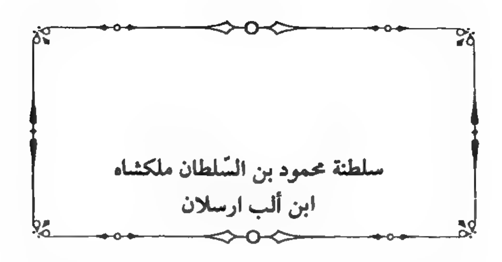
وخلّف من الأولاد وهم : أبو المظفّر ركن الدّين بـركيارق ، وغيـاث الدّين محمّد ، وأبو الحارث سنجر ، ومحمود وهو أصغرهم[1] .

= كثير من علماء الفلك أشهرهم : عمر بن ابراهيم الخيامي، أبو المظفر الاسفيزاري، ميمون ابن النجيب الواسطي وغيرهم. وقد صرفت على هذا المرصد أموالٌ طائلة واستمر بـالعمل حتى وفاة ملك شاه فبطل بعد موته. ابن الأثير (١٠/٣٤).

في عهد ملكشاه عاش علماء مشهورون مثل عمر الخيام، محمد بن أحمد البيهقي، غرس النعمة، عبد الرحمن الأصفهاني، محمد الكاشغري، عبد القاهر الجرجاني، الفقيه المشهور أبـو القاسم القشيري، أبو اسحاق الشيرازي، الغـزالي، عبد الله النحـاس، أبو طـاهـر الخاتوني، ابن الخبّارية، ظافر الحمداني.

المؤرخـون الأرمن يلقّبـون الـسلطان ملك شاه بـالرجـل الـطيب القلب والمفكـر العميق والمتسـامح مـع النصارى. (فـاردان ١٢٩ ـ ١٣٤). بعد ألب أرسـلان ملك ابنـه السعيـد المدعو ملك شاه. وهو لم يكمل سيئات والده. بل بـالعكس كان يفكـر دائماً بـالخير وعمـل خيـراً للمحكومـين لاسيما الشعب الأرمني، ممـا محا سلبيـات والده. حكم ملكشـاه بذكـاء وأخلاق وثبات. حكم بشجاعة وحكمة أكثر من كثير من الملوك. اهتم بالجميع وبالادارة وفي سبيل تسيّد العدالة. وانتفى الحزن والقهر وغطرسة المتعجرفين وهكـذا حكم المذكورُ بالخير، طيلة عشرين سنة (كيراكوس غانزاكيتس ٥٨، وانظر ماتيوس أورفايتس ١٤٦).

(١) اضافة إلى هؤلاء فـإن ملك شاه ورّث ولدين آخرين ـ أحـد وداوود وست بنات. ويكتب ابن الأثير (١٠/٥٥) عند حوادث سنة ٤٨٠ هـ « وفيها جعل السلطان ولي عهده ولده أبـا شجـاع أحمد ولقّبـه ملك الملوك بحضن الدولـة وتاج الملّة عـدة أمـير المؤمنـين وأرسـل إلى الخليفة بعد مسيرة من بغداد ليخطب له ببغداد بذلـك فخطب لـه في شعبان ». وقـد توفي أحمد ابن السلطان شاه بمرو في العام التالي ٤٨١ هـ عن عمر يناهز ١١ سنـة. (ابن الأثير ١٠/٥٨).



سلطنة محمود بن السّلطان ملكشاه ابن ألب ارسلان

لّما توفّي ملكشاه ببغداد ، لم يكن معه من الأولاد الاّ محمود وهـو طفل صغير[1] . فبايعه العسكر لأمور أحدها : أنّ أمّه تـركان خـاتون كـانت مستـولية عـلى الأمور في أيّـام السّلطان ملكشاه ، وكـانت محسنة لـلأجنـاد فقدّموا ولـدها . والثّاني : أنّها كانت من نسـل الملوك التّرك ، قيـل : إنّها من نسل أفراسياب . والثّالث : أنّ الأموال كانت بيدها ففـرّقتها فيهم ، فبايعوه وأخذوه معهم وعادوا الى أصفهان[2] .

---

(١) ولد محمد في ٤٨٠ هـ.

(٢) تركان خاتون أو خاتون الجلالية (ابن الأثير ٧٣/١٠) كانت أخت حاكم بخارى وسمرقند وما وراء النهر شمس الملك تكين بن طمغج (سبط ابن الجوزي ١٦٤).

يكتب ابن الأثير ٧٣/١٠ « ولما توفي (ملكشاه) سترت زوجته المعـروفة بخـاتون الجـلالية موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفةمن ابنة السلطان الى أبيه المقتدي بأمر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولاً وبذلت الأموال للأمراء سراً واستحلفتهم لأبنهـا محمود وكـان تاج الملك يتولى ذلـك لها وأرسلت قـوام الدولـة كربـوقا الـذي صار صـاحب الموصـل إلى أصبهـان بخـاتم السلطان فـاستنـزل مستحفظ القلعـة وتـسلمهـا وأظهـر أن السلطان أمره بذلك » . . . « ولما مات السلطان ملكشـاه أرسلت تركـان خاتـون إلى أصبهان في القبض على بركيارق ابن السلطان وهو أكبر أولاده خافته أن ينازع ولدها في السلطنـة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان فأخذوه وثاروا في البلد وأخرجوا بركيـارق من الحبس وخطبـوا له بـأصبهان وملكـوه وكانت والـدة =

ولّما سمع غلمان الوزير نظام الملك، ومن بقي من الأجناد في همدان ، أنّ تركان خاتون واصلة بالعساكر ، خرجوا بالملك ركن الدّين

= بركيارق زبيدة ابنة ياقوتي من داوود وهي ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فأتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى أصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالأموال فوعدهم فلما وصلوا إلى قلعة برجين صعد إليها لينزل الأموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفاً من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيئاً. فإنه كان قد علم ما جرى فاستظهر وأخفاه ولما وصلت تركان خاتون إلى أصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بأن متحفظ القلعة حبسه وأنه هرب منه إليها فقبلت عذره وأما بركيارق فإنه لما قاربت خاتون وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقيهم أرغش النظامي في عساكره ومعه جماعة من الأمراء وصاروا يداً واحدة وانما حمل النظامية على الميل إلى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لأنه كان عدوّ نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر إلى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الأمراء الذين في عسكر خاتون إلى بركيارق منهم الأمير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوي بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذي الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا إلى أصبهان وصار بركيارق في أثرهم فحصرهم في أصبهان وكان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الواقعة فهرب إلى نواحي بروجرد فأخذ وحمل إلى عسكر بركيارق وهو يحاصر أصبهان وكان يعرف كفايته فأراد أن يستوزره فشرع تاج الملك في اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتي ألف دينار سوى العروض فزال ما في قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الأصاغر على الاستغاثة وأن لا يقنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه أجزاء وكان قتله في المحرم سنة ٤٨٦ هـ .

في هذه السنة (٤٨٦ هـ) في شعبان قتل اسماعيل بن ياقوتي بن داوود وهو خال بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب قتله أنه كان بأذربيجان أميراً عليها فأرسلت اليه تركان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه أن تتزوّج به وتدعوه إلى محاربة بركيارق فأجابها إلى ذلك وجمع خلقاً كثيراً من التركمان وغيرهم وصار أصحاب سرهنك ساوتكين في خيله وأرسلت إليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الأمراء في عسكر كثير مدداً له فجمع بركيارق عساكره وسار إلى حرب خاله اسماعيل فالتقوا عند الكرج فانحاز الأمير يلبرد إلى بركيارق وصار معه فانهزم اسماعيل وعسكره وتوجه إلى أصبهان فأكرمته تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الأمر في الوصلة يتم بينهما فامتنع الأمراء من ذلك =

أبي* المظفّر بركيارق [بن ملكشاه] بن ألب أرسلان الى الرّي وجمعوا الأجناد عليه . ودخلت تركان خاتون « ٤٣ ـ أ » بولدها الى أصفهان .

وفي هذه الحروب والاختلافات ، انتقل الامام المقتدي[1] فجأة يوم السّبت خامس عشر المحرّم سنة سبع وثمانين وأربع مائة [الى رحمته تعالى] ، وبويع بالخلافة الامام المستظهر بالله بعد وفاته بثلاثة أيّام . فأخذ منه كتاب التّقليد لبركيارق ، وأتى بركيارق فحاصر أصفهان . ولم تتمّ السّنة حتّى مات محمود ووالدته تركان خاتون واستقام الأمر .

---

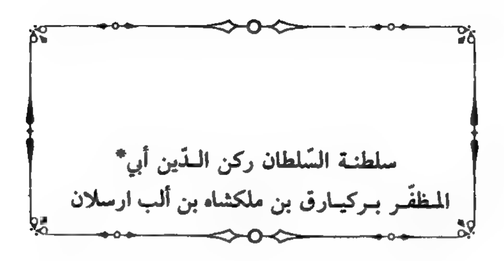
* في الأصل : أبو .

= لاسيما الأمير أنزوهو مدبر الأمر وصاحب الجيش وآثروا خروج اسماعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضاً منهم ففارقهم وأرسل أخته زبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم فأذنت له في ذلك فوصل إليهم وأقام عندهم أياماً يسيرة فخلا به كمشتكين الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه في القول فأطلعهم على سره وأنه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه ». أنظر ابن الأثير (١٠/٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨).

ماتيوس أورفايتس (١٨١ ـ ١٨٢) يكتب أن اسماعيل بن ياقوتي كان تجاه الأرمن الحاكم الأكثر لطفاً وتسامحاً والمجدد بناء مدنهم وأديرتهم وحامي الرهبان وفي عهده كان بإمكان كل واحد أن يطمئن إلى ممتلكاته ومتاعه وعاش كل الأرمن حياة سعيدة.

توفيت تركان خاتون في رمضان ٤٨٧ هـ، موصية الأمراء إياز وسرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة لإبنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصفهان. أما الجيش فكان يقارب العشرة آلاف فارس من الأتراك (ابن الأثير ١٠/٨٣).

(١) استمر الإمام المقتدي بأمر الله خليفةً مدة ١٩ عاماً وثمانية أشهر.



سلطنة السّلطان ركن الـدّين أبي* المظفّـر بـركيـارق بن ملكشاه بن ألب ارسلان

فلمّا استقامت السّلطنة للسّلطان ركن الدّين أبي* المظفّـر بركيـارق بن ملكشاه ، كان أتابكه الأمـير الاسفهسلار كُمُشتكـين الجانـدار[1] ، وكان صاحب شراب . ولمّا ولي السّلطان بركيارق ، تحرّك** عمّـه تاج الـدّولة تتش بن ألب أرسـلان من الشّام . فكتب بُـزان صاحب الـرّهـا ، وقسيم الـدّولة اقسنقـر صاحب حلب ، مملوكـا أبيـه[2] ، الى السّلطان بـركيـارق

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : تحوّل .

(١) الجاندار ـ حامل السلاح: الجاندارية كانوا من الجنود الذين يعملون حرساً أو سيّافين . وقائدهم يلقب بأمير جاندار. بعض أمرائهم مثل غمش تكين وصلوا إلى منصب أتابك. وأتـابك ـ كلمـة تركيـة، وهي أحد الألقـاب الرفيعـة لدى السـلاجقة وأول من حمـل هذا اللقب كان مربي ملك شاه الصغير ـ الـوزير نـظام الملك. وقد قـوي نفوذ بعض الأتـابكـة وأسسـوا دولاً مستقلة في بعض المناطق مثل الموصل وأذربيجان وفارس وكرمان وغيرها.

(٢) بعد موت ملك شاه، ادعى، كما بركيارق، كذلك تتش، العرش السلطاني وقد اتفق تتش مع حاكم أورفا والرها ـ بوزان وحاكم حلب ـ آقسنقر على العمل ضد بركيارق. وفي محرم ٤٨٦ هـ أعلن تتش نفسـه سلطاناً ودعـا الأمراء الخـاضعين لـه في المقاطعـات للخطبـة له وبمسـاعدة هؤلاء احتل الموصل وأرسل عسـكراً إلى أذربيجان.
أمـا بركيـارق فقد تـوجه كـذلك بجيش إلى أذربيجـان. وعندمـا وقف الجيشان من أجـل القتال، قال الأمير آقسنقر لبـوزان: «هذا الـرجل (تتش) لا يـظهر عليـه أنه ابن المرحوم سيدنا (ملك شاه). الآن فإن بـركيارق يقوى. وأعتقد أنـه يجب علينا التـوجه إليـه ونكون معه». أنظر ابن الأثير (١٠/٨٠، والأتابكية ـ ١٥) وماتيوس أورفايتس (١٨١)، وابن العبري (١/٣٣٤ ـ ٣٣٥).

يطلبان منه النّجدة على عمّه تاج الدّولة تتش . فاشتغل عنهم بشربه ، واشتغل أتابكه عنه بأمّ السّلطان زبيدة خاتون ، وكان متّهماً بها ، فلم ينجدا[1] . وقصدهما تاج الدّولة تتش وظنّا أنّهما يطيقان حربه ، فقاتلاه فقتلهما وحبسهما* ، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وأربع مائة . « ٤٣ ـ ب » وهزم* قسيمَ الدّولة اقسنقر صاحب حلب والأمير بُزان صاحب الرّها وملك بلادهما حلب والرّها . وللصّدر عماد الدّين بيتان** في قتل الأمير قسيم الدّولة اقسنقر وبُزان :

قد غرقنا في الشُّرب والسُّكر حتّى ... لم نفكّر في سُنْقُر وبُزانِ
ما ظفرنا بالبيذق الفرد في الدّسـ ... ـت ولكن [قد] أُسْلِمَ الرُّخّانِ[2]

واستعجل جيشه وقصد أخذ السّلطنة ، وكان هذا في أيّام وزارة مؤيّد الملك عبيد الله بن نظام الملك[3] للسّلطان بركيارق بن ملكشاه ، فمضى مؤيّد الملك*** بالجيوش الى محاربة تاج الدّولة تتش بن ألب أرسلان . ولقيه تاج الدّولة تتش بن ألب أرسلان ووصل السّلطان بركيارق خلف عسكر مؤيّد الملك الى لقاء عمّه . فالتقوا بقرب الرّي واقتتلوا قتالاً

---

* كذا .

** في الأصل : بيتين .

*** في الأصل : الدولة .

(١) أرسل الأمير بوزان وآقسنقر إلى بركيارق رسائل بخصوص جمع تتش عساكره ضده. ولكن، كما يظهر في المصدر، فإن بركيارق لم يعر الاهتمام الكافي لهذه الرسائل. البنداري ٨٤، وابن الأثير ١٠/٨١.

(٢) يذكر ابن الأثير ١٠/٨٠ والأتابكية ١٥، أن المعركة جرت في شهر جمادى الأولى ٤٨٧. عندما سأل تتشُ آقسنقر بعد أسره: « لو ظفرت بي ما كنتَ صنعتَ. قال كنتُ أقتلك. فقال له: أنا أحكم عليك بما كنت تحكم عليّ فقتله » أما بوزان فقتل بعد ذلك بقليل. انظر ابن خلكان ١/٢٤٢ ـ ٢٤٣، ٢٩٥ ـ ٢٩٧ وأبو الفداء ٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥ وابن القلانسي ١٢٢ ـ ١٣١.

(٣) وزراء بركيارق كانوا الأبناء الثلاثة لنظام الملك. عزّ الملك حسين، مؤيد الملك عبيد الله أبو بكر، فخر الملك أبو الفتح المظفر.

شديداً ، فقُتل تاج الدّولة تتش بن ألب أرسلان في شهر صفر سنة ثمان وثمانين وأربع مائة ، وانهزم أصحابه ، واستقرّت السّلطنة للسّلطان ركن الدّين بركيارق . وكان المصافّ على قرية يقال لها داشيلو على أثني عشر فرسخاً من الرّي[1] . واتّفق عزل مؤيّد الملك[2] فمضى هارباً الى السّلطان محمّد طبر أخي السّلطان ، فحرّكه وقال له : السّلطنة تطلبك ، فخرج من ارّان[3] في عدّة قليلة قوّته .

---

(١) بعد انتصاره في سوريا وقتله الأميرين آقسنقر وبوزان توجه تتش بعساكره إلى أصبهان وأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب منه الخطبة ببغداد. في هذا الوقت توفي محمود بن تركان خاتون وانضم مؤيدوه إلى صفوف بركيارق. أنظر ابن الأثير ١٠/٨١.

في ٧ صفر ٤٨٨ هـ هُزم تتش مع ١٥ ألف من جنده أمام جيش بركيارق الذي قُدِّر بـ ٣٠ ألفاً وقُتل تتش في المعركة. أنظر ابن الأثير ١٠/٨٥، ابن الجوزي ٩/٨٧ ـ ٨٨، الراوندي ٢٢١، البنداري ٨٥.

(٢) في الأصل: مؤيد الدولة. من بين أولاد نظام الملك كان مؤيد الملك وحده موهوباً. برع كديبلوماسي وقائد وكان يعرف بصورة ممتازة اللغة العربية والفارسية.

أظهر مؤيد الملك مساعدة كبيرة لبركيارق في انتصاره على تتش وصار بعدها وزيره. بعد قتله عمه « أرسل بركيارق خادماً ليحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الأمراء وأشاروا عليه بتركها فقال: لا أريد المُلك إلا لها وبوجودها عندي فلما وصلت إليه وعلمت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان نجد الملك أبو الفضل البلاساني قد صحبها في طريقها وعلم أنه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك متباعد بسبب جواهر خلّفها أبوهم نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر السلطان على أخيه مؤيد الملك. أرسل وبذل أموالاً جزيلة في الوزارة فأجيب إلى ذلك وعزل أخوه وولي هو » أنظر ابن الأثير ١٠/٨٨، البنداري ٨٥ ـ ٨٨، الراوندي ٢٢٠.

(٣) ولدا ملكشاه: أبو شجاع محمد وأبو الحارث سنجر، كانا من أم واحدة. ولما مات أبوه كان محمد مع تركان خاتون وابنها محمود (أخيه من والده) في بغداد، حيث توجهوا إلى أصفهان. ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفياً ومضى إلى والدته وهي في عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه إلى بغداد سنة ٤٨٦ هـ وأقطعه بركيارق كنجه وأعمالها. فلما قوي محمد استولى على جميع أعمال أران. وعندما قدم إليه =

ولمّا بلغ السّلطان « ٤٤ ـ أ » بركيارق خروجه ، ترك الرّي وفارقها وخرج عنها ، ودخلها السّلطان غياث الدّين محمّد طبر وجلس على التّخت ، وقبض على زبيدة خاتون أمّ بركيارق وقتلها[١] . واتّفق بين الأخوين مصاف على همدان قُتل فيه مؤيّد الملك[٢] . وكان خروج السّلطان محمّد بمشورة الأمير الاسفهسلار أُنر ، لأنّه طمع في تدبير المملكة[٣] . وانهزم السّلطان محمّد في هذا المصافّ .

= الوزير السابق مؤيد الملك أشار عليه بمخالفة أخيه والسعي في طلب السلطنة ففعل ذلك. وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك.

في هذه الأثناء انضم العديد من العساكر التابعة لبركيارق إلى السلطان محمد، وساروا نحو الريّ. ولما عرف بركيارق بمسير أخيه محمد إليه سار من الري إلى أصبهان فلم يفتح أهلها له الأبواب فسار إلى خوزستان. أنظر ابن الأثير ١٠/١١، الراوندي ١٤٣ ـ ١٤٤، البنداري ٨٧.

(١) أخذ السلطان محمد الريَّ في ٢ ذي القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فأخذها مؤيد الملك وسجنها ثم خنقها عن عمر ٤٢ سنة. (ابن الأثير ١٠/١١، البنداري ٨٧، ٢٥٩)

(٢) قبل هذه المعركة، كان شحنة بغداد سعد الدولة كوهرائين قد طلب من الخليفة ببغداد الخطبة للسلطان محمد فأجاب إلى ذلك يوم الجمعة في ١٧ ذي القعدة ولقّب بـ: غياث الدنيا والدين. (ابن الأثير ١٠/١١٠وابن الجوزي ٩/١٠٩). وفي الرابع من رجب ٤٩٣ هـ. على ضفة نهر سبيذ روذ (النهر الأبيض) على بعد عدة فراسخ من همذان، جرت واقعة بين السلطان محمد وبركيارق هُزم فيها الأخير وهرب مع ٥٠ فارساً فقط. أنظر ابن الأثير ١٠/١٠٢، وابن الجوزي ٩/١١٢ ـ ١١٣.

أما المعركة التي يتكلم عنها المؤلف هنا فقد جرت في ٣ جمادى الثاني ٤٩٤ هـ وهي الثانية بينهما وكان لدى بركيارق ٥٠ ألف جندي ولدى محمد ـ ١٥ ألفاً. وقد انهزم السلطان محمد وأُسر الوزير مؤيد الملك وقتله بعد ذلك بركيارق بنفسه. وكان قد استمر في وزارته للسلطان محمد سنة وعشرة أشهر. انظر ابن الأثير ١٠/١٠٥، ابن الجوزي ٩/١٢٩، الراوندي ٢٢٣ ـ ٢٢٨ والبنداري ٨٨ ـ ٨٩، ٢٦٠.

(٣) أمير سلاهسلار عز الدين أُنَر بيلغبك كان والياً على فارس عند بركيارق. إلا أن صاحب كرمان ايران شاه بن قاورت والشوانكاره هزموا أُنر الذي ولّاه بركيارق إمارة العراق وندب =

وبلغ انهزامه الى السّلطان معزّ الدّين سنجر أخيه ، وهو متولي خراسان من قبل أخيه بركيارق(١) . فوصل ثَمّ بحروب(٢) يأتي شرحها إن شاء الله في ذكر السّلطان سنجر . وكان كارهاً لأمر أخيه بركيارق ، فسيّر الى أخيه السّلطان محمّد طبر ، فحملته محبّته على أن يرحل من خراسان . وأتى اليه وقصدا بغداد ودخلا الى المستظهر بالله أمير المؤمنين ، وجلس لهما وطوّقهما وسوّرهما وعقد لهما لوائين بيده(٣) وانفصلا . ورجع السّلطان سنجر الى خراسان ، وتأهّب السّلطان محمّد لقتال أخيه بركيارق . وتصافّا

= نفسه لقتال الباطنية بأصبهان. واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك الذي أشار عليه بمخالفة بركيارق ومكاتبة السلطان محمد أخ بركيارق.

عندما كان بركيارق يسير إلى خراسان، توجه مؤيد الملك ـ وكان قد عزل من الوزراة ـ إلى أُنَر خادم السلطان وقال له :

« انك لست أقلّ من محمود بن تركان خاتون، وكان السلطان ملكشاه يعزّك أكثر من سائر أولاده. وكان يتخذك ولداً، ولك هيبة في القلوب أكثر مما لسائر الأمراء وكنت أكثرهم علماً وفضلاً، والرعية تحبك وتميل إليك، فتولّ العرش فإنك متى انتصرت نصراً واحداً سلمتْ لك الدنيا بأسرها ». أنظر الراوندي ٢٢٣ .

وفي عام ٤٩٢ هـ قُتل أُنر على يد ٣ أتراك قرب مدينة ساوه. ابن الأثير ٩٧/١٠، ابن الجوزي ١١٠/٩، الراوندي ٢٢٣ ـ ٢٢٨، رشيد الدين ٥/٢، ٦١ ـ ٦٢.

(١) لم يكن سنجر في بداية الصراع يحمل لقب سلطان.

(٢) بعدما انهزم بركيارق من أخيه السلطان محمد قصد مع الخمسين فارساً الريّ ثم اتجهوا إلى نيسابور حيث علم بمقدم سنجر ـ وجرت معركة بينهما خارج النوشجان أدت إلى انهزام بركيارق. لكن هذا كان قد أخذ والدة أخيه سنجر حتى يطلق سنجر الأسرى من عنده. فكان ذلك. بعدها سار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان ومعه ١٧ فارساً. ثم كثر جمعه حتى صار ثلاثة آلاف فارس. بعدها سار إلى أصبهان بمكاتبة من أهلها. أنظر ابن الأثير ١٠٣/١٠، ابن الجوزي ١١٣/٩ .

(٣) تمّ اللقاء بينهما في جرجان وفي ٢٧ ذي الحجة وصلا إلى بغداد حيث خطب الخليفة المستظهر بالله للسلطان محمد بالديوان. ابن الأثير ١٠٧/١٠ ابن الجوزي ١٢٤/٩، البنداري ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

بمدينة روذ راور[1] ثمّ افترقا من غير حرب ، وتراضيا على صلح تقرّر بينهما[2]. ثمّ انفسخ الصّلح ووقعت بينهما وقعة بالرّي [3] دخل السّلطان محمّد فيها الى أصفهان ، وحاصره بركيارق « ٤٤ ـ ب » بها ، ولقي محمّد بها شدّة عظيمة [4] فراسله الملك مودود بن اسمعيل ، وهو من بني سلجوق وكان صاحب ارّانية ، وضمن له إن أتاه أن ينصره . فخرج من الحصار ومضى الى ارّانية وتوفّي الملك مودود قبل وصوله ، ودخلها السّلطان محمّد وقوي بعسكرها[5] . وسار ركن الدّين بركيارق لحربه ، وسار اليه السّلطان محمّد . فالتقيا على باب دوين في جمادى الآخرة سنة ستّ وتسعين وأربع مائة ، فانهزم السّلطان محمّد الى بلد آني[6] .

---

(١) روذراور ـ مدينة على بعد سبعة فراسخ من همذان ومن نهاوند. ياقوت ٣/٧٨.

(٢) في ٤ ربيع الأول ٤٩٥ هـ افترق محمد عن بركيارق بعد عقد الصلح بينهما. والذي بموجبه يكون بركيارق سلطاناً ومحمد ملكاً ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل. ابن الأثير ١٠/١١٥، أبو الفداء ٢/٢١٥.

(٣) الموقعة الرابعة بين محمد وبركيارق حدثت في ٩ جمادى الأولى ٤٩٥ هـ. وتوجه محمد إلى الريّ يضرب النوب الخمس وهناك التقى أخاه لكنه انهزم ونُهبت أمواله وهرب الى أصفهان مع ٧٠ فارساً. ابن الأثير ١٠/١١٥، وأبو الفداء ٢/٢١٥.

(٤) بعد لجوء محمد إلى أصبهان أمر بترميم وتحصين أسوارها وتعميق خندقها. ولم يكن معه أكثر من ١١٠٠ فارس و٥٠٠ راجل، فيما كان بركيارق يتجاوز جيشه الخمسة عشر ألف فارس. استمر الحصار حتى ١٠ ذي الحجة ٤٩٥ هـ. لكن محمداً نجح في اختراق الحصار والهرب مع ١٥٠ فارساً ابن الأثير ١٠/١١٦.

(٥) مودود بن اسماعيل بن ياقوتي بن جغري بك داوود بن ميكائيل بن سلجوق حاكم بعض أذربيجان. كان السلطان محمد متزوجا من أخته وكان مودود يريد الثأر لأبيه من بركيارق. أثناء سيره بين أردبيل وبيلقان انفرد محمد عن العسكر وتصيد فوثب عليه نمر جرحه في عضده. أما مودود فقد توفي في النصف من ربيع الأول وعمره ٢٢ سنة ابن الأثير ١٠/١٢٦ والبنداري ٢٦١.

(٦) الموقعة الخامسة بين بركيارق ومحمد جرت في ٨ جمادى الأولى ٤٩٦ هـ على باب خوي من =

ثمّ اتّفقا واصطلحا على أن يكون للسّلطان غياث الدّين محمّد ما وراء النّهر الأبيض المعروف باسفيد روذ مع الموصل والشّام ، وللسّلطان معزّ الدّين سنجر خراسان وما وراء النّهر ، والسّلطنة بالعراقين للسّلطان ركن الدّين أبي* المظفّر بركيارق والسّلطان من بعده محمّد[1]. ودام الصّلح مدّة يسيرة .

وتوفّي السّلطان ركن الدّين أبو المظفّر بركيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان ببروجرد في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربع مائة . وُلِد في سنة [أربع و] سبعين وأربع مائة وكانت مدّة سلطنته اثنتي عشرة** سنة وأربعة أشهر وعمره خمس وعشرين سنة[2] .

سيرته :

كان ملازماً للشّراب كثير الادمان له ، وغزا ما وراء النّهر ودخل « ٤٥ ـ أ » الى سمرقند ، وولّاها للخان تكين بن سليمان ثمّ

---

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : اثني عشر .

= أذربيجان عند غروب الشمس فانهزم محمد وسار إلى أرجيش من بلاد أرمينيا على أربعين فرسخاً من الموقعة وهي من أعمال خلاط ثم إلى آني وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادي ومنها الى تبريز من أذربيجان ابن الأثير ١٠/ ١٢٦ ابن الجوزي ٩/ ١٣٤ .

(١) عقد الصلح بين بركيارق ومحمد في ربيع الثاني في ٤٩٧ هـ. فخُطِب لبركيارق في الري والجبال وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين. وخُطِب لمحمد في أذربيجان وآرانيه وأرمينية وأصبهان وكل العراق ما عدا تكريت. أما في البصرة فيُخطب لمحمد وبركيارق سوية وأما سنجر فقد خُطب له في خراسان وجرجان وما وراء النهر. ابن الأثير ١٠/ ١٢٩، ابن الجوزي ٩/ ١٣٨. البنداري ٢٦١، سبط ابن الجوزي ٨/ ١، ٨.

(٢) مات بركيارق في الثاني من ربيع الآخر سنة ٤٩٨ هـ. جميع مؤلفي القرون الوسطى يُرجعون بداية سقوط الامبراطورية السلجوقية الى حكم بركيارق والتطاحنات المحلية في عهده. ويكتب فاردان (١٤) أن بركيارق كان متسامحاً وليناً اتجاه الأرمن واعتنى بهم. وأدّى ذلك الى ازدهار بلادهم، كما ألغى الضرائب عن الأديرة وكل مراكز العبادة.

عزله ، وولّاها لمحمود تكين ، ثمّ أقرّها على هرون تكين[1] ، ودخل في طاعته ابراهيم صاحب غزنة[2] .

ولده : ملكشاه[3] . وزر له* جماعة آخرهم خطير الملك أبو منصور محمّد بن الحسن [بن المبذي]** كان في غاية الجهل والسّمن[4] كأنّه المعني بقول القائل :

وزير غاص في شحم ولحم ولم يُنْسَب الى عقل وفهم
اذا لبس البياض فعِدل قطن وان لبس السّواد فتلّ فحم[5]

---

* في الأصل : لهم .

** « أبو منصور محمد بن الحسن . . » ترد في الهامش وما بين قوسين مقصوص .

(1) تكين ابن سليمان، محمود تكين، هارون تكين ـ حكام السمرقند معاصرون لبركيارق.

(2) المقصود الغزنوي ظهير الدولة ابراهيم بن فروخ زاده.

(3) قبل موته أوصى بركيارق بالسلطنة لابنه ملك شاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وجعل الأمير إياز أتابكه. ابن الأثير ١٣٢/١٠ وابن الجوزي ١٤١/٩ .

(٤) خطير الملك الميبذي كان في مطلع خدمته صاحب ديوان الاستيفاء. بعد مقتل الوزير ابن جهر صار هو وزيراً. عزله السلطان محمد واعتقله وبعد ذلك عُين رئيساً لديوان الطُغرة ثم عينه السلطان محمود وزيراً عند أخيه الأمير سلجوق أنظر البنداري ٩٦ ـ ١١٤، ١١٩، ١٢٥ .

(٥) الأبيات هي لشاعر بلاط نظام الملك ـ الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن الهبارية. توفي في ٥٠٤ هـ أنظر ابن خلكان ٤٥٣/٤ ـ ٤٥٧ والأصفهاني ٧٠ ـ ١٠٤ .

سلطنة السّلطان غياث الدّين أبي*
شجاع محمّد طبر قسيم
أمير المؤمنين

تقرّرت السّلطنة له عند وفاة أخيه السّلطان ركن الدّين بركيارق بن ملكشاه ، سنة ثمان وتسعين وأربع مائة . و [كان] اياز أتابك ملكشا [ه ابن] السّلطان ركن الدّين بركيارق** قد أخذه عند وفاة والده ، وهرب به من مكان الى مكان ، حتّى دخل في طاعة السّلطان محمّد . ثمّ قُتل بعد ذلك ، وتسلّم ملكشاه عمّه السّلطان محمّد[1] .

---

* في الأصل : أبو .

** العبارة من « سنة ثمان . . . بركيارق » ترد في الهامش وما بين قوسين مقصوص .

(١) في ٢ ربيع الثاني ٤٩٨ خُطب في بغداد للسلطان جلال الدين ملك شاه بن بركيارق. وفي ١٧ ربيع الثاني وصل السلطان جلال الدين مع أتابكه إياز الى بغداد ونُثرت الدنانير عند الخطبة له. في هذا الوقت عاد الى بغداد السلطان محمد طبر، فقرر الأتابك إياز عدم المغامرة والخضوع لمحمد مناقشاً معه بعض المسائل المتعلقة بوضع ابن بركيارق. ابن الأثير ١٠/١٣٣ ابن الجوزي ٩/١٤١ ـ ١٤٢ ابن القلانسي ١٤٧.

بعد بعض الوقت، في ١٣ جمادى الآخرة ٤٩٨ قُتل إياز بأمر من السلطان محمد بسبب « هزل ومزاح » غير مقصود كان قد جرى يوم ٨ جمادى الآخرة أثناء دعوة عظيمة نظمها إياز ودعا إليها السلطان محمد. أنظر ابن الأثير ١٠/١٣٥ الراوندي ٢٣٦ ـ ٢٣٧ وغيره يذكرون أن إيازاً أسره السلطان وبعدها قُطع رأسه وأرسل الى خراسان عند السلطان سنجر. أما بالنسبة لملكشاه ابن بركيارق فقد سُملت عيناه في ٤٩٩ هـ. البنداري ٩٠ وابن الجوزي ٩/١٤٢ ـ ١٤٣.

وفتح السّلطان محمّد قلعة شاه دز المجاورة* لأصفهان في سنة خمسمائة بالسّيف . وكانت شجاً في حلوق أهلها وقذًى في عيونهم ، وقُتل كلّ باطنيّ فيها ، وقُتل [أحمد بن] عبد الملك المعروف بعطّاش الباطنيّ صبراً . وكان شديد البأس ، لا يسمع بأمير له صولة ، ولا بعالم له منزلة ، إلّا بعث اليه من يفتك به(1) . وكان السّلطان غياث الدّين محمّد طبر شديد البغض للباطنيّة ، مفرطاً في عداوتهم .

وفتح أيضاً « ٤٥ ـ ب » قلعة خالنجان** وهي بقرب أصفهان . وولي الأمير الاسفهسلار شيركير محاصرة أَلَمُوت فأشرف على أخذها(2) .

---

* في الأصل : المجاور .

** في الأصل : خان .

(1) القلعة الحصينة شاه دز، وتسمى كذلك بقلعة « دزكوه »، قرب أصفهان، بناها السلطان ملك شاه الذي أنفق على بنائها ١٢٠٠ ألف دينار. ابن الجوزي ٩/١٥٠ . « هي قلعة حصينة على جبل أصبهان كانت لمعقل ابن عُطاش وهو أحمد بن عبد الملك مقدم الباطنية، استحدثها السلطان ملكشاه . . . ومعنى شاه دز قلعة الملك». ياقوت ٣/٣١٦ .

وقد احتل ابن عُطاش المذكور هذه القلعة وحولها الى حصن اسماعيلي سنة ١١١٠ م وقد أمضى السلطان محمد حياته في محاربتهم بدون هوادة وبعد حصار طويل وفي الثاني من ذي القعدة سنة ٥٠٠ هـ أُخذت القلعة من قبل محمد وأُخذ ابن عُطاش أسيراً وسُلِخ جلده فتجلد حتى مات وحُشي جلده تبناً وحمل رأسه مع رأس ولده الى بغداد أما القلعة فقد خُربت بعد ذلك أنظر ابن الأثير ١٠/١٥٢، ابن الجوزي ٩/١٥٠ ـ ١٥١، سبط ابن الجوزي ٨/١، ١٩ ـ ٢٠، الراوندي ٢٣٨ ـ ٢٤٦، البنداري ٩٠ ـ ٩١، رشيد الدين ٢/٥، ٦٩.

(2) كان أمير سباهسلار أنوش تكين شيركير حاكم مدينة ساوه وأبه وأعمالها. أرسل له السلطان محمد جيشاً لمحاصرة قلاع الاسماعيلية. مع مطلع جمادى الأولى ٥٠٥ هـ وحتى وفاة السلطان محمد قاد شيركير المعارك ضد الاسماعيلية وكاد يستولي على قلعة أَلَمُوت معقل الاسماعيلية، لكن وفاة السلطان أنقذ أَلَمُوت من السقوط. ابن الأثير ١٠/١٨٥ ـ ١٨٦، البنداري ١١٧، ١٢٣، ١٤٦ الراوندي ٢٤٧ .

وفي سنة احدى وخمس مائة ، قَتَلَ السّلطانُ غياث الدّين محمّد الأميرَ سيف الدّولة صدقة بن منصور بن دُبيس بن عليّ بن مزيد ، الملقّب بملك العرب ، بالنُّعمانيّة ، في وقعة جرت بينهما . وذلك أنّ السّلطان دخل بغداد في آخر شهر ربيع الآخر منها ، فَذُكر له عصيان الأمير سيف الدّولة صدقة . وبلغ سيف الدّولة الخبر ، فاحترز وجمع من متقطّعة الأكراد والأتراك والدّيلم والعرب عشرين ألف فارس . وكانت عساكر السّلطان قد عادت الى همدان ، وبقي في ألف مملوك من خواصّ مماليكه ، والأمير سيف الدّولة صدقة في الحلّة ، وقد وقع الشّتاء وحال بينهما الوَحْل . فعزم السّلطان على البعث اليه والتّرغيب له في دخول الطّاعة ، لما رأى قلّة من معه ، فأبى ذلك اسفهسلار عسكره ، مملوكه الأمير مودود وسائر المماليك ، وقالوا : لا يسمع عنّا بذلك ولا بدّ لنا من لقائه . فلمّا سمع السّلطان ذلك ، رحل الى الحلّة وزحف سيف الدّولة اليه ، قاصداً انتهاز الفرصة في السّلطان ترفع له صيتاً ! ونشبت الحرب بينهما في مكان كثير الوحل من النُّعمانيّة ، فلم يمكن الخيل « ٤٦ ـ أ » نيه النّهوض ، وترجّلت التّرك في ركاب السّلطان ، وزحفت الى عسكر سيف الدّولة صدقة بالنّشّاب ؛ فأفنوا الخيل والرّجال ، وفشي فيهم القتل والجراح . ورأى سيف الدّولة ذلك ، فعزم على الانهزام ، وظهر ذلك للأتراك فقاتلوا أشدّ قتال ، فانهزم سيف الدّولة صدقة وقُتل بسهم وقُتل أكثر من معه[1] . وعاد السّلطان غياث الدّين محمّد مظفّراً ، ولم يكن للمَزْيديّة

---

(١) أمير العرب سيف الدولة أبو الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مَزْيد الأسدي (١٠٤٩ ـ ١١٠٨) حاكم الحلة السيفية في العراق والتي كان قد بناها بنفسه عام ٥٩٣. عينه ملك شاه أميراً على قبائل بنو مزيد على الضفة اليسرى من دجلة. كان في البداية مع بركيارق ضد اخيه محمد ولكنه بعد ذلك وقف الى جانب أخيه محمد الذي عينه أميراً على قسم كبير من أراضي العراق منها واسط والبصرة. وكان السلطان قد سخط على صاحب صاوه وآبه أبي دلف سرخاب بن كيخسر الذي استجار بصدقة وهذا بدوره رفض تسليمه للسلطان. فوجه إليه السلطان جيشاً قتله في المعركة التي جرت في ٢ رجب ٥٠١ هـ أنظر =

مَلِك مثل سيف الدّولة صدقة [في] شدّة بأس وعظم كرم الاّ أنّه كان مفرط التّشيّع . ولابن الخازن[1] فيه من قصيدة يرثيه :

العيش في الدّنيا كرقدة حالم | وكأنّما الانسان طيف خيال
كم آملين سرت بهم خيل* المنى | فتعثّرت بحبائل الآجال
قد كان بحر ندًى وبدر دجنّة | وهزبر معركة وطود جلال
كم سلّها شمساً فأغمد ضوءها | شفقٌ تكاثف من دم الأبطال
ضحكت وجوه المال عند ثوائه | وبكت عليه أعين الآمال**
ومجالس كانت به مأهولة | بمتوّج متبلّج الأفعال
فبكيت للغمد المصاب بسيفه | والغيل أوحش من أبي الأشبال

وفي سنة احدى وخمس مائة سار ضياء الملك أحمد بن الوزير نظام الملك وزير السّلطان ومعه الأمير جاولي الى ألَمُوت ، فهزموا الباطنيّة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة[2] . وفي سنة ثلاث وخمس مائة ، طغت الكرج « ٤٦ ـ ب » على بلاد كنجه ، فأنهض اليهم السّلطان جيشاً كفّ أذاهم[3] .

---

* في الأصل : حبل .
** في الأصل : الأجال .
= ابن الأثير ١٠/١٥٤ ١٥٥ وابن خلكان ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٦ .

النعمانية ـ « بُليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة من أعمال الزاب الأعلى وهي قصبته وأهلها شيعة » ـ ياقوت ٥/٢٩٤ .

(١) أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق بن الخازن (١٠٧٨ ـ ١١٢٤) شاعر وكاتب معروف . عنه أنظر ابن خلكان ١/١٤٩ ـ ١٥١، ابن الجوزي ٩/٢٠٤، سبط ابن الجوزي ٨/١، ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) جرت الموقعة في محرم ٥٠٣. وقاد الحصار الوزير ضياء الملك أحمد بن نظام الملك، لكن الشتاء القاسي أوقف الحصار وعادوا دون تحقيق غرضهم. ابن الأثير ١٠/١٦٨ .

(٣) يؤكد هذا ابن القلانسي (١٦٨). تقدر المصادر التاريخية الجورجية تعداد جيش السلطان محمد بمئتي ألف فارس. أنظر بونياتوف ٢١١).

وفي سنة أربع وخمس مائة تزوّج أميرُ المؤمنين الامام المستظهر بالله ، أختَ السّلطان غياث الدّين محمّد طبر السّيّدة خاتون ، بنت السّلطان الأعظم جلال الدّنيا والدّين ملكشاه بن ألب ارسلان ، ودخلت الى بغداد في شعبان منها ، بمائة ألف دينار صداق . وظهر لها من الزّيّ والأموال والجواهر ما لم ير مثله قطّ ، ومن المماليك والحواشي والجواري والخدم والمراكب ما لم يُسْمع بمثله ، وَبَنَى بها في الشّهر[1] .

وأشرف الأمير شيركير على فتح أَلَمُوت ، لولا ما اتّفق من وفاة السّلطان وولاية ولده محمود . فاستدعى الأمير شيركير فرحل عن أَلَمُوت . ثمّ قبض عليه وقتله وقتل ولده عمر بن شيركير[2] ؛ وكان رحمه الله تعالى من أزهد الأمراء وأكثرهم ورعاً .

توفّي السّلطان غياث الدّين محمّد طبر بن السّلطان الأعظم جلال الدّنيا والدّين ملكشاه بن ألب أرسلان في حادي عشر ذي الحجّة سنة احدى عشرة وخمس مائة[3] . وتولّى السّلطنة عند وفاة أخيه السّلطان ركن الدّين أبي* المظفّر بركيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان في ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربع مائة ، فكانت مدّة سلطنته ثلاث عشرة سنة وأشهراً .

أولاده : محمود ، « ٤٧ ـ أ » طغرل ، مسعود ، سليمان شاه ، سلجوق شاه . تولّى السّلطنة كلّهم إلاّ سلجوق شاه .

---

* في الأصل : أبو .

(١) بلغ مهر السيّدة خاتون ١٣٢ جملاً و٢٧ بغلاً . أنظر سبط ابن الجوزي ٨/١ ، ٣٤ .

(٢) حالما توفي السلطان محمد ، دعا وزير محمود ـ قوام الدين أبو القاسم الدركزيني ، الذي كان يخدم سرّاً الباطنية ، إلى وقف شيركير عن حصار أَلَمُوت . ووشى بشيركير لدى محمود الذي وافق على قتله ، الأمر الذي تأسف عليه بعد ذلك . البنداري ١٤٦ ـ ١٤٧ ، ١٥٥ ـ ١٥٧ .

(٣) في ابن خلكان (٧٣/٥) أن السلطان محمد مات يوم الخميس في ٢٤ ذي الحجة ٥١١هـ .

وكان حسن السّيرة لما يصلح للسّلطنة ، مواظباً على العدل والعمارة وحفظ بيت المال والصّدقة[1] ، يرجع الى الدّين والعقل ، حسن الاعتقاد ، كثير البغض للباطنيّة والرّوافض ، ورَفَعَ المكوس[2] . توفّي سنة احدى [عشرة] وخمس مائة .

وزراؤه : قد ذكرنا في حياة أخيه السّلطان ركن الدّين بركياق ، أنّ السّلطان غياث الدّين محمّد طبر استوزر مؤيّد الملك بن نظام الملك في حياة أخيه السّلطان بركيارق ، الى أن قتلَ السّلطانُ بركيارق مؤيّدَ الملك بيده ، في المصافّ الّذي انهزم فيه السّلطان غياث الدّين محمّد طبر على حدّ همدان[3] . ولمّا فقد السّلطان وزيره تندّم عليه لحسن سيرته ، واستوزر ولده الأمير نصر بن مؤيّد الملك ، وكان عنده دراية في علوم الأوائل ، ولم تكن أيّامه محمودة الى أن توفّي السّلطان بركيارق[4] وولي السّلطنة السّلطان غياث الدّين محمّد طبر بعسكره . فاستوزر الوزير سعد الملك أبا المحاسن سعد بن محمّد الآبي ، وكان ديّناً خيّراً حسن التّدبير . وأقام معه الى أن تكلّم فيه قاضي أصفهان عبيد الله الخطيبي عنده وأخبره أنّه باطني وانكشف أمره فقتله السّلطان وصلبه[5] . واستوزر بعده الوزير

(١) حول تركة السلطان محمد الضخمة (١٠ ملايين دينار) أنظر ابن الأثير ٢٧٧/٨ ـ ٢٧٨، الراوندي ١٥٨، سبط ابن الجوزي ١/٨، ٦٩ ـ ٧٠، وغيرهم.

(٢) « في هذه السنة (٥٠١ هـ) في شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتب به الألواح وجُعلت في الأسواق ». ابن الأثير ١٦٠/١٠.

(٣) حول مقتل مؤيد الملك أنظر ابن الأثير ١٠٥/١٠.

(٤) في عهد الوزير سعد الملك، عُيّنَ نصيرُ الملك صاحبَ ديوان الانشاء، لكنه عُزل بعد ذلك. أنظر البنداري ٨٩، ٩٣، ٩٥.

(٥) كان الوزير سعد الملك أبو المحاسن قد قُتل في شوّال سنة ٥٠٠ هـ ـ وكان قاضي أصفهان عبيد الله الخطيبي أعْلمَ السلطان أن وزيره يدعم سرّاً الباطنية فاعتقل بهذه التهمة وصُلب على بوابة أصفهان بعد أن مكث ستتين و٩ أشهر وزيراً. ابن الأثير ١٥٣/١٠، البنداري ٩٠ ـ ٩٦، الراوندي ٢٤٤ ـ ٢٤٥. في ابن الجوزي (١٥٠/٩) صُلب سعد الملك في ٣ شعبان ٥٠٠ هـ.

ضياء الملك « ٤٧ ـ ب » أحمد بن نظام الملك ، وكان وصل يوم نكبة سعد الملك هو وخطير الملك أبو منصور محمّد بن الحسين الميبذي ، الّذي وزر للسّلطان بركيارق . فجعل دست الوزارة لابن نظام الملك ، والاستيفاء للخطير . وكان ضياء الملك وُلد ببلخ ونشأ بأصفهان ، ثمّ عزله السّلطان بعد مدّة وسلّمه الى الأمير الحاجب عمر بن قراتكين . وولي آخرون بعده ، واستدعى بعدهم من بغداد مَنْ ينصبه للوزارة . فأُحضر له الوزير ربيب الدّولة أبو منصور بن الوزير أبي شجاع ، فاستوزره السّلطان قبل وفاته بمدّة شهرين[1] . ولسديد الدّولة ابن الأنباري[2] كاتب الانشاء للخلافة يهجو ربيب الدّولة :

إنّ زمانا قد صرتَ فيه موشّحا بالوزارتين*

---

* في الأصل : للوزارتين .

(١) ضياء الملك أبو نصر أحمد بن نظام الملك تلقى لدى تعيينه وزيراً لقب والده: قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام.

في محرم ٥٠٣ هـ حاصر ضياء الملك قلعة أَلَمُوت بدون نجاح. وفي شوّال جُرح اثر هجوم بالسكاكين من قبل الباطنية. وفي سنة ٥٠٤ هـ استبدل نظام الملك أحمد بـ: الخطير محمد ابن الحسين الميبذي. أنظر ابن الأثير ١٦٨/١٠، ١٧٠، البنداري ٩٦ ـ ١٠٢، ابن الجوزي ١٦٣/٩، ١٦٨.

بعد الخطير وزّر أمير الحاجب عمر فاراتكين. بعده: ربيب الدولة أبو منصور بن شجاع محمد بن الحسين الهمذاني. وحول هؤلاء الوزراء نظم أبو طاهر الخاتوني:

كان حماراً وزيرُنا ومضى فيا بُمُلْك السلطان من خلل
لكننا في صدور دولتنا ليس لذاكَ الحمار من بدل

أنظر ابن الأثير ١٩٨/١٠، البنداري ١١٥ ـ ١٢٦.

(٢) سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم بن الأنباري كان كاتب انشاء في دار الخليفة. خدم لدى خمسة خلفاء وكثير من السلاطين منذ ٥٣٠هـ وحتى وفاته في ١٩ رجب ٥٥٨ هـ. كان يقرض الشعر. عاش حتى قارب التسعين عاماً. أنظر ابن الأثير ١١١/١١ الأصفهاني ١٤٠ ـ ١٤٤.

قد أسخن الله* كلّ عين فيه ولكن لا مثل عيني

ولمّا توفّي السّلطان غياث الدّين محمّد طبر ، انتقلت السّلطنة عن ملك العراق الى ملك خراسان . وذلك أنّ أخاه السّلطان معزّ الدّين أبا** الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب ارسلان لم يبق في البيت بعد السّلطان غياث الدّين محمّد طبر أكبر منه ولا أعظم مملكة ، فاستقرّت له السّلطنة بعد حروب جرت له مع السّلطان محمود بن السّلطان غياث الدّين محمّد طبر[1] . ومَلَكَ العراق [محمودٌ] بعد أبيه ، ووطىء بساط عمّه السّلطان معزّ الدّين سنجر ودام الأمر الى هلمّ جرّاً .

---

* في الأصل : يوجد « فيه » بعد « الله » .

** في الأصل : أبو .

(1) جرت أول موقعة كبيرة بين سنجر ومحمود في ٢ جمادى الأولى ٥١٣ هـ قرب مدينة ساوه. كان لدى سنجر ٢٠ ألف جندي و١٨ فيلاً أكبرهم يدعى « باذهو » ولدى محمود ٣٥ الفاً من الجنود. وقد آلت المعركة إلى هزيمة لمحمود الذي قبل أن يكون ولي العهد وأن يخطب أولاً لسنجر ثم له. وأعاد سنجر لإبن أخيه محمود جميع ما أخذه من البلاد سوى الريّ. ابن الأثير ١٠/١٩٣ ـ ١٩٥ والبنداري ١٢٥ وسبط ابن الجوزي ٨/١، ٧٧ ـ ٧٨.

كان يخطب لسنجر من كاشغر إلى اليمن، وفي الأناضول والقفقاز ومكة والطائف وعمان وكرمان. الراوندي ٢٦٠ والبنداري ٢٦٥. وكما للسلطان محمود كان للسلطان محمد سبعة أبناء: أحمد، طغرل، داوود، مسعود، سليمان شاه، سلجوق شاه، أغري بك، قزل أرسلان.

ذكر وصول السّلطان الأعظم معزّ الاسلام والمسلمين « ٤٨ ـ أ » الدّنيا والدّين ملك الحارث سنجر بن ملكشاه يمين عماد آل سلجوق أبي أمير المؤمنين من خراسان الى العراق وظفره وعفوه

لمّا مات السّلطان غياث الدّين محمّد طبر ، كان السّلطان الأعظم معزّ الدّين سنجر مستقرّ الأمر بخراسان ، قد قويت مملكته ، وتأيّدت دولته . والسّبب في مملكته خراسان أنّها كانت في أيّام والده السّلطان ملكشاه آمنة المسالك . فلمّا مات [و] وقع الاختلاف في تقديم ولده الأكبر السّلطان بركيارق ، وتقديم محمود ، ووقعت الحرب بينهما بالعراق على ما ذكرناه ، وانتهز الفرصة الملك ارسلان أرغون بن ألب أرسلان المقدّم الذّكر في أولاده ، وكان مُقْطَعاً في نواحي همدان وساوه ، على أخيه السّلطان ملكشاه بسبعة آلاف دينار . فحشد* واغتنم اشتغال وَلَدَي أخيه ، وانقسام الجند بينهما ، وسار إلى نيسابور وطلب تسليمها فامتنع أهلها . فمضى الى مرو فقاتلها ، فوافقه شحنتها الأمير قَوْدَن وسلّمها له . وتمادّت مملكته حتّى ملك بلخ ، وترمذ ، وصفت له خراسان عند صفاء السّلطنة للسّلطان بركيارق . فكتب السّلطان أرسلان أرغون الى السّلطان بركيارق أنّي قد ملكت مملكة جدّي الملك داود ، وأنّي بها قانع لا أتعدّاها ولا أتعرّض لغيرها ولا أدخل [الاّ] تحت كلّ ما تأمرني به . فأظهر السّلطان « ٤٨ ـ

* في الأصل : فاحتشد .

ب » بركيارق أنّه قبل منه ، ثمّ بدا له . فسيّر عمّه الآخر الملك بوري برس ملكاً على خراسان ، وضمّ اليه الأمير مسعود بن ماجر ، وأمير خراسان التونتاش . فوصل بوري برس الى حدود خراسان واجتمعت عليه* عساكرها واتفق أنّ التونتاش خاف من مسعود فقتله غيلةً وولدَه ، وغلب على تدبير بوري برس . واستوزر [بوري برس] عمادَ الملك أبا** القاسم بن نظام الملك ، ثمّ صافّ أخاه الملك ارسلان أرغون ، فهزمه الملك بوري برس . وعاد ارسلان أرغون الى بلخ منهزماً ، ومَلَكَ بوري برس مدينة مرو وأكثر خراسان .وحشد*** ارسلان أرغون أمماً من التّركمان ، واجتمع له جمع من الأجناد ، ونزل على مرو فحاصرها وملكها عنوةً وهدم سورها وقتل أكثر أهلها . وخرج بوري برس [من] هراة قاصداً لقاءه . فالتقيا على مرو ، فانهزم بوري برس وأسر وأحضر الى أخيه الملك ارسلان أرغون فاعتقله في ترمذ ثمّ خنقه[1] . وأخذ وزيره عماد الملك بن نظام الملك فصادره على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله ، وظلم أهل البلاد . ثمّ خرّب الملك أرسلان أرغون سور مرو ، وقلعة سرخس ، وقهندز نيسابور ، فخرّب كلّ حصن كان في خراسان . وسبب وفاته أنّه قام يوم الثّلاثاء السّابع عشر من صفر سنة تسعين وأربع مائة « ٤٩ ـ أ » ليتوضّأ ، ومعه صبيّ خصيّ لكنّه جبّار عصيّ ، فمسح أرسلان أرغون ذقنه ، فسلّ الخصيّ سكّينه وبعج بطنه ثمّ نزل من القصر وهو قصر مرو الشاهجان[2] فدلّ شحوبه**** على ما صدر منه فأخذه أصحاب النّوبة ، ثمّ

---

* في الأصل : اليه .

** في الأصل : أبو .

*** في الأصل : فاحتشد .

**** في الأصل : شجونه .

(١) حدث هذا في سنة ٤٨٨ هـ. أنظر ابن الأثير ٩١/١٠.

(٢) أنظر بالتفصيل حول هذه الأحداث: ابن الأثير ٩٠/١٠ ـ ٩١. والبنداري ٤٧، ٧٥، ٢٥٦ ـ ٢٥٨.

صعدوا القصر فوجدوا الملك أرسلان أرغون مقتولاً ، ولا مردّ لقدر الله وقضائه . فلمّا قُبض الغلام ، وقيل له : لم قتلته ؟ قال أردت [أن] أريح الخلق من ظلمه . وكان قتله في سنة تسعين وأربع مائة ، وكان عمره ستّاً وعشرين سنة .

وكان السّلطان بركيارق لمّا عرف استيلاء عمّه ـ على خراسان قلّدها لأخيه السّلطان سنجر ، ورتّب معه عسكراً ورحل السّلطان سنجر اليها . وورد الخبر إلى السّلطان بركيارق بمقتل عمّه ، فسار الى خراسان . ولّما وصل السّلطان سنجر الى دامغان ، بلغه الخبر أنّ أجناد عمّه قد نصبوا له ولداً صغيراً ، وأنّهم لّما علموا بمقدم السّلطان سنجر والسّلطان بركيارق تابعاً له ، مَضوا بالصّغير ، وهو ابن سبع سنين ، وهم معه خمسة آلاف فارس . وقد نهبوا خزائن والده الى ابن عمّه السّلطان بركيارق وسألوه إقطاعه ، فأقطعه نواحي همدان وولى أخاه خراسان . في هذه السّفرة ملك السّلطان بركيارق سمرقند ، وجرى له ما ذكرناه في سيرته .

ولّما سمع السّلطان بركيارق عن العراق أنّ مؤيّد الملك بن نظام الملك مضى الى اخراج أخيه السّلطان غياث الدّين محمّد طبر ، وقع له* من الوقائع انهزم فيها السّلطان بركيارق ، « ٤٩ ـ ب » وعاد في خمسين فارساً الى أصفهان ، ثمّ الى نيسابور . وكان السّلطان سنجر ببلخ مع عسكره ، وكانت خراسان قد استولى على أكثرها تركيّ يقال [له] : حبشي[1] ، وهو مقيم بالدّامغان وتحت استيلائه أكثر خراسان وطبرستان ، ومعه قلعة

---

* في الأصل : وقعة .

= مرو الشاهجان (في المخطوطة سادكان): « هذه مرو العظمى أشهر مدُن خراسان وقصبتها. بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخاً وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخاً » ياقوت ٥/١١٢ ـ ١١٣ .

ومرو تعني الحجارة البيض والشاهجان معناها نفس (روح) السلطان.

(١) اسمه الكامل: أمير داد حبشي ابن آلتون تاش.

كـردكوه . فنهـد السّلطان سنجر في عسكـره وصحبتـه الأميـران كنـدكـز وارغش من بلخ قاصداً قتـاله في عشـرين ألف فارس ، وانضـاف اليه من الباطنيّة خمسة آلاف هم [أصحاب] اسمٰعيل الكلكلي صـاحب طبس . وقويت قلوب السّنجريّـة بمجيء السّلطان بركيـارق إلى نيسابـور ، والتقوا مـع حبشي فكانت الكـرّة عليهم ثمّ انهزم بعد ذلـك حبشي ، وهـرب إلى بعض القرى . فأُدرك وأُخـذ وحُمل الى السّلطان سنجـر فقتله بعد أن بـذل عن* نفسه مائة ألف دينار[1] . واستقام أمر السّلطان سنجر بخراسان إلى أن مـات أخوه السّلطان بـركيـارق [و] صَـفـت السّلطنـة للسّلطان غيـاث الدّين محمّد طبر ، فزادت قوى مملكته الى أن مـات السّلطان محمّد ، وولي السّلطنـة بالعـراق ولده السّلطان مغيث الـدّين محمود ، فجـرى على حُكم آبائه ، أنّ السّلطنة العظيمة تكون لملك العراق . وكان مدبّر أمـر السّلطان محمود الحاجب علي بار بن عمرو ، وكاتبه أبو القـاسم الدّركـزيني[2] ؛ فأغروا السّلطان « ٥٠ ـ أ » محمـود بعمّه السّلطان سنجـر ، وألجأوه الى أن يأمر اسمٰعيل الطّغرلي[3] بأن يكتب الى خان سمرقند يُخبرهم فيه أنّـه قد عزم على منابذة عمّه ، ودخول بلاده ؛ فان هو تحرّك الينا فتحرّكوا أنتم من ورائه وخذوا ما أردتم من بلاده .

---

* في الأصل : في .

(١) حسب ابن الأثير (١٠٣/١٠) فإن الأمير داذ وقع في يـد بعض التركمـان، فعرض عليهم مبلغ مائة ألف دينار فلم يطلق وحمل إلى الأمير بوزغش الذي قتله.

عن أحداث ٤٩٣ هـ أنظر ابن الأثير ١٠١/١٠ ـ ١٠٤ . والبنداري ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

طبس: مدينة في برّية بين نيسابور وأصبهان وكرمان. يـاقوت ٢٠/٤. وهي إحـدى قلاع الاسماعيلية في خراسان.

(٢) حاجب السلطان محمود يـدعى محمد بن علي بن بار بن عمـر. الراونـدي (٣٠٠). قوام الدين أبو القاسم الدركزيني كان وزير السلطان محمود.

(٣) في البنداري (١٢٠) بدلاً من: اسماعيل الطغرلي ـ « كاتب الانشاء الشهاب أسعد ».

وكان التّدبير في العراق قد فسد واضطرب الأمر ، وغلب الحاجب المذكور ، وتفرّقت الأمراء . وبلغ السّلطان سنجر ما تمّ بالعراق من اختلاف الأهواء والفساد ، وما أشاروا على ابن أخيه ، فتحرّك من خراسان قاصداً بلاد الرّي ، وجمع السّلطان محمود عسكره واسفهسلاريّته علي بار الحاجب وأتابك منكوبرس[1] . والتقوا في سنة اثنتي عشرة وخمس مائة ، فانهزم عسكر السّلطان محمود وقُتل منه جماعة[2] . ولّما انهزم العسكر سيّر السّلطان سنجر إلى ابن أخيه السّلطان محمود ، وطمنه وأخبره أنّه إنّما جاء لاصلاح أمره ، وازالة الأمراء المنكرين عليه وتوكيد عهده والرّجوع عنه . وكان الوزير نظام الدّين كمال الملك السُّميرمي[3] قد ورد [على] السلطان محمود ، فدخل عليه وقال له : هذا [عمّك] وهو [في] مقام والدك والكبير [في] البيت ، والرّأي موافقته ، وأنا أسير اليه عنك ، وأصلح الحال بينكما . فسيّره فمضى من أصفهان قاصداً الرّي لحضرة السّلطان سنجر . وبلغ السّلطان سنجر [أنّ] وزير ابن أخيه قد جاء رسولاً في الصّلح ، فأكرمه « ٥٠ ـ ب » اكراماً لم يقع في باله واجتمع معه في أمر الصّلح . وأقام [الوزير] في المخيّم السنجريّ ، وسيّر [السّلطان سنجر] الى السّلطان محمود رسولاً من عنده . فأقبل [محمود] من أصفهان واجتمع معه وزيره قبل لقياه لعمّه السّلطان سنجر ، وأوصاه أنّه اذا دخل على عمّه أن يترك رسوم السّلطنة من النّوبة الحمراء ، وينزل في نوبتين سوداء وبيضاء ، ويُبطل ضرب الخمس نوب ، ويقبّل الأرض

---

(١) الحاجب علي بار والأمير منكوبرس قُتلا على يد السلطان سنجر في ٥١٣ هـ. (ابن الأثير ١٠/١٩٦ - ١٩٧).

(٢) حول هذه المعارك أنظر كذلك البنداري ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٣) اسمه الكامل: قوام الملك نظام الدين أبو الحسن علي بن أحمد السميرمي. في بداية عمله كان نائباً للوزير وبعدها وزير زوجة السلطان محمد ـ جوهر خاتون. أنظر عنه في البنداري ١٢٨ وما بعدها.

اذا دخل عليه ، ويقف ويمشي في ركابه من الباركاه الى السّرادق ، وأنّه لا ينفرد عن عمّه بوطاق بل ينزل في جوار خيمته . ففعل ذلك وخلع عليه عمّه السّلطان سنجر وأكرمه وولّاه البلاد ، وقتل قراتكين القصّاب ، وأتابك منكوبرس ، وخلع على علي بار بشفاعة السّلطان محمود ، وعلى وزيره الكمال السُّميرمي ، وعلى كاتب علي بار أبي* القاسم الدّركزيني . وعاد الى خراسان بعد أن أفرد من البلاد لنفسه مازندران وطبرستان وقومس والدّامغان والرّي ودُنباوند معه الى خراسان . [و أكرم] أخا السّلطان محمود ، الملك طغرل ، وجعل له ساوه وآوه وسارق وسامان وقزوين وأبهر وزنجان وكيلان والدّيالم والطّالقان . وقرّر لأخيه الملك سلجوقشاه بلاد فارس كلّها ، وسلّمها اليه ولأتابكه قراجا السّاقي وأضاف اليها بعض بلاد أصفهان .

وكان السّلطان « ٥١ ـ أ » سنجر موفّقاً في جميع تصرّفاته ، مظفّراً في غزواته ، إلاّ أنّه جرت عليه نوبتان عظيمتان في عمره سأشرحهما . وملك ممالك عظيمةً لم يملكها أحد من قبله ولا من بعده ، إلاّ ما كان من والده السّلطان ملكشاه . وذلك أنّه لمّا استقرّت له خراسان عند استيلاء أخيه السّلطان محمّد طبر على بلاد العراق في أوّل أمره ،والسّلطان بركيارق حيٌّ ، وقع في ذهن قدرخان صاحب ما وراء النّهر ، أنّه إن عبر إلى خراسان ملكها ، لصغر سنّ السّلطان سنجر . وكاتبه الأمير كندكز يُطمعه فيها ، فعبر النّهر في مائة ألف عنان قاصداً لقاء السّلطان سنجر وجمعه . ولمّا قرب العسكران خرج قدرخان من عسكره في جريدة من خواصّة يتصيّد ، وأتى بعض الدّهاقين فأخبر السّلطان سنجر . فانتهز الفرصة وسيّر اسفهسلار عسكره يرغش في عسكر لقصد الجهة التي هو فيها ، فوقع عليه فأسر هو ومن معه وأتى به حتّى أوقفه بين يدي السّلطان سنجر . فأخذ يعاتبه

---

* في الأصل : أبو .

فاعتذر ، فلم يقبل عذره وضرب عنقه وتفرّق جيشه أيدي سبا[1] . ثمّ أخذ السّلطان سنجر في فتح بلاد ما وراء النّهر ، واشتغل عنه أخوه السّلطان محمّد طبر بأمر العراق .

ووصل إلى حضرة السّلطان سنجر الملك بهرام شاه ، من نسل السّلطان الغازي محمود بن سبكتكين ملك غزنة ، « ٥١ ـ ب » واستجار به على أخيه ابراهيم ملك غزنة ، فأجاره وجهّز العساكر وحشد* . وبلغ ذلك السّلطان محمّد طبر فلم يرضه وسيّر اليه وقال : يا أخي لا تفعل فإنّ

---

* في الأصل : احتشد .

(١) جرت هذه الأحداث في ٤٩٥ هـ. يذكر ابن الأثير ١٠/١٢١ :

« فلما وصل (سنجر) إلى نيسابور خطب لأخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند في خراسان لبعده عنها وجمع عساكر تملأ الأرض قيل كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان أمير من أمراء سنجر اسمه كندغدي قد كاتب قدرخان بالأخبار وأعلمه مرض سنجر بعد عوده إلى بلاده وأنه قد أشفي على الهلاك وقوي طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر وأشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وأنه حتى أسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان وأقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفي فبادر وسار نحوه قاصداً قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدي المذكور وهو لا يتهمه بشيء مما فعل فوصل إلى بلخ في ستة آلاف فارس فبقي بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيام فهرب كندغدي الى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده إلى ترمذ فملكها وكان الباعث لكندغدي على ما فعل حسده للأمير بزغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العكسران أرسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ إلى قوله وأذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان. فكان لا يخفي عنده شيء من خبره فأتاه من أخبره أنه نزل بالقرب من بلخ وأنه خرج متصيداً في ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الأمير بزغش لقصده فسار إليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع قدرخان فانهزموا وأسر كندغدي وقدرخان وأحضرهما عند سنجر فأما قدرخان فإنه قبّل الأرض واعتذر فقال له سنجر إنْ خدمتنا أو لم تخدمنا فما جزاؤك إلا السيف ثم أمر به فقتل فلما سمع كندغدي الخبر نجا بنفسه ونزل في قناة ومشى فيها فرسخين تحت الأرض على ما به من النقرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق أصحابه إلى مخرجها وسار منها في ثلاثماية فارس إلى غزنة » أنظر كذلك البنداري ٢٦٢ .

هذا بيت كبير لا تقصده . فأبى وتمّ الى غزنة ، ومعه بهرام شاه ، وخرج ابراهيم منها في عساكره ومعه خمسون فيلاً عليها الرّجال والرّماة . ولمّا التقى العسكران ، نفرت خيول عسكر السّلطان سنجر من الفيلة ، حتّى كادت تكون هزيمة . فترجّل الأمير أبو الفضل صاحب سجستان[1] ، وكان أشجع خلق الله ، فقاتل حتّى وصل الى الفيل الأكبر ودخل تحت جنبه ، وضربه بخنجر كان أعدّه ، فصاح وولّى ظهره ، وتبعت الفيلة صياحه وانهزمت ، [و] حمل عند ذلك العسكر السنجريّ فانهزم العسكر الغزنويّ . وثمّ السّلطان سنجر فدخل غزنة وملكها ، وأخذ أموالها وخزائنها ،وكانت منذ فتحها السّلطان محمود بن سبكتكين بكراً لم تُفتح . ثمّ أجلس بهرام شاه على تختها ، وأوصاه ، وقرّر عليه أن يحمل كلّ سنة الى خزانة السّلطانيّة السّنجريّة مائتين وخمسين ألف دينار ، وكان فتحها في سنة عشر وخمس مائة[2] . وسيّر إلى السّلطان محمّد طبر كتاب البشرى ، وكان محمّد في مرضه الذي مات فيه وتوفّي بعد ذلك بسنة . وملّك العراق

---

(١) تاج الدين أبو الفضل ناصر بن بغا الدولة خلف بن أبو الفضل نصر بن أحمد (مات في ١١٦٣) كان صاحب سجستان من ١٠٨٧ ـ ١١٦٣. كان شجاعاً ومقرّباً للسلطان سنجر. أنظر الراوندي ٦٥، ١٦٨، ١٧٠. رشيد الدين ١/٢، ٨٢. الجوزجاني ١/٢٧٦، ٢٧٧ .

(٢) في شوال ٥٠٨ مات حاكم غزنة علاء الدولة أبو سعد مسعود ابن ابراهيم وخلفه ابنه ارسلان شاه (أمه ـ مهد العراق ، كانت أخت ألب ارسلان) وهذا نفي الى احلق القلاع جميع أخوته ما عدا بهرام شاه الذي هرب الى خراسان عند سنجر . وأرسل سنجر رسالة الى ارسلان شاه ، بهذا الخصوص ، لكنها بقيت دون اجابة . فتجهز سنجر للمسير الى غزنة فأرسل ارسلان شاه الى السلطان محمد يشكو من أخيه سنجر . فارسل السلطان الى أخيه يأمره بمصالحة ارسلان شاه . غير أن المعركة بين سنجر وارسلان شاه جرت في صحراء شهر اباد قرب غزنة . وكان لدى ارسلان شاه ٣٠ ألف جندي و١٢٠ فيلاً ، لكنه انهزم وفي ٢٠ شوّال ٥١٠ هـ دخل سنجر غزنة ، وخطب له وللسلطان محمد وبهرام شاه . أما ارسلان شاه فقد هرب الى الهند ، لكنه بعد ذلك أسر وخُنق في جمادى الثاني ٥١٢ هـ وكان عمره سبعة وعشرين سنة . انظر بالتفصيل : ابن الأثير ١٠/١٧٧ ـ ١٧٩ . البنداري ٢٦٢ ـ ٢٦٣ . الجوزجاني ١/١٠٧ ـ ١١١ .

« ٥٢ ـ أ » السّلطان محمود بن محمّد طبر ابن أخيه بعد أن أطاعه ، [وقصد سنجر بعد ذلك] سمرقند ، وكان صاحبها أحمد خان من أعظم سلاطين التّرك . كان له اثني عشر ألف مملوك معدودين في الشّجعان ، وكان قد قمع التّرك ، وتوغّل في بلاد الخركاوات مسافة شهرين . وحاصرها السّلطان سنجر ستّة أشهر وألجأ صاحبها [الى] أن خرج اليه ، وكان قد فُلج محمولاً في محفّة يحملها المماليك . فأجلس بين يديه ساعةً وهو لا يقدر يتكلّم ، ولعابه سائل ، وشدقه مائل للكبر والفالج . ثمّ حُمل الى دار الحرم ، للقرابة بينه وبين تركان خاتون زوجة السّلطان سنجر . وولّى السّلطان سنجر ولده نصرخان وأجلسه على سرير [ملكه]* وانصرف[1] . وغدر بهرام شاه صاحب غزنة بعهد السّلطان سنجر ، للبُعد الّذي بينه وبين السّلطان سنجر . [فنهض] اليه وجمع عساكره ، ولمّا وصل الى بُسْت ، عُسر عليه الوصول ، وحالت الوحول وقويت

---

* غير مقروء في الأصل .

(١) بعد مقتل صاحب سمرقند قدرخان استدعى السلطان سنجر من مرو قاراخند أرسلان خان بن سليمان بن داوود وبغراخان وعيّنه حاكماً على سمرقند. بعد عدة سنوات أصيب أرسلان هذا بفالج فعينّ بدلاً منه ابنه المعروف بنصر خان وكان شهماً شجاعاً. وكان بسمرقند انسان فقيه هو حسن الشريف الأشرف بن محمد العلوي إليه الحلّ والعقد والحكم في البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصرخان فقتلاه ليلاً وكان أبوه محمد خان غائباً. وكان لمحمد ابن آخر استدعاه على عجل. ولما خرج العلوي ورئيس البلد لاستقباله قَتَلَ الأولَ في الحال وقبض على الرئيس. وكان محمد خان قد أرسل إلى سنجر للمجيء ولما ظفر الابن بالعلوي والرئيس أرسل محمد إلى سنجر يسأله العودة لأن الأمر قد تمّ. فغضب سنجر واحتل خراسان عنوة بعد ٤ أشهر من الحصار في ربيع الأول ٥٢٤ هـ. وسلم سنجر البلد إلى الأمير حسن تكين. لكن هذا مات بعد مدة فعُهد بالمدينة إلى محمود بن محمد خان بن سليمان بن داوود. أنظر ابن الأثير ١٠/٢٣٥ ـ ٢٣٦. الراوندي ٢٥٧، رشيد الدين ٢/٥، ٨٠.

حملة سنجر إلى سمرقند التي يتحدث عنها مؤلفنا الحسيني هنا وحصاره ستة أشهر لها حصلت في سنة ٥٣٥ هـ. ومن الواضح أن الحسيني يخلط هنا بين تاريخ حملة سنجر إلى سمرقند وبين الأحداث التي جرت أثناء حصار المدينة.

الأشتية وقلّت العلوفة . فما اكترث لذلك السّلطان سنجر بل صمّم وسار اليها ، والتّبن في عسكره أعزّ من التّبر . فلمّا أشرف على غزنة ، تركها بهرام شاه وهرب ، وتمّ الى لهاوُور*. ومانع أهل غزنة عنها ،ففتحها السّلطان سنجر ونهبها وأخربها ، ثمّ نادى بالأمان . وأقام فيها حتّى عمّرها وأصلح أُمورها وولاّها من قبله . ثمّ انصرف الى خراسان[1] ، وقد أصبح أعظم ملك « ٥٢ ـ ب » ملّكه الله ، يُدعى له من لهاوُور*وغزنة وسمرقند الى خراسان وطبرستان وكرمان وسجستان وأصفهان وهمدان والرّي وأذربيجان وأرمينية وأرّانية وبغداد والعراقين والموصل وديار بكر و[ديار]ربيعة والشّام والحرمين . وتُضرب له السّكّة في هذه الأقاليم وبلادها ، وتطأ بساطَه ملوكُها . ودام أمره كذلك الى سنة ستّ وثلاثين وخمس مائة ، فكسره الخطائيّ كسرة عظيمة ، وزالت يد المسلمين عن ما وراء النّهر[2] . والسّبب ذلك أنّ خيول قَرْلُق انتشرت في نواحي سمرقند ، وكثرت أعدادهم ومواشيهم ، وخيفت مضرّتهم وثوراتهم . فأشار الاسفهسلاريّة الأمراء على السّلطان بابعادهم وطردهم وسَبْي ذراريّهم . فأرسلوا اليه ، وبذلوا له الخدمة بخمسة آلاف** فرس، وخمسين ألف رأس من الغنم . فلم يقبل وأدّاهم الحال الى أن مضوا ودخلوا بلاد

---

* في الأصل : نهاوند .

** في الأصل : بخمسة ألف .

(١) سار السلطان سنجر من خراسان إلى غزنة لإخضاع بهرام شاه في ذي القعدة من سنة ٥٢٩ هـ. ابن الأثير ١١/١١ .

(٢) سار سنجر إلى خوارزم شاه علاء الدين آتسز بن محمد (١١٢٧ ـ ١١٥٦) في محرم ٥٣٣ هـ. انهزم آتسز وهرب. أما ابنه اتليق فقد أُسر ثم قُتل بناء لأمر سنجر.

بعد خروج سنجر عاد آتسز إلى خوارزم تابع سياسة العصيان على نسجر حتى عام ٥٣٦ هـ عندما هُزم سنجر على يد الخطا الأتراك « فبعث خوارزم شاه إلى الخطا وهم بما وراء النهر يطمعهم في البلاد ويروّج عليهم أمرها وحثّهم على قصد مملكة السلطان سنجر ». ابن الأثير ٣١/١١.

الترك وقصدوا حضرة كورخان* صاحب خطا وختن ونعيا[1] ، وكان أعظم كفّار التّرك وأكثرهم قوّة ، ينفذ أمره إلى حدود الصّين . فلمّا وصلوا اليه ، أخبروه بأنّ السّلطان الأعظم معزّ الدّين سنجر قد ضعف ، واختلفت أجناده ، وشوّقوه الى تلك البلاد . فسار الخطائيّ قاصداً لقاءه في سبع مائة ألف عنان « ٥٣ ـ أ » من أشدّ عساكره ، ورحل السّلطان اليه بسبعين ألف فارس[2] ، وكان الأمراء غير متّفقي النّيات ، فالتقوا واقتتلوا ، وانهزم عسكر السّلطان سنجر ، وبقي هو واقفاً في عدد قليل تحت الجتر[3] . فقال له الملك أبو الفضل ملك سجستان ، انّ العساكر قد انهزمت وعساكر الكفّار قد حفّت بك والرّأي أن تنجو** بنفسك ، وأوقف المملوكَ مكانك تحت الجتر . ففعل ولم يزل واقفاً حتّى أُسر ، وأُسرت الملكة تركان خاتون بنت ارسلان خان زوجة السّلطان سنجر ،

---

* في الأصل : أورجان .

** في الأصل : تنجي .

(١) في أيار ١١٣٧ قصد قارا خطا ما وراء النهر وكسر جيوش محمد خان الذي كان قد أتى لمساعدة سنجر . حشد السلطان جيشاً كبيراً من حوالي مئة ألف فارس في ذي الحجة ٥٣٥ هـ . وكان أول ما يريد سنجر الفار غلية الذين كانوا السبب الأكبر في عدم استقرار ما وراء النهر . وهؤلاء كانوا قد انضموا الى كورخان الصيني فأقام سنجر بسمرقند فكتب إليه كورخان كتاباً يتضمن الشفاعة في الأتراك الفار غلية ويطلب منه أن يعفو عنهم فلم يشفعه فيهم وكتب إليه يدعوه إلى الإسلام ويتوعده ان لم يستجب واقتتلا في ٥ صفر ٥٣٦ هـ في قطوان . وأسفرت المعركة عن هزيمة سنجر . ابن الأثير ١١/٣٢ ـ ٣٣ . البنداري ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

(٢) حسب ابن العبري (٢/٣٧٦) كان لدى كورخان ٣٠٠ ألف جندي ، ولدى سنجر مئة ألف .

(٣) في ابن العبري (٢/٣٧٦) أن السلطان سنجر هرب مع ستة فرسان فقط أما المئة ألف الباقين فقسم قتل وآخر أُسر . أما ابن الأثير (١١/٣٣) فيذكر أن مجموع قتلى وجرحى المسلمين في وادي ديرغم كان حوالي عشرة آلاف جندي . أنظر كذلك البنداري ٢٧٦ ـ ٢٧٨ والراوندي ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

والأمير قماج وابنه ، والأمير سنقر العزيزيّ . وقُتل الأمير أيلق[1] ، والأمير قريش بن زنكي ، والأمير عمر بن أنر ، والأمير يرنقش القاري ، والأمير محمود الكاشاني . ولم يزل الى أن فُديت زوجة السّلطان تركان خاتون بخمس مائة ألف دينار ، والأمير قماج وابنه فُديا بمائة ألف دينار[2] . وكان التجأ الى كورخان قبل المصافّ الأمير السّيّد الاسفهسلار الملقّب بالسّيّد الجليل السّمرقندي فقال فيه بعض الأفاضل :

أليس من الفحشاء أن يلبس امرؤٌ ملابسَ لا يرضى بها مؤمن تقي
يعزّ على الدّين الحنيفيّ أن يُرى سليلُ رسول الله في زيّ قرلق

وامّا الملك أبو الفضل ملك سجستان ، فإنّ كورخان الكافر علم استيلاء أولاده على بلاده فأطلق سراحه . وقال : مثل هذا البطل « ٥٣ - ب » لا يُقتل[3] . واستولى هذا ، كورخان الكافر ، على ما وراء النّهر ودامت مملكة الخطا له[4] . وكان القتال بموضع يقال له قطوان ؛ فطاف بهم كورخان حتّى ألجأهم الى وادي درغم ، وذلك يوم الثّلثاء خامس من شهر صفر سنة ستّ وثلاثين وخمس مائة[5] . وسار السّلطان سنجر الى

(١) كان الأمير أيلق ـ رئيساً لديوان المظالم. النسوي ٢٧٦ .

(٢) حسب الراوندي (٢٦٤) فقد افتديت تركان خاتون بعد سنة بـ ٥٠٠ ألف دينار.

(٣) حسب الراوندي (٢٦٤) فإن تاج الدين أبو الفضل ملك نيمروز وقف مكان سنجر هذا وحارب حتى أُسر بحيث أعجب الخطا ببطولته. فأخذوه إلى كورخان الذي أبقاه سنة إلى جانبه ثم أطلق سراحه.

(٤) بعد انتصار الخطا على سنجر فقد السلاجقة سيطرتهم على ما وراء النهر وبعد استيلائهم على البلخ امتدت سلطتهم على الضفة الشمالية لنهر أموداريا.

(٥) قطوان ـ قرية على بعد خمسة فراسخ من سمرقند (ياقوت ٤/٣٧٥).

ذيرغم: من أعمال سمرقند. ياقوت (٢/٤٥١).

انتشر نبأ هزيمة سنجر على يد كورخان بسرعة في العالم الاسلامي وخارجه. وفي الدُوَل الأوروبية، وسط الصليبيين، ذاع صيت أحد الحكام ـ يوحنا، الذي كان يُنظر إليه من =

بلخ وكان قد مرّ بين يدي كور خان لانسداد سائر الطّرق وقد عرفه كور خان ، ولكن خلّى سبيله وقال : سَدُّ الطّريق للمنهزم يضطّره الى قتال لا بقاء فيه ، ومن يئس من حياته لا يفكر في العواقب ، ربّما ينال الظّفر بما يدفع عن نفسه . ثمّ قُتل بعد المصافّ بين يدي كور خان السّيّد الامام شرف الزّمان الايلاقي ، والحكيم السّمرقندي والصّدر الامام الشّهيد حسام الدّين عمر بن برهان الدّين عبد العزيز[1] . وقال الشّيخ فخر الدّين الممالكي في تلك الواقعة :

أُريق دماءهم بيد اللّئام ... بوادي درغم سُقِيَتْ كرام
بأجفان مؤرّقة نيام ... بكيتهم وحُقّ لهم بكائي
غداة المزن أذيالَ الخيام ... فتحسبها وقطر الدّمع فيها[2]

وكان السّلطان سنجر عند رحيله للقاء الخطا ، انتهز خوارزمشاه علاء الدّين اتسز بن محمّد بن انوشتكين فرصة « ٥٤ ـ أ » اشتغاله ، فدخل مرو عنوةً وقتل وجوه أهلها ، وجلس على تخت السّلطان سنجر ، ومدّ الطّغراء ونقل من خزانة السّلطان سنجر صناديق جواهر[3] . ولمّا عاد

= ناحيتهم كحليف ممكن ضد العالم الاسلامي. بالنسبة للخرافة عن يوحنا، فقد كتب العديد من المؤلفات. أنظر بونياتوف ٢١٥ ـ ٢١٦.

في البنداري (٢٧٨) أن معركة قطوان جرت سنة ٥٣٢ هجرية

(١) الصدر حسام الدين عمر بن برهان الدين عبد العزيز بن مازة البخاري ـ الممثل الثاني لسلالة ورثاء رؤساء بخارى. وقد حمل رؤساء بخارى لقب: صدر جهان. وكانوا حكام المدينة الفعليين وجمعوا الضرائب من الناس. أنظر بونياتوف ٢١٦.

(٢) أبيات فخر الدين خالد بن الربيع المالكي ترد في ياقوت ٢/٤٥١. ولكن بدلاً من سقيت ترد: شقيت وبدلاً من نيام ترد: دوام. وبدلاً من بكيتهم: بكيت لهم.

(٣) مستغلاً هزيمة سنجر في قطوان، قصد خوارزم شاه آتسز خراسان. وفي مطلع ربيع أول ٥٣٦ هـ احتل سرخس وفي ١٧ ربيع الأول وبعد معركة دامية مع أهلها دخل مرو. وقتل معظم وجهائها واستصحب معه إلى خوارزم عدداً كبيراً من علماء مرو. في شوّال من السنة =

السّلطان منهزماً عرف خوارزم شاه علاء الدّين اتسز أنّ القدر لا يؤاتيه ، فرجع الى خوارزم ، ووصل السّلطان سنجر الى مرو وكان قد أنفق في غزاته ثلاث آلاف* ألف دينار ، سوى ما وهبه من الخلع والتّشريفات . فجمع أجناده ومضى الى خوارزم شاه[1] ، ووصل السّلطان سنجر الى قلعة هزارسف فحاصرها ورماها بالمنجنيقات وطال الحصار حتّى فتحها عنوةً[2] . ثمّ ردّ خوارزم شاه علاء الدّين اتسز [إلى سنجر] الصّناديق

= نفسها استولى على نيسابور وقطع خطبة سنجر وخطب له فحدثت فتنة إلى أن عادت الخطبة باسم سنجر في أول محرم ٥٣٧ وعمل جيش آتسز بخراسان أعمالاً عظيمة ومنع السلطان من مقاتلة آتسز خوارزم شاه لأجل قوة الخطا بما وراء النهر ومجاورتهم وملك خوارزم شاه هذه البلاد وغيرها من خراسان . (ابن الأثير ١١/٣٤) .

بعد ذلك عاد آتسز إلى خوارزم وعقد مع الخطا اتفاقاً يدفع لهم بموجبه ٣٠ ألف دينار خراج كل سنة .

رشيد الدين وطواط.شاعر بلاط آتسز نظم بمناسبة صولات آتسز في مناطق خراسان قصيدة مطلعها:

ملك آتسز تبخت ملك برآمد
دولت سلجوق وآل أو برآمد

أي :

ملك آتسز أخذ عرش المملكة
وسعادة سلجوق وسلالته انتهت

(الجويني ٢/٧) بالفارسية

* في الأصل : ثلاث ألف .

(١) وقعت الحملة في جمادى الثاني ٥٤٢ هـ. الجويني ١/٢٨٢ .

(٢) هزاراسب (بالفارسية: ألف فرس): هي قلعة حصينة ومدينة جيدة. الماء محيط بها كالجزيرة. بينها وخوارزم ثلاثة أيام. (ياقوت ٥/٤٠٤). أنظر كذلك زكريا القزويني ٥٦٧ : « مدينة كبيرة وقلعة حصينة بأرض خوارزم » .

استمر حصار سنجر لهذه القلعة شهرين. شاعر بلاط سنجر أوحد الدين محمد بن علي بن اسحق الأنوري (؟ - ١١٦٨ م) خلّد مشاركته في حصار هزاراسب وكتب الأبيات التالية : =

الّتي كان أخذها بختمها السّنجري ، وركب ووقف بازاء السّلطان سنجر [من شرقيّ جيحون ، ونزل بحيث يُرى وقبّل الأرض وتقبّل الفرض[1] . وعاد سنجر]* الى خراسان ولم يزل أمره يعلو الى سنة ثمان وأربعين وخمس مائة .

أي شاه همه ملك زمين حسب تراست
وزو دولت واقبال جهان كسب تراست
امروز بيك حمله هزاراسب بگير
فردا خوارزم وصد هزاراسب تراست
(الجويني ٢/٨)

ومعناه :

أوه أيها الشاه (سنجر) كل ممالك العالم لك
بالحظ والسعادة، العالم ـ ملك لك
لتأخذ اليوم بهجمة واحدة هزارأسب
وغداً خوارزم ومئة ألف فارس سيكونوا لك
أما رشيد الدين وطواط الذي كان موجوداً أثناء حصار هزاراسب.

فكتب :

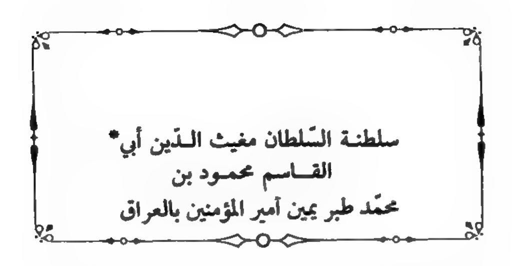
گرخصم تو اي شاه شود رستم گرد
يك خرز هزاراسب تونتواند برد
(الجويني ٢/٨)

ومعناه :

أوه أيها الشاه (آتسز) لو كان عدوك البطل رستم نفسه
فهو لن يستطيع أخذ حمار واحد من خيولك الألف.
وقد أراد سنجر دائماً مجيء الوطواط عنده. لكن هذا لم يذهب إلا بعد أن ذهب غيظه وصفح عنه سنجر.

* العبارة من البنداري (٣٨١) .

(١) جرى هذا في ١٢ محرّم ٥٤٣ هـ. الجويني ٢٤٨/١ .



سلطنة السّلطان مغيث الدّين أبي* القاسم محمود بن محمّد طبر يمين أمير المؤمنين بالعراق

جلس على التّخت عند وفاة والده(1)، واتّفقت وفاة أمير المؤمنين المستظهر بالله أبي* العبّاس(2) وخلافة المسترشد بالله أبي* منصور الفضل فبعث اليه بعهده، ودبّر السّلطنة بين يديه الأمير الحاجب علي بار. وجرى للسّلطان محمود ما جرى مع عمّه السّلطان سنجر كما قُدّم، « ٥٤ ـ ب » ووطىء بساطه وخدمه وولّاه السّلطان سنجر من قبله. وفي سنة ثلاث عشرة وخمس مائة جرى بين الأخوين: السّلطان مغيث الدّين محمود وبين الملك غياث الدّين مسعود، مصافّ بقرب همدان، وكان النّصر فيه للسّلطان محمود(3). وذلك أنّ مسعوداً كان مسلّماً الى الأمير جوشبك، وهو أتابكه بالموصل(4)، وعسكر الشّام وديار بكر في خدمته،

* في الأصل: أبو.

(1) وذلك في ٢٤ ذي الحجة ٥١١ هـ. ابن الأثير ١٠/١٨٤.

(2) توفي الخليفة المستظهر بالله في ١٦ ربيع الثاني ٥١٢ هـ.

(3) هكذا أيضاً عند البنداري (١٣٢). أما عند ابن الأثير (١٠/١٩٩ والأتابكية ـ ٢٢ ـ ٢٣) وابن الجوزي (٩/٢١٧)، وسبط ابن الجوزي(٨/١، ٨٩ ـ ٩٠)، فإن الموقعة حدثت سنة ٥١٤هـ. أما عند ابن العبري (٢/٣٥٦) ـ فعام ٥١٥هـ.

(4) في البداية، كان آتابك مسعود هو قسيم الدولة سيف الدين أبو سعيد اقسنقر البرسقي=

وهو ينعت بملك المغرب ، لحدّ مملكته ، فجمع أتابكُ جوشبك جيوشاً كثيرة ، وجمعاً جمّا غفيراً ، وجعل مؤيّد الدّين الطّغرائي[1] وزيراً لملك مسعود . فعلم السّلطان محمود بحشده وحشره ، وجاء جوشبك بملك مسعود تحت جتره ، كالقمر في الهالة . ولّما اصطفّ الجمعان ، بُصّر الملك مسعود بالسّلطان محمود أخيه ، فحنّ اليه وضبطه جوشبك فلم يعرّج عليه وصاح : ايجي ايجي ، وهي كلمة بالتّركيّة *. وساق الملك مسعود [و] وقف الى جنب السّلطان محمود أخيه ، وأسلم للنّهب والسّلب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه . فأوّل من أُخذ وزيره مؤيّد الدّين أبو اسمٰعيل الطّغرائي ، فأُخبر الكمال[2] به فقال للشّهاب أسعد :[3] هذا الرّجل ملحد ، فقال الوزير : من يكون ملحداً يستحقّ قتله . فقُتل ظلماً[4] ،

---

* تقال للأخ الكبير .

= الغازي (؟ - ١١٢٦) وهو قائد سلجوقي بارز، وكان مملوك الأمير برسق. المصادر التاريخية الأوروبية تسميه: بورغالدوس، بورسيكوتيس، بورسيكوني وبورسيس. كان حاكم الموصل والرحبة. وعينه السلطان محمد بعدها شحنة بغداد عام ٤٩٨ م في ٩ ذي القعدة ٥٢٠هـ قتله الاسماعيلية على مدخل مسجد الموصل. ابن خلكان ١/٢٤٢ - ٢٤٣، ابن ابن العبري ٢/٣٦٠.

وأصبح بعد ذلك آي آبه جوشبك أتابكاً لمسعود. وكان الملك مسعود حاكماً على الموصل وأذربيجان. قتل جوشبك في رمضان ٥١٦ هـ (ابن الأثير ١٠/٢١٤ - ٢١٥).

(١) عميد الدولة مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الطغرائي - فخر الكتاب - كان كاتب انشاء بارزاً وشاعراً لامعاً ويلقب بالاستاذ. أشهر قصائده: لامية العجم. أنظر عنه: ابن خلكان (٢/١٨٥ - ١٩٠).

(٢) كمال الملك نظام الدين أبو الحسن أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي - وزير السلطان محمود. قُتل في ٢٩ صفر ٥١٦ هـ في بغداد قرب المدرسة النظامية على يد الباطنية بأكثر من ثلاثين طعنة. ابن الأثير ١٠/٢١٣ - ٢٢١٤. ابن خلكان ٢/١٩٠.

(٣) شهاب الدين أسعد كان كاتباً لدى الوزير السميرمي .

(٤) قتل الطغرائي عام ٥١٥ هـ بعد اتهامه بالإلحاد. عن هذه الأحداث أنظر كذلك ابن الأثير ١٠/١٩٩. الأتابكية ٢٢ - ٢٣. ابن الجوزي ٩/٢١٧، سبط ابن الجوزي ٨/١، ٨٩ - ٩٠. البنداري ١٣٢، ١٣٣، ١٧٤ وابن خلكان ٢/١٨٥ - ١٩٠.

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ، وكانت أيامه كثيرة الاضطراب « ٥٥ ـ أ » والمصادرات .

وفي سنة عشرين وخمس مائة جرى بين السّلطان والامام المسترشد ببغداد فتنة ، أدّت الى تشعّث الحال بينهما ، وتمادّت الى أن ركب السّلطان الى الدّار النّبويّة المسترشديّة وقاتلها بعسكره ، وقاتله الخليفة من فوق القصر . ثمّ توسّط لأمرها الوزير جلال الدّين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة ، وزير الامام المسترشد ، فكشف ظلامتها . وكانت هذه الفتنة في العشر الآخر من ذي الحجّة من سنة عشرين[1]. ودخلت سنة احدى وعشرين والسّلطان محمود ببغداد ، فمرض مرضةً أشرف فيها على التّلف ، وعزم على الرّجوع الى همدان . ووقع في قلبه أنّ سبب ما جرى عليه من المرض محاربة أمير المؤمنين المسترشد ، فأمر بأن يحمل في محفّة ، فحُمل وحفّت به العساكر ، ومرّ على قصر الخلافة ، فأمر بأن يُوقف وبعث الى أمير المؤمنين المسترشد بالله يسأله مُحاللته والدّعاء له والرّضى عنه والصّفح عن ذنوبه . فخرجت اليه الرّسالة المسترشديّة بتبليغه ما طلب من الرّضى والاستغفار ، فطاب قلبه ومضى الى همدان فعُوفي .

وفي هذه السّنة ، سنة احدى وعشرين أيضاً ، تحرّك السّلطان سنجر

---

(١) كان شحنة بغداد يرنقش الزكوي قد اختلف مع الخليفة المسترشد بالله فالتجأ الى السلطان محمود يحذره من مكائد الخليفة. فدخل السلطان محمود مع عسكره إلى بغداد في ٢٠ ذي الحجة ٥٢٠ هـ. أما الخليفة فقد هرب من المدينة وعندما دعاه السلطان للعودة وعقد الصلح رفض المسترشد بالله. ولم يستجب الخليفة لدعوات الصلح إلا بعد ارسال السلطان إليه الأمير عماد الدين زنكي. وبقي السلطان، في بغداد حتى ٤ ربيع الأول ٥٢١ هـ وتلقى من الخليفة مالاً كثيراً وسلاحاً وخيلاً. ثم غادر السلطان بغداد بعد نصح الأطباء له. أنظر ابن الأثير ١٠/٢٢٦ ـ ٢٢٧، البنداري ١٥٢.

الوزير جلال الدولة والدين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة (ولد في ربيع الثاني ٤٥٩ هـ) كان قد عُيّن وزيراً للخليفة المسترشد ٥١٣ هـ وبعدها استبدل ثم أعيد. مات في مستهل رجب ٥٢٢ هـ. أنظر ابن الأثير ١٠/٢٣٢ ـ ٢٣٣.

الى الرّي وعزل شيركير[1] أتابك السّلطان طغرل عن الأتابكيّة ، وولّاها الأمير قراسنقر[2] ، « ٥٥ ـ ب » وقرّر لـه بلاد أرّانيـة ، واستصحب معه طغرل ومسعود . وكانت السّلطنة مِن قَبل السّلطان محمود لملوك العـراق ، ومن عصر السّلطان محمود انتقلت الى ملك خـراسان السّلطان معـزّ الدّين سنجر كما ذكرنا في أخباره[3] . وكانت الـدّولة ضعفت عـلى أيّامـه* وقلّت أموالها .

قال الشّيخ عماد الدّين أبو حامد محمّد بن محمّد الاصفهاني : وجدت تفصيلاً بخطّ عمّي عزيز الاسلام أبي** حـامد ، أنّ الخـزانة السّلطانيّـة الغياثيّة المحمّديّة اشتملت عنـد وفاتـه على ثمـانية [عشـر]*** ألف ألف دينار عيناً ، سوى المصوغات والجواهر وأصناف الثّياب[4] . فآل الأمـر بها على أيّام ولده السّلطان محمود الى أن طلبوا وظيفة الفقاعيّ ، فما قدروا على اقامتها ، حتّى دفعوا اليه بعض صناديق الخزانة فأبـاعها . وطلب يـوماً من سابور الخادم الخازن غاليـة المسك ، فشكى اليـه الاقلال واستمهـل ، ثمّ

* أي : محمود .

** في الأصل : أبو .

*** في الأصل . ثمانية .

(١) كان شيركير أتابك طغرل أثناء حياة والـده محمدطبر . قُتل مع ابنه في جمادي الثاني٥٢٥هـ. ابن الأثير ٢٣٩/١٠ .

(٢) كان تعيين الأمير قراسنقر أتابكاً لطغرل سنة ٥٢٢ هـ.

(٣) أنظر البنداري ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٤) عمّ عماد الدين الأصفهاني ـ عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبـة الله بن ألّـه الأصبهـاني المستوفي (ولـد في ٤٧٢ هـ). تقلب في العديد من المنـاصب لدى الأمـراء السـلاجقـة، في أواخر حيـاته كـان عزيـز الدين خـازن السلطان محمـود الذي اتهمـه باختـلاس المال وقتله في مـطلع ٥٢٥ هـ. وقـد حـاول نجم الدين أيوب (والد صلاح الدين) وأخوه أسد الدين شيركوه انقـاذه دون نجاح. أنـظر ابن خلكان ١٨٨/١ ـ ١٩٠ .

أحضر له بعد مدّة ثلاثين مثقالاً ، فقال لـه السّلطان ، وكان خـازن أبيه : كم كـان في خزانـةالسّلطان والـذي من الغـاليـة ؟ فقـال : كـان في قلعـة أصفهان منها في أواني الذّهب والفضّة ما يقارب مائة وثمـانين* رطـلاً[1] . فجعل السّلطان يتعجّب ويقول للحاضرين : اعجبوا من التّفاوت بين هذه الأيّام وتلك الأيّام !

وكـان « ٥٦ ـ أ » السّلطان محمود قـويّ المعرفـة بـالعـربيّـة ، حـافـظاً للأشعار والأمثال ، عارفاً بالتّواريخ والسّير[2] . وتوفّي في شـوّال سنة خمس وعشرين وخمس مائة . فكانت مدّة سلطنته ثلاث عشرة سنة وثمانيـة أشهر وأيّاماً[3] .

أولاده : محمّد ، ملكشاه ، داود ، ما ولي منهم أحد السّلطنة انّما كانوا ملوكاً[4] .

---

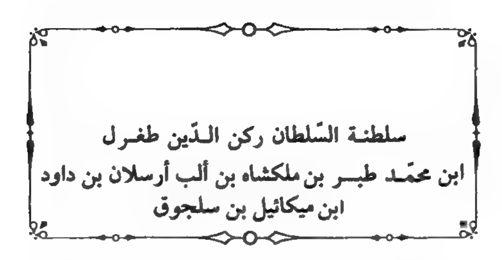
* في الأصل : ثمانون .

(١) حول وضع الخزنة أنظر ابن خلكان ٥/١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٢) حول ذلك أنظر ابن خلكان٥/١٨٢ ـ ١٨٣ والبنداري ١٥٦ .

(٣) توفي محمود في ١٥ شوّال٥٢٢ هـ وكان عمره ٢٧ سنة وتولى السلطنة لمدة ١٢ سنة و٩ أشهر و٢٠ يوماً. (ابن الأثير ١٠/٢٣٩).

(٤) هذا لا يتطابق والحقيقـة. إذ أن كلًّا منهم ولي السلطنـة لمدة قصيـرة، كما كـان له ولـدان آخران: ألب أرسلان وفرّوخ زاد بعد موت السلطان محمود اتفق الوزير أبو القاسم وأتابك آقسنقر الأحديلي على تنصيب ابن محمـود: داوود سلطاناً وخـطب له في جميـع بلاد الجبـل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فسار الوزير إلى الريّ حيث السلطان سنجر وأمن فيها. (ابن الأثير ١٠/٢٣٩).



سلطنة السّلطان ركن الدّين طغرل ابن محمّد طبر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق

لمّا توفّي أخوه السّلطان محمود ، اتّفق رأي الوزير الدّركزيني ورأي مقدّمي العسكر على التّوجّه الى الرّي والنّزول عليها ، والارسال الى السّلطان سنجر ليأتي اليهم ويولّي من اختار . فمضوا وشتّوا بالرّي* ، وأقاموا خمسة أشهر بها [1] ؛ وورد عليهم السّلطان سنجر في شهر ربيع

---

* في الأصل : على الريّ .

(١) بعد أن خُطب للملك داوود سار هذا من همذان في ذي القعدة سنة ٥٢٥ هـ إلى زنجان فأتاه الخبر أن عمه السلطان مسعود قد سار من جرجان ووصل تبريز واستولى عليها. فسار الملك داوود اليه فحصره بها وجرى بينهما قتال إلى آخر محرم سنة ٥٢٦ هـ. ثم اصطلحا وخرج داوود وبعده مسعود يطلب كلٌ منهما من السلطان الخطبة ببغداد. فأجاب المسترشد بالله أن الحكم في الخطبة إلى السلطان سنجر وحده. وعاد داوود وجمعه إلى الريّ. وكان مسعود قد كاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل يطلب مساعدته فوعده بذلك فقويت نفس مسعود على طلب السلطنة. ثم أن الملك سلجوق شاه شقيق مسعود سار به أتابكه قراجة الساقي، صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير إلى بغداد فوصل إليها قبل مسعود وأكرمه الخليفة. ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة مهدداً في حال منعها. فرفض السلطان وأرسل مسعود عسكراً إلى المدينة حيث وقف بوجهه جيش الخليفة وسلجوق شاه. لكن هزيمة عماد الدين زنكي جعلت مسعود يبلغ الخليفة عن وصول السلطان سنجر إلى الريّ ويعرض الصلح مع الخليفة على أن تكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوق شاه ولي عهده. واجتمعوا في جمادى الأولى. أنظر ابن الأثير ٢٤١/١٠ والبنداري ١٥٦ ـ ١٥٧ .

الآخر سنة ستّ وعشرين وخمس مائة . واستقبله عساكر العراق والوزير . ووصل بعده السّلطان طغرل في ثاني يوم وصوله سحراً ، وتلّقته العساكر وترجّل الوزير بين يديه، فما اكترث له ولا احترمه، لأنّه الّذي قتل أتابكه الأمير شيركير ، وولده الأمير شرف الدّولة عمر . وجلس السّلطان سنجر على التّخت[1] ، ثمّ رحل الى همدان فأقام بها ثلاثة أيّام[2] . ووصل الخبر بأنّ الملك مسعود أخا السّلطان طغرل قد تحرّك « ٥٦ ـ ب » لطلب السّلطنة لنفسه ، واستنجد بالأمير قراجا السّاقي اتابك الملك سلجوق شاه صاحب بلاد فارس . ولمّا سمع السّلطان طغرل بذلك ، وهو بالرّي ، خاف وعلم أنّ قراجا فارسٌ لا يُلقى . وبلغ ذلك السّلطان سنجر ، فسيّر الى السّلطان طغرل عسكراً ؛ فوصلوا اليه فأخبروه أنّ عمّه السّلطان سنجر قد ولاّه سلطنة العراق وولّيّ عهده على خراسان وجميع ممالكه ، فارتاح لذلك وطاب قلبه . وكان السّلطان طغرل راكباً ، وعاد إلى خيمته والأمراء الخراسانيّة معه . فاتّفق أن أخذته تلك اللّيلة حمّى حادّة عظيمة ، ودامت به ، ولم يزل مصفرَّ الوَجه بعد أن كان أحسن النّاس صورةً . وسار السّلطان سنجر من همدان قاصداً نهاوند ، وتبعه السّلطان طغرل فيمن معه من العساكر . وجاءهم الخبر بأنّ الملك مسعود عاد الى أذربيجان عن دينور ، فسار السّلطان سنجر على ميمنة السّلطان طغرل والأمير قماج وعلى ميسرته خوارزم شاه [أتسز] وعدّة أمراء . فحملت ميسرة الملك مسعود على ميمنة السّلطان سنجر وفيها السّلطان طغرل فهزمها ، وركض السّلطان طغرل مقدار فرسخين ثمّ عاد فثبت الى جانب عمّه السّلطان

---

(١) اتخذ سنجر قراراً بتعيين طغرل سلطاناً على العراق. البنداري (١٥٧ ـ ١٥٨).

(٢) علم الخليفة والسلطان مسعود وسلجوق شاه بتوجه سنجر إلى همذان. لكن خوف الخليفة من سنجر منعه من الذهاب لمواجهته. غير أنه، بعد ذلك، سار على تريث، وقطع الخطبة باسم سنجر في العراق ثم عاد الخليفة إلى بغداد استعداداً لمواجهة سنجر. ابن الأثير ٢٤٢/١٠ ـ ٢٤٣.

سنجر . وحملت ميسرة السّلطان سنجر على ميمنة الملك مسعود وثبت السّلطان سنجر مع أبطال « ٥٧ ـ أ » مماليكه[1] ، وقراجا السّاقي والملك مسعود في القلب . فزحف السّلطان سنجر الى قراجا فقاتل أشدّ قتال حتّى أُسر ، وأُسر معه يوسف الجلوش صاحبه ، وأُسر تاج الدّين [بن] دارست وزير الملك مسعود ، وانهزم الملك مسعود[2] . ثمّ ركب السّلطان سنجر بعد ثلاثة أيّام وأمر باحضار قراجا ويوسف ، فأحضرا غير مرتاعَين فضرب أعناقهما . ورحل سنجر في غد ذلك اليوم ، وقد خلع على السّلطان طغرل ، وسايره وحده ووصّاه بوصايا وأوصاه الى* الوزير الدّركزيني ثمّ ودعه وانصرف إلى خراسان . وجلس السّلطان طغرل على التّخت بهمدان ، في جمادى الآخرة سنة ستّ وعشرين وخمس مائة .

وجاءت رسل أمير المؤمنين المسترشد بالله ، يشترطون على السّلطان طغرل ليدخل على بغداد فلم يجب ، ولم يستقرّ الحال بينه وبين الخليفة البتّة . ولمّا قُتل قراجا ولّى السّلطانُ طغرل بلادَ فارس الأميرَ منكوبرس ، ودفع له ولده ألب أرسلان[3] ، ونعته بأتابك . وكان الملك داود بن محمود وليّ عهد أبيه وأتابكه اباز ، وأتته جماعة من خواصّ والده واجتمعوا في* تبريز . ونهض بهم الملك داود حتّى أتى الى همدان ، فخرج السّلطان

---

* في الأصل : على .

(١) كانوا مئة ألف فارس. ابن الأثير ١٠/٢٤٢ .

(٢) حصلت المعركة في ٨ رجب ٥٢٦ هـ قرب عولان عند الدينور. جعل سنجر ء ، ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماج وأمير أميران، وعلى ميسرته خوارزم شاه آتسز بن محمد مع جمع من الأمراء. وجعل مسعود على ميمنته قراجه الساقي والأمير قزل، وعلى ميسرته يرنقش بازدار ويوسف جاووش وحسين اوزبك. أنظر ابن الأثير ١٠/٢٤٢، الأتابكة ٤٤ ـ ٤٥، البنداري ١٥٨ ـ ١٥٩، الراوندي ٢٠١، ابن العبري ٢/ ٣٦٥.

(٣) بعد مقتل قراجا الساقي صار نصر الدين منكوبرس والياً على فارس. البنداري ١٦٣ .

طغرل اليه من همدان في عساكره [١] . فلمّا تراءى الجمعان هرب من عسكر الملك داود جماعة من الأمراء[٢] ، والتقى العسكران . « ٥٧ ـ ب » فانهزم عسكر الملك داود وأمّهم اقسنقر ، وأُسر الأمير يرنقش ففدى نفسه بسبعين ألف دينار[٣] وتسلّمت منه قزوين وأطلق ، وأسر صفيّ الّدين المستوفي[٤] وصودر على مائتي ألف دينار . وكانت هذه الوقعة في رمضان سنة ستّ وعشرين وخمس مائة .

وفي سنة سبع وعشرين وخمس مائة ، تحرّك الملك مسعود واجتمع هو والملك داود واقسنقر في أذربيجان . فوصل اليهم السّلطان طغرل الى المراغة[٥] ، ودخل الملك مسعود الى بغداد . وصادف من الخليفة المسترشد فساد الرّأي في السّلطان طغرل ، فعقد له السّلطنة ، وشهدت الشّهود عليها . وأنزله الخليفةُ دارَ السّلطنة ، وخطب له في آخر جمعة من المحرّم منها ، وخلع عليه يوم الأحد لخمس خلوان من شهر ربيع الأوّل سنة سبع

---

(١) حدث هجوم الملك داوود على عمه السلطان طغرل عندما كان السلطان سنجر مشغولاً بتهدئة أحمد خان صاحب ما وراء النهر الذي عصى عليه . ابن الأثير ٢٤٤/١٠ ، البنداري ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٢) جرت المعركة عند قرية وهان قرب همذان . قبل المعركة انضم عدد من أمراء داوود مع جنودهم إلى جانب طغرل الأمر الذي حسم نتيجة المعركة .

(٣) الأمير يدعى يرنقش الزكوي البزدار . كان شحنة بغداد أيام السلطان محمود . (ابن الأثير ، الأتابكية ٢٧ ـ ٢٨ ، البنداري ١٧٠ ، ١٧٥ ـ ١٧٦ ، ١٨٣) .

(٤) المقصود صفي الدين أبو الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حميد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله الأصفهاني ، المستوفي ـ والد عماد الدين الأصفهاني ـ قتله السعودي . أنظر البنداري ١٦١ ـ ١٦٢ ، ١٧١ .

(٥) بعد هزيمته أمام السلطان طغرل ، هرب الملك داوود الى بغداد تحت حماية الخليفة المستظهر بالله . وقد تبعه الملك مسعود .

مراغة ـ بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان . وهي تقع في جنوبها . ياقوت ٩٣/٥ ـ ٩٤ .

وعشرين وخمس مائة . وجلس له فحضر بين يديه ، وخدم أتمّ خدمة ، وقال له الامام المسترشد بالله بعد لبس الخلع : تلقّ هذه النّعمة بشكرك ، واتّق الله في سرّك وجهرك . وكانت الخلع سبع دراريع مختلفات الأجناس والألوان والسّابعة سوداء ، وتاجاً مرصّعاً بالجواهر والياقوت ، وسوارين وطوق ذهب . وقلّده الخليفة بسيفين بيده ، وعقد له لوائين بيده أيضاً .

وسلّم اليه الملك داود بن أخيه ، وأوصاه به « ٥٨ ـ أ » مشافهةً ، وقال له : انهض وخذ ما آتيتك بقوّة ، وكن من الشّاكرين[١] . واستوزر الملك مسعود أنوشروان بن خالد[٢] . وكان السّلطان طغرل بهمدان وأتابكه قراسنقر بأذربيجان[٣] ، ومعه جماعة من الأمراء . فلمّا تحوّل الملك مسعود إلى أذربيجان مضى الأمير اقسنقر الى زنجان ، وعين الدّولة الى خوارزم ، والأمير بلاق الى أردبيل[٤] . وتحكّم الملك مسعود وداود

(١) كانت الخطبة باسم مسعود في صفر ٥٢٧ هـ . وقد أُعلن داوود ولياً للعهد. أنظر ابن الأثير ١٠/٢٤٥، ابن القلانسي ٢٣٧ ـ ٢٣٨، ابن الجوزي ١٠/٢٩ سبط ابن الجوزي ٨/١، ١٤٥.

(٢) أنو شروان بن خالد بن محمد الكاشاني (؟ ـ ١١٣٨) كان وزير السلطان السلجوقي محمود ومسعود والخليفة المسترشد بالله. من أبرز رجال عصره ذكره الكثير من الشعراء في شعرهم. له كتاب تاريخي « فتور زمان الصدور في صدور زمان الفتور » باللغة الفارسية ويتضمن الأحداث من مطلع حكم السلطان ملكشاه إلى موت السلطان طغرل بن محمد. أي الفترة من ١٠٧٢ إلى ١١٣٤ . تُرجم هذا المؤلف إلى اللغة العربية من قبل عماد الدين محمد الكاتب الأصفهاني (١١٢٥ ـ ١٢٠١) ـ المؤرخ والأديب العربي الشهير،وقد أضيف إلى النص المترجم أحداث تكميلية كثيرة وأُتبع بالأحداث إلى حين سقوط الدولة السلجوقية. وسمّى الأصفهاني الكتاب بصيغته الجديدة نصرة الفترة وعصرة الفطرة. وفي القرن١٣ م اختُصر هذا الكتاب على يد أبي ابراهيم فخر الدين الفتح بن محمد بن الفتح قوام الدين البنداري الأصفهاني (عام ١٢٢٦ م) وسمّاه: « زبدة النصرة ونخبة العصرة ».

(٣) في البنداري (١٦٥) أن السلطان طغرل في هذا الوقت كان في أصفهان وقد أبقى مكانه في أذربيجان أتابكه قراسنقر.

(٤) اتفق الخليفة المسترشد بالله والمسعود وداوود في بغداد على العمل سوية ضد السلطان=

واقسنقر في تلك البلاد ، ونزل على أردبيل محاصراً لها وكان أهلها في قوّة . و [كتب الدّركزيني الى] الأمير أتابك قراسنقر أن ينتهز بينهم فرصة غفلة ، فألحّ عليه الوزير في المكاتبة حتّى نسب أمره الى العصيان[1] . فلمّا بلغ ذلك الأمير قراسنقر قال : لقد بلانا الله بهذا الفلاّح . وخرج من أردبيل ومن معه من الأمراء ليلاً ، وساروا نيّفاً وعشرين فرسخاً في تلك اللّيلة . فصادفوا عسكر الملك مسعود وهم مُتْعبون ، ووقعت الحرب بينهم على باب أردبيل . فاقتتلوا حتّى تفانوا ، وانهزم الأمير قراسنقر ، وتبع الملك مسعود المنهزمين الى باب همدان ، وكان السّلطان طغرل في قلّة فخرج عنها ودخلها الملك مسعود . وتحصّن السّلطان طغرل بأَرْوَنْد[2] وأتاه الملك مسعود قاصداً قتاله ، وكان السّلطان طغرل قد عرض له مرض شديد منعه من الحركة ، ولقي الملكَ مسعود فانهزم عسكره* . وتمّ

---

* أي : طغرل .

طغرل بك. ابن الأثير ١٠/٢٤٥، الأتابكية ٤٩، ابن القلانسي ٢٣٨ .

أول من تصدى لطغرل كان داوود مدعوماً بعساكر الخليفة والتقى في أذربيجان بآقسنقر الأحمديلي. بعدها في شهر ربيع الثاني ٥٢٧ هـ انضم اليهم السلطان مسعود في أذربيجان. (ابن القلانسي ٢٣٨).

في البنداري (١٦٥) أنه عندما توجه آقسنقر سوية مع السلطان مسعود إلى أذربيجان، تراجع قراسنقر إلى زنجان، وعينُ الدولة خوارزم شاه والأمراء بيشتكين وبلاق تحصنوا في أردبيل، أما الأمير الحاجب تتار ـ ففي أرمية. أنظر كذلك ابن الأثير ١٠/٢٤٥ .

(١) أرسل الوزير الدركزيني إلى قارا سنقر في زنجان رسالة فيها: « بارز آقا سنقر فأنت له مبارٍ بالمبارزة وأَحْضِرْ وناجزْه الحرب بنفسك وإلا حضرتُ بنفسي إلى المناجزة ». لكن قراسنقر أجابه معتذراً. عندها أرسل له الوزير رسالة ثانية يأمره بالدخول في المعركة. البنداري ١٦٥ .

(٢) أخذت همذان من قبل مسعود في شعبان ٥٢٧ هـ: يذكر البنداري (١٦٦) أن طغرل تحصن في جبل آروند في ماوشان الواقعة في سفحه، المطلّ على همذان. أنظر ياقوت (١/١٦٣ ـ ١٦٤ و ٥/٤٧ ـ ٤٨).

السّلطان طغـرل الى أصفهـان « ٥٨ ـ ب » قـاصـداً الـرّي ، وتمّ عـلى السّلطان طغـرل ما تمّ . قـال لوزيـره : قد علمت أنّـه* ما تمّ عـليّ هذا الخذلان إلاّ بسبب ظلمك للعبـاد ، فقال : لا تقلق فقـد سيّرت الى أهـل المَوْت وأمرتهم بأن يقتلوا اقسنقر وسـائر أعـدائك وهم فـاعلون . فقال لـه السّلطان طغرل : الحمد لله الّذي أبان فساد اعتقادك ، وجعلني غير مأثـوم في قتلك . ثمّ أمـر به فضُـرب وصُلب ، وعند صلبـه انقطع الحبـل بـه ، وكان في النّظّارة مملوك للأمير شيركير فوثب عليه عنـد وقوعـه وعجّل عليـه قتله بسكّـين كـانت معـه ، وقُـطّع في الحـال اربـاً اربـاً وطيف بـرأسـه وبأعضائه : في كلّ بلد عضو وكان قتله بأصفهان[1] .

وبعد ذلك ورد الخبر بأنّ البـاطنيّة قفـزوا على اقسنقـر في خيمته بمـرج قرابولـين[2] فقتلوه ، فهربت أجنـاده ، وتفرّقـوا عن الملك مسعود[3] ، ولم يبق معه من يدبّره وان كان في جمـع . فتوجّـه السّلطان طغرل الى الـرّي ، وتبعه الملك مسعود في ستّة آلاف** عنان ، وكـان السّلطان طغرل في ثـلاثة آلاف** . فالتقوا فـانهزم السّلطان طغرل واستـأمن الى الأمير مسعـود الأميرُ بلاق والأمير سنقـر صاحب زنجـان . وكانت هـذه الواقعـة في ثامن شهـر رجب سنـة سبـع وعشـرين وخمس مـائـة[4] . وامتـدّ السّلطان طغـرل الى

---

* في الأصل : أن .

** في الأصل : ألف .

(١) قُتل الوزير الدركزيني في رمضان ٥٢٧ هـ. في « الطريق ». (ابن الأثير ١٠/٢٤٦). وفي البنداري (١٦٩) قتل الدركزيني في سابور خواست وهي مدينة قرب أصفهـان بينها وبـين نهاوند ٢٢ فرسخاً. ياقوت (١٦٧/٣).

(٢) مرج قرابـولين (لـدى البنداري قـاراتكين) ـ عـلى مرحلة من همـذان من جهة أصبهـان. ياقوت (١٠١/٥).

(٣) ابن الأثير (٢٤٥/١٠) يذكر أن مسعوداً أرسل من قتله.

(٤) ابن الأثـير (٢٤٦/١٠) يذكـر أن المعركـة حصلت في مكان ذكراور؛ في ١٨ رجب ٥٢٧ هـ. أنظر البنداري (١٧٠) وابن القلانسي (٢٣٨).

طبرستان ، ونزل على الاصفهبد[1] ، فأكرمه « ٥٩ ـ أ » وأضافه ، وكان في صحبته دُبيس بن صدقة[2] فأهدى اليهما الاصفهبد هدايا جليلة .

ولمّا انجلت الشّتوة أتت السّلطان طغرل عساكره ، وفيهم أمراء لهم طاعةٌ ، منهم خوارزم شاه وغيره ؛ ووصل الأمير منكوبرس أتابك ابنة الب أرسلان صاحب بلاد فارس ، الذّي كان السّلطان طغرل ولّاها له عند مقتل قراجا السّاقي ، في ألفي فارس ، فسار السّلطان طغرل بهم قاصداً الى همدان . وكان الملك مسعود قد رحل الى أذربيجان[3] ، وسيّر السّلطان طغرل أتابكه قراسنقر لمحاربة الملك داود بالمراغة . فالتقوا فانهزم الملك داود[4] [و] أمن السّلطان طغرل وصفت له الدّنيا ، فعاجلته الوفاة . وذلك أنّه شرب دواءً مسهلاً فعرض له قولنج ، فسقطت قوّته ، فمات بهمدان على سرير ملكه ودُفن بها . وكانت وفاته في أوائل محرّم سنة ثمان وعشرين وخمس مائة . وكانت مدّة سلطنته سنتين وشهراً أو شهرين .

أولاده : ارسلان شاه ، ولي السّلطنة ؛ ألب ارسلان لم يلها .

وزراؤه : القوام الدّركزيني قتله كما ذكرنا ، قتل عزيز الإسلام أبا* حامد

---

* في الأصل : أبو .

(١) حاكم طبرستان في ذلك الوقت كان الأصفهباذ علاء الدولة بن شهريار بن كارين (١١١٧ ـ ١١٣٩) . أنظر البنداري (١٧٠) .

(٢) نور الدولة أبو العز دبيس بن سيف الدولة أبو الحسن صدقة ، أمير عربي ، حاكم الحلة من الأسرة المَزْيدية . بعد وفاة طغرل قدم الى خدمة الملك المسعود . .

(٣) في هذا الوقت التجأ عند طغرل كثير من الأمراء (البنداري ١٧٠) وازدادت قوته العسكرية بحيث أنه التقى بمسعود في أذربيجان وهزمه في آخر رمضان ٥٢٨ . فالتجأ مسعود إلى بغداد بحماية الخليفة كذلك هرب إلى بغداد من طغرل سلجوق شاه ونائب المسعود في أصبهان الأمير البقش السلاحي . أنظر البنداري (١٧٠ ـ ١٧١) وابن الأثير ٤/١١ .

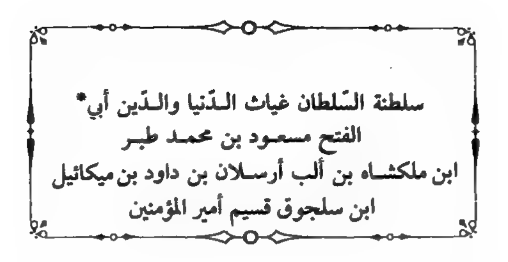
(٤) أنظر البنداري ١٧٠ .

الاصفهاني ، رحمه الله ، المقدّم الذّكر ، وكان بين قتله وقتل الوزير أربعون* يوماً . وصادر جماعة يطول بذكرهم هذا المختصر . ولم يبلغ وزيرٌ للسّلجوقيّة بعد نظام الملك ما بلغه الدّركزيني ، ويقال إنّه من انساباد قرية من قرى دركزين[1] ، وإنّ والده كان فلّاحاً في أيّام وزارته . واستوزر السّلطان بعد قتله شرف الدّين علي بن رجاء الى أن توفّي .

---

* في الأصل : أربعين .

(1) أنساباذ ـ قرية من رستاق الأعلم من أعمال همذان، بينها وبين زنجان، وهي قرب دركزين. ياقوت ٢٦٥/١. وفي مكان آخر يذكر ياقوت (٤٥١/٢) أن أهل هذا الأقليم (رستاق الأعلم) كلهم مُزْدكية ملاحدة.



سلطنة السّلطان غياث الدّنيا والدّين أبي* الفتح مسعود بن محمد طبر ابن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق قسيم أمير المؤمنين

كانت أمّه حظيّة السّلطان محمّد طبر، رحمه الله تعالى، [يقال] لها نيست أندر جهان وتفسيره معدومة في الدّنيا . ولّما توفّي السّلطان محمّد زوّجها السّلطان محمود بالأمير منكوبرس، الّذي قتله السّلطان سنجر عند قصده العراق في أوّل أيّام السّلطان محمود وقد ذكرناه . وأمّا السّلطان مسعود فانّ والده في سنة خمس وخمس مائة سلّمه الى الأمير الاسفهسلار مودود صاحب الموصل، فأقام معه إلى أن قُتل مودود بدمشق[1] . ولّما وصل نعيّه الى السّلطان محمّد طبر سلّمه الى الأمير اقسنقر البرسقي وأقطعه الموصل والجزيرة[2] . ولّما جلس السّلطان [مسعود] بعد أخيه [طغرل] تمادى يرنقش البازدار على أمره ونهيه . وكان الأتابك قراسنقر أتابك السّلطان طغرل لّما توفّي بأذربيجان، فتحرّك الى همدان وخدم زوجة

---

* في الأصل : أبو .

(١) صاحب الموصل أمير سباهسلار شرف الدين مودود بن التون تكين كان أحد قادة السلطان محمد طبر . حارب الصليبيين طويلاً وقتله أحد الباطنيين في دمشق عند خروجه من الجامع في ٢٦ ربيع الثاني ٥٠٧ هـ . (ابن خلكان - ٢٢٧/١، يحدّد ١٢ ربيع الثاني تاريخاً لمقتله). أنظر البنداري ١٧٣ . ابن القلانسي ١٦٧، ١٦٩ - ١٧٠ وما بعدها. ابن الأثير ١٠/١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) الأمير السلجوقي البارز قاسم الدولة سيف الدين أبو سعيد آق سنقر البرسوقي أصبح حاكم الموصل والرحبة بعد موت مودود. ابن خلكان ٢٢٧/١ - ٢٢٨ .

السّلطان مسعود زبيدة خاتون بنت السّلطان بركيارق ، وكانت غالبة على أمر السّلطان ، فرفّعته عنده . وصعب ذلك على يرنقش البازدار ، فعصى ووافقه جماعة من الأمراء الأكابر واجتمعوا على أن يقترحوا على السّلطان مسعود اقتراحات ، ورحلوا الى بروجرد . وبقي السّلطان مسعود ومعه الأمير قراسنقر ، واتّصل به خوارزم شاه في جيشه ، ووصل الأمير سابق الدّين رشيد من خراسان . فسار السّلطان مسعود بهم فالتقى معهم ، وانهزم يرنقش وأسر السّلطان من الأمراء عدّة شفع فيهم [قراسنقر] فأطلق اقطاعهم[1] . وهرب يرنقش أحدهم الى بغداد ، فأخبر الخليفة أمر السّلطان مسعود [أنّه] قد عزم على خلعه . ولم يزل حتّى أوقع الشّحناء بينهم ، وجرّ ذلك [الى] قتل المسترشد يوم الأحد رابع شهر ذي الحجّة سنة تسع وعشرين وخمس مائة[2] . ومرّ بعض الأفاضل

---

(١) في رجب ٥٢٩ هـ هرب العديد من أمراء السلطان مسعود الى الخليفة في بغداد الذي قطع الخطبة باسم مسعود وقرر محاربته. عن هذه الأحداث أنظر البنداري ١٧٥ ـ ١٧٦ وابن الأثير ٩/١١.

(٢) جرت المعركة بين عساكر الخليفة والسلطان مسعود في العاشر من رمضان ٥٢٩ هـ في دايمرج قرب همذان حيث هزم الخليفة وأسر وفي شوّال سار السلطان مسعود لقتال الملك داوود ابن أخيه محمود وكان قد عصى عليه فنزل على فرسخين من مراغة.

ترددت الرسل لاصلاح الحال بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد بالله فكان ذلك. ولكن ما إن همّ الخليفة بالعودة إلى بغداد حتى وصل الخبر أن رسولاً قد ورد من قبل السلطان سنجر فتأخر مسير الخليفة وأهمل أمره وخرج الناس للقاء الرسول. وكانت خيمة الخليفة منفردة عن العسكر فقصده بعض الباطنية وقتلوه بعشرين طعنة وجدعوا أنفه وأذنيه وكان ذلك في ١٧ ذي القعدة ٥٢٩ هـ. ابن الأثير ١١/١٠ ـ ١١. وفي البنداري ١٧٩ أن الخليفة قتل على يد الباطنية المرسلين من قبل سنجر. يذكر ابن خلكان ٢٠١/٥ : « وكان مع لين جانبه ما ناواه أحد وظفر به، وقتل الأمراء الأكابر خلقاً كثيراً ومن جملة من قتل الخليفتان المسترشد بالله والراشد ».

أنظر كذلك ابن القلانسي ٢٤٩، والأتابكية ٤٨ ـ ٥٠، الراوندي ٣٣٠، البنداري ١٧٧ ـ ١٧٨، ابن العبري ٣٦٧/٢ ـ ٣٦٩، ابن الجوزي ٤١/١٠ ـ ٥٢، السيوطي ٤٣١ ـ ٤٣٥.

بدار الخلافة فأنشأ يقول :

عليك سلام الله مـن منزل قفـر
فقد هجت لـي شوقاً جديداً وما تدري
عهدتك مـذ شهرٍ جديداً ولـم أخل
صروف النّوى تبـلي مغانيـك فـي شهر

وكان مع المسترشد ، الحكيم أبو البركـات بن ملكا . فلمّا قـرب حتفه آمن بـالله تعالىٰ وصـدّق بمحمّـد ﷺ . فـأكـرمـه السّلطان وعـاد يـرنقـش القـاري الى خراسان[1] . ووصل الخبر بقتـل المسترشـد بالله ، وكـان وليّ عهده أبو الفضل أمير المؤمنـين الرّاشـد بالله ، فبـايعه النّـاس « ٦٠ ـ ب » بعهد الله . وانحدر الى خدمته الأتابك عماد الدّين زنكي بن اقسنقـر من الموصل[2] وأقام ببغداد ستّة أشهر[3] ، والسّلطان مسعود بهمدان أقام الى

---

(١) يرنقش القاري خوان، كان رسول السلطان سنجر الـذي حمل الى مسعود رسالتين. الأولى وكـانت سرية: « لماذا أنت في هيجـان المعركـة لم تقتل الخليفـة؟ » أما في الثـانيـة وكـانت مفتوحة: « في اللحظة التي تقرأ فيها يا مسعود هذه السطور، توجّه حالاً عند أمير المؤمنـين وقبّل الأرض أمامه وأطلب العفو. وإلا فستقوم القيامة. ولذلك أرْجع الخليفة بكل تبجيل إلى عرشه وسلّمه دبيس بن صدقة حتى يعاقبه الخليفة بنفسه. لأنه في كل هذه المسائل هـو المخطىء فقط ».

أما الأمير دبيس بن صدقة فكان على عداء مع الخليفة. لذا ألقى سنجـر ومسعود تبعـة ما أصاب الخليفة على دبيس. أما السلطان فقد سامح دبيس رغم عدم رغبـة المسعود. أنـظر ابن خلكان ١/٥٠٦ ابن العبري ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٢) عماد الدين زنكي ابن قسيم الدولة آق سنقر (١٠٨٤ ـ ١١٤٧) ـ مؤسس الدولة الأتابكية في الموصل. عـام ١١٢٧ م عينّ نـائبـاً للعـراق. اشتهـر بـدوره البـارز في الحـروب ضـد الصليبيين، وبالدور الكبير في الحياة السياسية للخلافة والدولة السلجوقية. قتله مملوكه عند حصار قلعة جعبر على ضفة الفرات بين بالس والرقة (يـاقوت ٢/١٤١ ـ ١٤٢) في ربيـع الثاني سنة ٥٤١ هـ.

(٣) عندما رأى عماد الدين زنكي ضغـوط السلطان مسعود وعـلاقاتـه العدائيـة مع الخليفـة، =

أن هـذت* بلاد العـراق وأذربيجان . فقتـل السّـلطانُ مسعود أمـيرَ العرب دبيس بن صـدقـة(1) . فلمّا تمكّن السّلطان مسعـود من العـراق قصـد أذربيجـان ، وكان بمـراغة اقسنقـر الأحمديـلي ، فحاصـره بها مـدّة شهرين كاملين الى أن نزل اليه بالأمان ، وفوّض اليه ولاية مراغة وتبـريز ، وتسلّم منـه القلعة المعـروفـة برُوين دز ، يعني قلعـة النّحـاس(2) . وجعله فيهـا والياً ، وسلّم اليه خزانته ، وعـاد الى همدان ، وقصـد بغداد . فلمّا أحسّ الـرّاشد بـوصول السّلطان مسعـود الى حلوان(3) [أباه] ومعـه [ببغـداد] الأمير عماد الدّين الأتابـك ، ونهب الأتابـك الحريم ، ومضى الى المـوصل والـرّاشـد في صحبتـه(4) . فلمّا حصـلا في المـوصـل ورد السّلطان مسعـود

---

* ولعلها : هدنت .

= حاول مع هذا الأخير « أي الخليفة » أن يترك بغـداد ويعود مـع عماد الـدين إلى سوريـا، لكن الخليفة تمنّع وعاد زنكي وحيداً (البنداري ١٧٩ ـ ١٨٠).

(1) بعد أن وجهت إليه أصابع الاتهام بأنه وراء مقتل الخليفة المسترشـد بالله، قـرّر السلطان مسعود تبرئة نفسه والقاء اللوم على دبيس بـن صدقة. وبـأمر منـه، تمّ في ١٤ ذي الحجة ٥٢٩ هـ في مـدينة خـوي بـأذربيجـان قتـل دبيس. أنـظر ابن الأثـير ١١/١١ ـ ١٢، ابن خلكان ٢٦٥/٨، البنداري ١٧٨ ـ ١٧٩، ابن العبري ٣٦٩/٢ ـ ٣٧٠.

(2) روين ديز (ديج) ـ « قلعة في غاية الحصانـة على ثـلاثة فـراسخ من مـراغة في فضـاء من الأرض. . . وهي لغـاية حصـانتها في أكـثر الأوقات لا يعـطي صاحبهـا الطاعـة لصاحب مراغة » القزويني ٥٣٣.

(3) « أحسّ بقرب من قتل أباه » البنداري (١٧٩). يكتب ابن العبري(٢٧١/٢) أن السلطان مسعود أرسل للخليفة الراشد بالله رسالة يطالبه فيها بدفع ٣٠٠ (في ابن الجوزي (٥٤/١٠) ٧٠٠) ألف دينار التي كان أباه الخليفة المسترشد قد وعده بها . ومبلغ ٣٠٠ ألف دينار من قبل الراشد خلال توليه الخلافة. وقد استشار الخليفة رجال البلاط وأجابه بالتالي: «أما الأموال المضمونة فانما كانت لإعادة الخليفة الى داره سالمًا وذلك لم يكن وأنا مطالب بالثأر. . . وما بيننا إلا السيف».

(4) عاد الخليفة الراشد من بغداد إلى الموصل في ذي القعدة ٥٣٠ هـ. أنظر البنداري ١٧٩، وابن الأثير ١٦/١١.

بغدادَ ، ونفذ رسولاً إلى الموصـل الى أتابـك عماد الـدّين زنكي . فخشي الخليفة الرّاشد بالله أن يصالح أتابك زنكي السّلطان مسعود على تسليمه ، فخرج من الموصل مزمعاً على قصد السّلطان سنجر الى خراسان[١] . وكان الأمير طغايرك[٢] والملك داود يزينان للرّاشد البـروز والاستبداد ، ووزيـره علاء الدّين أبو القاسم بن عبـد العزيـز القمّي ينصحه وينهـاه عن ذلك . ولّما صار السّلطان مسعـود ببغداد ، اجتمـع أهل العقـد والحلّ ،وبـايعـوا المقتفي لأمـر الله أمير المؤمنـين أبا عبـد الله محمّد بن المستـظهر بـالله[٣] . ووصل الخبر إلى الخيفة الرّاشد بالله بأنّ النّاس قد بايعوا المقتفي لأمر الله ، وهو بدامغان[٤] ، فكتب الى السّلطان سنجر كتاباً من دامغان واشتكى من السّلطان مسعود شكايةبالغةوطلب [منه] المساعدة: أن ينصره بعساكره وبنفسه في العشر الأول من رمضان سنة احدى وثلاثين وخمس مائة. فكتب

---

(١) ترك الخليفة الراشد بالله الموصل في محرم ٥٣١ هـ. ابن الأثير ١٨/١١ البنداري ١٨٠، ابن العربي ٣٧٢/٢.

(٢) يُذكر الأمير فخر الدين عبد الرحمن طغايرك بن ايليارين على أنه كان عام ٥١٧ حاكماً لخلخال. في ياقوت (٣٨١/٢ ـ ٣٨٢) أن خلخال مدينة وكورة في طرف أذربيجان متاخمة لجيلان في وسط الجبال بينها وبين قزوين سبعة أيام. في الراونـدي (٣٤٤) أن فخر الـدين كان حاجب السلطان محمود.

(٣) في ذي القعـدة سنة ٥٣٠ هـ قـطع السلطان مسعود الـذي وصل بغـداد، الخطبـة بـاسم الخليفة الراشد بالله في بغداد وسائر البلاد وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً. ابن الأثير ١٦/١١.

وقد اتّهم الخليفة بالاضطرابات والقلاقل الدموية التي حصلت. بعد ذلك جرّده قاضي بغداد أبو طاهر بن الكرخي من لقب الخليفة وفي ١٧ ذي القعدة ٥٣٠ خُطب باسم الخليفة الجديد ـ المقتفي لأمر الله، الذي كان عمّ الراشد. (السيوطي ٤٣٦ والراوندي ٣٣٢). حسب ابن العبري (٣٧١/٢) فـإن المسعـود أرسـل للراشد رسالة فيها أنه لم يعد لهم حاجة إليـه وانهم اختاروا خليفـة من نسل علي. أما هـو (الراشد) فعليه أن يختار ملجأ ويتوجه إلى حيث يريد.

(٤) دامغان ـ بلد كبير بين الريّ ونيسابور بينها وبين كردكوه قلعة الملاحدة يوم واحد. ياقـوت ٤٣٣/٢.

السّلطان سنجر كتاباً في جوابه : أن قد آبت عساكر المسلمين الى جانب جيحون ، وأيضاً فإنّ حزب الله هم الغالبون في العشرين من شهر رمضان سنة احدى وثلاثين * وخمس مائة . ولمّا ورد جواب السّلطان سنجر الى الخليفة الرّاشد بالله ، وعلم أنّه ما أجاب داعيه ، انصرف من دامغان الى أذربيجان وعزم على تدويخ الدّيار وطلب الثّار وقصد العراق(1) . فلمّا وصل الى أصفهان وملكها ، ركب يوماً وبين يديه جماعة من الأجناد ، فوثب منهم قوم جاؤوه وهو راكب ، فاستشهد رحمه الله في أصفهان في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة(2) .

ولمّا وليّ السّلطان مسعود أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله وعقد له البيعة ببغداد في سنة احدى وثلاثين وخمس مائة ، كرّ راجعاً إلى الجبل . وأُنهي اليه أنّ الأمير أتابك منكوبرس(3) صاحب بلاد فارس « ٦١ - ب » قد عزم على الخروج عليه ، فأنهض أتابك قراسنقر الى أصفهان ، وقوّاه بيرنقش البازدار . وكان قد زان للسّلطان مسعود مقتله ، وعزّزهما بجاولي الجاندار(4) ، وسنقر صاحب زنجان(5) . فساروا حتّى أتوا أصفهان فأقاموا

---

* في الأصل : خمسين

(1) لما فارق الراشد الموصل سار نحو أذربيجان فوصل مراغة وكان الأمير منكوبرس صاحب فارس ونائبه بخوزستان الأمير بوزابه والأمير عبد الرحمن طغايرك خلخان والملك داوود بن السلطان محمود مستشعرين من السلطان محمود خائفين منه فتجمعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون أياديهم واحدة ويردوه إلى الخلافة. ابن الأثير ١١/٢٣ .

(2) هذا المقطع يجب - تبعاً للترتيب الزمني - أن يلي أحداث سنة ٥٣١هـ.

(3) كان ناصر الدين منكوبرس أمير - حاجب السلطان طغرل ومسعود. أنظر الراوندي ٣٢٥ رشيد الدين ٢/٥، ١١٦ - ١١٧، ١٣٥ . وقد عينه طغرل أتابك لإبنه ألب أرسلان وحاكماً على فارس. البنداري ١٦٣ .

(4) الأمير جاولي الجاندار - أحد قادة السلطان طغرل. اشتهر بشجاعته وحنكته الحربية.

(5) حول حاكم زنجان سنقر، أنظر البنداري ١٧٠، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٥ .

بهـا الى الرّبيـع ، فبلغهم الخبر أنّ منكـوبرس تحـوّل من فارس في أُمم من التّرك . فعلم قراسنقر أنّ عسكره لا يـطيق به* ، فـرجع من أصفهـان الى همـدان ، وأتى منكوبـرس فدخلهـا ، ثمّ رحل نحـو همدان . وخـرج اليـه السّلطان مسعود ومعه الأمـراء المذكـورون أوّلاً ، فالتقيـا بكُورَشنْبه(١) ، فكانت الدائـرة على عسكـر فارس وأُسـر منكوبـرس [وكان] من أشجـع النّـاس [وكان الأمـير بوز ابـه من أعظم أصحابه]** . فلمّا انهزم الجيش قـال : إذا أبنا بـأرواحنـا فقـد أبنـا بـالغنيمـة . [وحسب أنّ منكـوبـرس ناجٍ]** فأُخبر بأسر منكوبرس ، فحلف لا يرجع حتّى يثأر بـه أو يموت . وعـاد في جمعٍ من المنهـزمين والسّلطان مسعـود قد رجـع الى خيمـه . [و] وضعت الحـرب أوزارهـا فهجم المخيّم وانهزم السّلطان مسعـود ، بعـد أن قاتل لنفسه أشدّ قتال وأخذ [بوز ابه] أكثر الأمراء من خيمهم ، وحصـل في قبضته منهم اثنا*** عشر أميراً ، منهم صـدقة بن دبيس أمـير العرب ، والأمير عنتر الجاواني ، والأمير الحاجب أرغان ، وسنقر صاحب زنجان ، ومحمّد بن قراسنقر ، فقتل الجماعة . وكـانت هذه الـواقعة في أواخـر سنة احدى وثلاثين وخمس مائـة(٢). « ٦٢ ـ أ » ثمّ رجع بـوز ابه الى فـارس

---

* في الأصل : التقى به .

** العبارة من البنداري (١٨٤) .

*** في الأصل : اثني .

(١) كـورشنبه ـ موضع بنـواحي همذان ٤/٤٨٩. حسب ابن الأثـير (١١/٢٣) والـراونـدي (٣٢٩) أن المعركة جرت في مكان يدعى بتجنّ كشت (پنج انگشت).

(٢) جرت المعركـة، حسب ابن الأثير (١١/٢٣) في سنـة ٥٣٢ هـ. وأخذ الأمـير منكوبـرس أسيراً فقتل بين يديه صبراً، ثم اتبع عـسكر السلطان مسعود المنهزمين وتفرقوا ينهبون فـرأى بوزابه وعبد الرحمن طغايرك ما يجري وقد تفرق عسكر مسعود عنه فحملا عليه وهو في قلة فانهزم وقبض بوزابه على جماعة من الأمراء منهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة ومنهم ولـد أتـابك قاسنـقر صـاحب أذربيجان وغيـرهم من الـذين قتلهم جيعاً عنـدمـا علم بمقتـل منكـوبرس. أنـظر أيضاً البـنداري ١٨٥ ، ابن القـلانسي ٢٦٧، ابن الجـوزي ١٠/٧٦. سبط ابن الجوزي ٨/١ ، ١٦٧ ـ ١٦٨ يذكر أن الخليفة قتل، كما والده، بناء لأوامر السلطان سنجر ومسعود.

وملكها[1] مكان منكوبرس . وفي هذا الوقت اصطلح السّلطان مسعود مع أخيه سلجوق ، الّذي كان معه قراجا السّاقي ، وأقطعه بلاد سكمان بن ارتق ، وخلاط وأعمالها ، ومنازكرد وأرزن ، واستخدم معه الأتابك المعروف بالسّلاحي[2] مُقطع تبريز .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة أفسد الوزير كمال الدّين محمّد بن علي الخازن الرّازي[3] ، وزير السّلطان مسعود ، بينه وبين قراسنقر ، فقال للسّلطان مسعود : إنّ قراسنقر [لا يظهر لك مع تسلّطه قوّة السّلطان ، وسفيان]* في غمد لا يجتمعان . وقرّر مع السّلطان مسعود استدعاء بوز ابه من فارس. فنمي هذا الأمر إلى قراسنقر ، وهو

---

* العبارة من البنداري (١٨٦) .

(١) كان بوزابه كذلك نائباً على خوزستان. ابن الأثير ١١/٢٣ ، البنداري ١٨٥ .

(٢) قطب الدين سكمان القطبي بن ابراهيم ـ من معاوني السلجوق قطب الدين اسماعيل ابن ياقوتي، الذي وصل إلى رتبة أمير. له اقطاع خلاط، ملاذكرت وأرزن. في شوّال ٥٠٢ استولى على ما يفارقين. سكمان يبدو أنه مؤسس سلالة ما يسمّى بشاه أرمن. توفي في ٥٠٤ هـ.

المؤلف هنا يخلط بين هذه الدولة ودولة ارتق التي أسسها سكمان بن أرتق بن أكسب. أما الأحداث المذكورة هنا فقد جرت في عهد شاه أرمن ناصر الدين سكمان الثاني (١١٢٨ ـ ١١٨٣). أنظر البنداري ١٨٥ .

الأمير غز أو غلى السلاحي كان قائد جيش سلجوق شاه. . البنداري ١٨٥ ، ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٣) كمال الدين محمد بن علي بن حسين الرازي ـ كان وزير السلطان مسعود لمدة ٧ أشهر. وكان شجاعاً عادلاً « أزل المكوس ورفع المظالم » وكشف أشياء كثيرة كانت مستورة يُخان فيها ويسرق فثقل على أرباب الأعمال فقتله السلطان «على كره منه» لكي يرضي الأمراء والنافذين. ابن الأثير ١١/٢٥ .

بأذربيجان ، فاغتاظ فارتحل الى همدان في عشرة آلاف* عنان . واستدعى الملك سلجوق من خلاط ، ووعده أن يعيده الى فارس ويُخرج له بوز ابه عنها . واستنهض معه أيضاً الملك داود بن السّلطان محمود بن محمّد طبر وأتابكه اياز وكان من صنائع قراسنقر . ولمّا قرب من همدان ، سيّر كاتبه(١) الى السّلطان مسعود بكتب منه ومن الملك سلجوق [والملك داود وجماعة الأمراء]** يذكر له فيه : أنّ خروجهم انّما كان لأنّهم خافوا جانب الوزير ، فان قتلته عادوا الى طاعتك(٢) . فلم يجد وجهاً الى قتله ، فسلّمه الى الحاجب الكبير تتار ، وكان ولي الحجبة الكبيرة بعد ارغان « ٦٢ - ب » الّذي قتله بوز ابه في الوقعة المقدّمة الذّكر .

وكان هذا الاجتماع في شوّال من سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة . ووصل قراسنقر بالمَلِكَيْن سلجوق وداود بن محمود الى خدمة السّلطان مسعود ، وولىّ أبو عزّ [البروجردي] كاتب قراسنقر الوزارة(٣) . وارتحل

---

* في الأصل : ألف .

** العبارة من البنداري (١٨٧) .

(١) كان وزير قارسنقر يدعى مجد الدين عز الملك أبو العز طاهر البروجيردي. (البنداري ١٨٧).

(٢) في البنداري (١٨٧) أن قارسنقر أنفذ إلى السلطان رسولاً مع كتاب:

« إنّا لا نأمن جانب الوزير الكمال وإنا لا نصبر على ما يبدو منه من الأعمال فإما أن تعدمه وإما أن تسلمه فإن دفعته إلينا فنحن طائعون وإن دافعتَ عنه فنحن عن أنفسنا مدافعون ». فاضطر السلطان لتسليم الوزير الذي قتله الأمير الحاجب تتار في شوال ٥٣٣ هـ.
في الراوندي (٣٣٤) أن قارسنقر طلب من السلطان ارسال رأس الوزير ويده اليمنى الأمر الذي اضطر السلطان بعده لقتل وزيره.

(٣) في البنداري (١٨٧ - ١٨٨) أن قارسنقر هو الذي عينّ الوزير. وكما يذكر ابن الأثير ٢٥/١١ فإن السلطان مسعود قد ضاقت عليه الأمور واستقطع الأمراء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شيء من البلاد البتة إلا اسم السلطنة لا غير.

أما الوزير الجديد، وهو أبو العز طاهر بن محمد البروجردي فلم يتحرك إلا بأمر قارسنقر، ووصل إلى قوة وغنى بحيث أصبح صاحب ٤٠٠ قرية. (البنداري ١٨٨).

قراسنقر بالملكَيْنْ قاصداً بلاد فارس ، ووصل الى النُّوبندجان(١) في جمع عظيم . ولمّا سمع بوز ابه بقدومه ، هرب والتجأ الى قلعة بين خوزستان وفارس(٢) . ودخل الملك سلجوق مدينة شيراز(٣) ، وجلس على سرير الملك بها . وأراد [قراسنقر] أن يجعل معه جيشاً فأبَى مقدّم عسكره الأمير السّلاحي المقدّم الذّكر ، أن يفعل ذلك حبّاً للتّفرّد ، وقال لقراسنقر وأنا أكفيك(٤). [فـ] ـاستحسن قراسنقر منه هذا القول وفارقه ومضى الى همدان على طريق خوزستان . وسيّر جماعة من الأمراء الى غير تلك الطّريق مع الملك داود لنيّةٍ نواها ، وأمّا الملك سلجوق وغُزْأغلي فانّهما اشتغلا ، وما ظنّا أنّ عدوًّا يقدم عليهما . فهجم بوز ابه عليهم فقتل أكثر عسكرهم وأسر سلجوقاً وطلع به على قلعة اسفيدذ ، وكان [ذلك] آخر العهد به(٥) .

واستقرّ بوز ابه في مملكته ، وزادت هيبته وخُشي شرّه . ولمّا وصل الخبر إلى قراسنقر فرّ على وجهه ، وقد عزم أن لا يتولّى تدبير مملكته بعد [ذلك] حتّى وصل بروجرد . فورد عليه الخبر بأنّ مدينة « ٦٣ ـ أ » جنزة وأعمالها قد خُسِف بها لكثرة الزّلازل(٦) .

---

(١) نوبندجان ـ مدينة من أرض فارس من كورة سابور، بينها وبين أرّجان وشيراز ٢٦ فرسخاً. ياقوت ٥/٣٠٧.

(٢) حسب ابن الأثير (١١/٢٧) والراوندي (٣٣٥) ـ هذه القلعة هي البيضاء (اسفيدزج ـ فارسية). وفي البنداري (١٨٨) هذه القلعة تسمى بـ كل وكلاب (وردة وماء الورد).

(٣) شيراز ـ مركز فارس الاداري.

(٤) في البنداري (١٨٨ ـ ١٨٩) أن سلجوق شاه الذي كان واثقاً من قائده غزاوغلي السلاحي، قال لآق سنقر: وأنا ما أحتاج إلى أحد ولا أفتقر إلى مدده.

(٥) استولى بوزابه على فارس وأسر سلجوق شاه سنة ٥٣٤ هـ. حسب البنداري (١٨٩) لم يشك أحد في موته. الراوندي (٣٣٥) يذكر أن سلجوق شاه مات في قلعة أسفيدزج. أنظر أيضاً ابن الأثير ١١/٢٧.

(٦) في ابن الأثير ١١/٢٩ ـ ٣٠: « وفيها زلزلت كنجة وغيرها من أعمال أذربيجان وأران إلا=

وفي سنة أربع وثلاثين وصل جاولي جاندار في عسكره من بلاد ارّانية وأذربيجان قاصداً خدمة السّلطان مسعود ، وكان قد أدخل الأمير عبّاس

= أن أشدها كان بكنجة فخرب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة. قيل كان الهلكى مائتين وثلاثين ألفاً وكان من جملة الهلكى ابنان لقارسنقر صاحب البلاد ».

وقعت الهزة في ١١٣٩/٩/٣٠. أحد مواليد وسكان مدينة كنجة مخيتار غوش كان شاهداً ووصف الظاهرة بأنه في شهر أريغ (حسب التقويم الأرمني) في الثامن عشر منه، ليلة الجمعة ـ السبت، في يوم عيد القديس جرجس أرسل الغضب الإلهي الحاد إلى العالم وغضبُ الأرض وخرابٌ قوي، تحركت بدفعات قوية وأصابت هذا البلد ـ ألباتيا. وقد خربت الهزة أماكن كثيرة (مدنا) في مناطق باريسوس وخاجن (حالياً: كرباخ) كما في السهول كذلك في الجبال. نتيجة لهذا الزلزال فإن عاصمة غنجاق كذلك كانت في جحيم تبلع سكانها. وفي كل أطراف سطح الأرض أمسكتهم في أحضانها. وفي المناطق الجبلية هدم كثير من القلاع والقرى مع الأديرة والكنائس على رؤوس ساكنيها وقتل خلق لا يحصى بواسطة الأبنية المهدمة والأبراج الكثيرة. (مخيتار غوش ١١ ـ ١٢).

كيراكوس غانزاكيتس (٦٣، ١٠٣) أحد سكان كنجة يخبر أنه في عام ٥٨٨ (حسب التقويم الأرمني) حدثت هزة أرضية عنيفة خرّبت مدينة كنجة ودمرت المنازل على ساكنيها. وقد قتل من جراء الهزة كثير من الرجال والنساء والأولاد ويصعب حصر الذين بقيوا تحت الركام.

ابن العبري (٢/٣٧٥) يذكر أنه « في الشهر الثاني من سنة ٥٣٣ (حسب التقويم العربي)، حدثت بمدينة كنجة هزة أرضية عنيفة وقتل ٢٣٠ ألف انسان. وطمرت المدينة كلها تحت الأرض وخرجت منها مياه سوداء. أما من نجا فأمضوا الوقت في المقابر يبكون أقرباءهم الذين قضوا ».

في البنداري (١٩٠) أن مدينة كنجة ومحيطها صارت تحت الأرض. دمّرت الهزة المدينة التي ابتلعتها الأرض. ومات حوالي ٣٠٠ ألف من سكانها ونجا من كان في المرتفعات والحصون والقلاع.

مستغلّين حدوث الهزة، فقد هاجم المدينة عسكر جورجيا بقيادة الملك ديميتر (١١٢٥ ـ ١١٥٦). حسب مخيتار غوش (١٢) فإن الجيش الجورجي هاجم المدينة بدون شفقة وبفظاعة وانقضّوا على من بقي فيها من الأحياء، عاملين فيهم السيف أو حوّلوهم إلى عبيد أرقاء وبدون النظر إلى ما جرى بالمدينة التي كانت كبيرة وتحوّلت فجأة إلى جحيم فإن أكداس الذهب وجبال الجثث البشرية كانت ملقاة سوية في كومة واحدة، فقاموا بنبش =

صاحب الرّي في خدمة السّلطان . وكان عبّاس هذا غلاماً من غلمان جوهر المقرّب(1) ، الخادم المذكور ، في خواصّ السّلطان الأعظم سنجر .

ولمّا أفرد السّلطان سنجر الرّي لنفسه ، كما ذكرنا ، ولّاها لجوهر فولّاها مملوكه عبّاساً . ولمّا قُتل جوهر بيد الباطنيّة ملك عبّاس البلد وتقوّى بعسكر مولاه ومماليكه ، وكانوا أربعة آلاف* مملوك تتبعهم عساكر عظيمة . واشتغل بقتل الباطنيّة وأخذ ثأر مولاه حتّى بنى من رؤوسهم منارة وأذّن عليها المؤذّن ، وقُتل منهم ما لا يحصيه إلّا الله تعالى(2) .

---

* في الأصل : ألف .

= واستخراج الكنوز الذهبية والفضية وأخذوها معهم. وكذلك، بهجماتهم، نكّلوا بالشعب بشكل أكثر قساوة من الهزة نفسها.

أثناء الهزة، انهار جبل قياباز (حسب كيراكوس غانزاكيتس ـ جبل الخَرَق) وسدّ الوادي ثم تشكل بحر يوجد حتى الآن هو ـ بحيرة غوكْ كَلي المعاصرة قرب كيرو أباد (كنجة). في هذا الوقت قرب كيلباجار (جمهورية أذربيجان السوفياتية) تنبع عين ماء شافية مشهورة هي أينسق ـ سو.

ويذكر مختار غوش (12) أن قارسنقر ، إذ علم بالهزة الأرضية، عاد إلى أرانية وبدأ بإعادة إعمار وتحصين هذه البلاد. أعاد بناء أسوار كنجة المهدمة وأقام السلم على أطراف حدودها. أنظر البنداري 190.

الأتابك قاسنقر ، صاحب أذربيجان وأرانية، توفي من السل في أردبيل سنة 535 هـ. ابن الأثير 11/30. البنداري 190. أما مختار غوش (13) فيؤرخ وفاته سنة 589 أرمنية (1140 ـ 1141). وكان من مماليك السلطان طغرل وسلمت أذربيجان وأرانية إلى الأمير جاولي الطغرلي وكان قارسنقر عظم محله على سلطانه وخافه السلطان. ابن الأثير 11/30.

(1) المقرّب جوهر الخادم الحبشي، أحد قادة السلطان سنجر البارزين، قتله باطنيون متخفون بزي النساء عام 534 هـ. ابن الأثير 11/29، ابن الجوزي 10/87، سبط ابن الجوزي 8/1، 175.

(2) في البنداري (191) أن الأمير عباس حتى موته قاتل الباطنية بدون رحمة وقتل ما يزيد على مئة ألف. وقد بنيت هذه المنارة من جماجم الاسماعيليين قرب الريّ. وقتل أحد قادة الاسماعيلية: ابراهيم السهلوي فأحرقه ولد عباس شحنة الريّ في تابوته. ابن الجوزي 10/95 وابن الأثير 11/34.

وحين وصل جاولي جاندار خدمة السّلطان خدمه فارتفع عنده . وكان السّلطان قد عزل الحاجب تتار عن الحجبة ، وولّاها الأمير فخر الدّين عبد الرّحمن بن طغايرك[1] . وكان الأمير خاصبك بن بلنكري[2] من خواصّ السّلطان ، فاجتمع هؤلاء مع جاولي جاندار وعبّاس على خدمة السّلطان .

وفي سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة قُتل الملك داود بن السّلطان محمود بأيدي الباطنيّة غيلةً بتبريز[3] . « ٦٣ ـ ب » وكان عمّه السّلطان مسعود وكان زوجه ابنته ، وملكه تبريز وأقعده على التّخت بها . وفي هذه السّنة تأكّدت بين عبّاس صاحب الرّي وبين بوز ابه صاحب فارس صحبة ، واتّفقا على طلب السّلطنة . فكتب بوز ابه الى السّلطان مسعود أنّي قاصد المجيء الى خدمتك ، وتحرّك من شيراز بالملكَيْن محمّد وملكشاه ابني السّلطان محمود أخي السّلطان مسعود . وخرج عبّاس من الرّي ومعه سليمان شاه أخو السّلطان ، مُظهرين الطّاعة ، مُضمرين خلافها . وكتب* الى الأمير جاولي جاندار يستدعيه ، فوجده متعتّباً من أجل قبض السّلطان على وزيره أبي العزّ البروجردي من غير اذنه. فلمّا علم السّلطان ذلك ، سيّر خيله الى بغداد وحثّ السّير ومعه من الأمراء الحاجب الكبير عبد الرّحمن بن طغايرك ، وكان قد انعقدت بينه وبين جاولي مصاهرة ، وخاصبك بن بلنكري[4]. ووصل بوز ابه وعبّاس إلى همدان

* أي السلطان .

(١) فخر الدين عبد الرحمن بن طغايرك وصلَ إلى رتبة أمير حاجب كبير. البنداري ١٩٢ وابن الأثير ١١/٣٤.

(٢) اسمه الكامل ـ بك.أرسلان خاصبك بن بلنكري. بلنك (فارسية) تعني النمر الأرقط. آرى (تركية) تعني ـ نحلة. كان من غلمان السلطان مسعود. أنظر البنداري ١٩٢ .

(٣) الملك داوود قتله الاسماعيليون في محرم ٥٣٨ هـ. ابن القلانسي ٢٧٧ والبنداري ١٩٥ .

(٤) قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردي ووزّربعده المرزبان بن عبيد الله بن نصر=

لقصدهما ، فلم يجدا السّلطان مسعود ، وبطل عليه ما كان قد رآه . واتّصل بها الأمير ناصر الدّين خطلبا البازداري ، فكتبوا كلّهم الى الأمير جاولي جاندار يقولون له : أنت أميرنا وأعظمنا ، فان قدمت الينا كنت مقدّم جيوش من ينتصب على سرير « ٦٤ ـ أ » الملك وأطعناك أجمعنا . فكتب اليهم يشكرهم ، وردّ رسولهم بجميل . وجمع العساكر واتّصل به اياز الّذي كان أتابك الملك داود في حياته ، والأمير شيرين بن اقسنقر ، ونهد جاولي بهم الى همدان قاصداً قتال الثّائرين على السّلطان مسعود . فوجدوا الشّتاء قد عمّ البلاد ، والثّلوج قد سدّت الطّرق ، فأقام بعسكره مجتمعاً وسيّر [الى] السّلطان مسعود ببغداد* يستدعيه . فرحل السّلطان مسعود مسرعاً ، وسار على الدّربند القرابلي الى المراغة ، حتّى اتّصل بجاولي جاندار . فلمّا رأى جماعة الأمراء المذكورين في صحبة السّلطان مسعود عند رحيله الى بغداد ارتفاع جاولي الجاندار ، حسدوه وأجمعوا على قتله ، ومن جملتهم الحاجب الكبير عبد الرّحمن بن طغايرك صهره ، وخاصبك بن بلنكري لأنّه كان قد حلّ بتبريز عنه وأقرّها على ارسلان . فاحتالوا على اغتياله ففطن لهم ، وكان يضرب خيمته ناحية [خيمة السّلطان] ، وقال للسّلطان مسعود : أنا على موافقتك ، ولكن لا أجتمع أنا وأنت بمكانٍ واحد بعد هذا الاّ وأنت راكب فرسك وأنا كذلك على الانفراد . وما اجتمعا الاّ كذلك . وقال للسّلطان مسعود أيضاً : ان أردت بقائي على خدمتك فقدّمني بين يديك ، وامضِ لقتال أعدائك ، حتّى يريك الله فيهم ما تحبّ . فاستقاله « ٦٤ ـ ب » السّلطان مسعود ،

---

* في الأصل : وسير السلطان مسعود الى بغداد .

= الأصفهاني وسلم إليه البروجردي فاستخرج أمواله ومات مقبوضاً. ابن الأثير ٣٩/١١. البنداري ١٩٥ ـ ١٩٦. الراوندي ٣٣٦. وقد قرر السلطان، خائفاً من بوزابه وعباس، أن يكفل تأييد جاولي، لكن قتله لوزيره أدى إلى رفض جاولي مساعدة السلطان. البنداري (١٩٩).

كان حاولي متزوجاً من ابنة عبد الرحمن بن طغايرك (البنداري ١٩٣).

وأمر بكتب سجلٍ يتضمّن أنّه فوّض الى جاولي جاندار الحلّ والعقد ، وأمر الأمراء بموافقته . وشرع جاولي في استمالة سليمان شاه الى أخيه ، وسيّر نسخة أمان عن السّلطان مسعود ،ووصل الى أخيه مفارقاً لعبّاس ، ووصل خوارزمشاه وأخوه[1] وتبعهم الأعيان من الأمراء . ولّما علم بوز ابه وعبّاس أنّ الأمر الذي حاولاه قد فات افترقا على معاودة* . فلمّا علم السّلطان افتراقهم قال لجاولي يمضي في طلبهم ، فرحلوا الى مدينة سجاس[2] . وقال لجاولي : اتبعْ اثر بوز ابه ، فالعسكر والشّوكة معه ، وأنا أسير إلى الرّي وراء عبّاس . فمضى جاولي الى همدان ، ومضى السّلطان مسعود لنحو الرّي وقبض على أخيه سليمان شاه ، وحبسه في قلعة **سرجهان**[3] . ولّما علم بوز ابه بقصد جاولي وهو بهمدان هرب منها وترك خزائنه بها . ولّما بلغ جاولي خبر تقييد سليمان شاه قال في نفسه : اذا كان هذا السّلطان فعل بأخيه بعد خلعه له ما فعل ، فكيف يكون معي أنا وأنا غريب منه ! . وسيّر الى بوز ابه : أنّي ما أتيتك قاصداً لقتالك ، بل طالباً موالاتك ، والاجتماع معك على ما تريده . فسيّر اليه بوز ابه يقول : دليل ما تذكره من طلبك موالاتي خزانتي فانّ فيها ثلاثين ألف وقر** من المال أودعتها « ٦٥ ـ أ » في دار الأثير أبي عيسى . فسيّرها اليه جاولي ، فعند ذلك صحّت المعاقدة بين جاولي وبوز ابه وعبّاس على

---

* قبل « معاودة » توجد في الأصل كلمة « تفزر » .

** في الأصل : وقرا .

(١) المقصودخوارزم شاه علاء الدين آتسز وأخوه يوسف (توفى ١١٥٦ م) . البنداري (٢٠١) .

(٢) سجاس ـ بلد بين همذان وأبهر . ياقوت ٣/١٨٩ .

(٣) سرجهان ـ قلعة حصينة « على طرف جبال (الديلم) تشرق على قاع قزوين وزنجان وأبهر . وهي أحصن القلاع وأحكمها . رأيتها» ياقوت ٣/٢٠٧ .

يكتب ابن الأثير (٤٤/١١) أن سليمان شاه نفي إلى قلعة تكريت عام ٥٤١ هـ . أنظر كذلك ابن الجوزي ١٠/١١٩ .

أن يأتي بوز ابه بالملك محمّد بن السّلطان محمود بن محمّد طبر . وتأكّدت الوحشة بينهم وبين السّلطان مسعود ، وتواعدوا الى جمادى الأولى من السّنة الدّاخلة ، وهي سنة احدى وأربعين وخمس مائة ، والقدر يضحك ممّا اجتمعوا عليه ودبّروه . وتمادى الأمر الى زمن المواعدة ، فسيّر جاولي الأمير تتار لاستنجاز وعد بوز ابه ، وجاولي ببلد ميانج[1] . ولمّا علم الأمير الحاجب عبد الرّحمن بن طغايرك أنّ تتار قد مضى الى فارس ، تحرّك من جهة السّلطان مسعود ليصدّ تتار عن فارس . وطال المقام على جاولي واجتمعت اليه العساكر وأبطأ عنه خبر بوز ابه وعبّاس ، ولم يكن له بدّ من المسير . فسار قاصداً الى همدان وهو في اثني عشر ألف دارع وفارس ، فخيّم على زنجان[2] . وكان قد افتصد لغير علّة ، ثمّ تصرّف بيده ، وعنّ له أرنب فجرّ قوسه ورماه ، فتألّم عرقه وتورّم ساعده وتجاوز الدّم حلقه وصدره ، فانتقل الى بطن الثّرى من ظهره . فتوفّي بزنجان في جمادى الأولى سنة احدى وأربعين وخمس مائة[3] . وفيه يقول المظفّر بن ميّدي [الزّنجاني] من قصيدة[4] :

عشرون ألف مهنّد قد أصلتت   فلّت مضاربها نِكايةُ مِبْضَع

ومن قبله توفّي سعد الدّولة يرنقش[5] ، والأمير قزل أمير آخر

(١) ميانج ـ مدينة في جنوب أذربيجان . (بونياتوف ٢٢٦) .

(٢) زنجان ـ « بلد كبير مشهور من نواحي الجبل بين أذربيجان وبينها وهي قريبة من أبهر وقزوين . والعجم يقولون زنكان بالكاف » . ياقوت ١٥٢/٣ ـ ١٥٣ .

(٣) يكتب مختيار غوش (١٤) أن جاولي وقف بوجه السلطان مسعود وقتل قرب زنجان سنة ٥٩٥ أرمنية (١١٤٦ ـ ١١٤٧) أنظر ابن الأثير ٤٤/١١ ـ ٤٥ . البنداري ٢٠٣ ـ ٢٠٤ . الراوندي ٢٤١ . سبط ابن الجوزي ١/٨ ، ١٨٩ .

(٤) في سبط ابن الجوزي (١/٨ ، ١٨٩) أن هذه الأبيات هي للشاعر حسان بن تميم نصر ابن الندى . ومات سنة ٥٦٠ هـ .

(٥) مظفر الدين سعد الدولة يرنقش البازدار كان صاحب قزوين . خريدة القصر وجريدة العصر للأصفهاني ـ القسم العراقي ، الجزء الأول ص ٢١٤ .

وغيرهما . وتفرّقت الجيوش وعاد كلّ واحد الى مكانه ولمّا تحرّك « ٦٥ ـ ب » الحاجب عبد الرّحمن لأن يصرف وجه الأمير تتار عن قصد الأمير بوز ابه ، كتب اليه يحضّه على الاصلاح بين السّلطان مسعود وبين بوز ابه . وقال له قل لبوز ابه : هذا وقت تدبيرك أمر المملكة . فأشار تتار عليه بذلك ، فكوتب به عبّاس فخرج هو وبوز ابه في عساكرهما قاصدين الاجتماع بالسّلطان مسعود . ولمّا اجتمعا به اشترطا عليه شروطاً أجابهم اليها[1] . واستوزروا له تاج الدّين بن دارست الفارسي[2] كاتب بوز ابه ، وقرّروا معه أن يكون معه بلاد ارّانية وأرمينية واذربيجان ، وكلّ ما كان يتولاّه جاولي الجاندار لعبد الرّحمن بن طغايرك ، وأن يكون معه خاصبك بن بلنكري . وتقرّر أن تكون الخدمةعلى الثّلاثة : عبد الرّحمن وبوز ابه وعبّاس بالنّوبة . وانفصل بوز ابه الى فارس ، وعبد الرّحمن الى أعماله[3] . ورحل السّلطان مسعود ومعه عبّاس الى بغداد ، وكان قد أمر خاصبك بن بلنكري بقتل عبد الرّحمن ان أمكنته فيه فرصة . فركب الأمير عبد الرّحمن بن طغايرك يوماً يسيّر الأمراء لقتال الكرج ، وهو يسيّر أميراً ولا يترك عنده أحداً ، وانّ خاصبك بن بلنكري واقف ومعه زنكي الجاندار وقد قرّرا قتله ، فتقدّم الجاندار فضرب رأس الأمير عبد الرّحمن

---

(١) حسب البنداري (٢١٣ ـ ٢١٤) فإن أمير حاجب الكبير فخر الدين عبد الرحمن بن طغايرك قرّر بعد موت الجاولي أن يستولي على اقطاعاته ـ أرّانية وأرمينية. لكنه يعرف أن هذا غير ممكن بوجود خاصبك بن بلنكري من أجل تحقيق أهدافه فإن ابن طغايرك استمال إلى جانبه صاحب خوزستان وفارس بوزابه وصاحب الريّ عباس.

(٢) تاج الملك بن دارست الفارسي الشيرازي يتحدر من أسرة عرفت المناصب. أبوه عضد الدين كان رئيساً لديوان الأرض. وعمه ـ تاج الملك أبو الغنائم بن دارست كان وزيراً.

(٣) عينّ السلطانُ مسعود عبد الرحمن بن طغايرك أتابكاً لإبنه ملكشاه وأهداه مقاطعة كنجة وأرانية (الراوندي ٣٤١، البنداري ٢١٥). ويذكر ابن الأثير (٤٤/١١) أن السلطان أصبح بعد ذلك ضعيف السلطة بسبب تمركزها بيد ابن طغايرك الذي عينّ بوزابة حاجباً وأتابكاً للملك محمود، وعباس ـ نائباً للحاجب. أنظر الراوندي (٣٤٢ ـ ٣٤٣).

فشجّه وضُرب بعد ذلك حتّى قُتل[1] . وملك خاصبك ارّانية وفرّق « ٦٦ ـ أ » الولايات وامتدّ الى أردبيل لمحاصرتها وبها الأمير آق ارسلان* فأخرجه منها بالأمان[2] . ولمّا وصل الخبر الى بغداد ، والسّلطان بها وعبّاس معه ، أحضر عبّاساً لداره كأنّه يشاروه فيما يفعل . فلمّا دخل أمر به فُضربت عنقه ورُميت** جثته، وذلك في بكرة خميس من ذي القعدة سنة احدى وأربعين وخمس مائة[3] . وركب عسكر عبّاس ومقدّمهم الأمير اقسنقر الفيروزكوهي وقاتلوا السّلطان مسعود ، فلم يلتفت ، وركب عسكره فحمى داره ، ثمّ استدعاه بعد ذلك فولاّه الرّي مكان سيّده فانصرف شاكراً .

وأقام السّلطان مسعود ببغداد تلك الشّتوة ، فلمّا انحسرت بلغه تحرُّك بوز ابه من فارس طالباً ثأر صاحبيه . فأغذّ السّلطان مسعود السّير الى همدان ليسبق بوز ابه اليها[4] ، وطيّر الكتب الى خاصبك ليقدم اليه .

---

* في الأصل : آقسنقر .

** في الأصل : رمى .

(١) كان مسعود ينتظر فرصة للانقضاض على عبد الرحمن طغايرك وقد حقق له هذه الأمنية بك أرسلان خاصبك بن بلنكري الذي كان ضمن جيش عبد الرحمن، وبالاتفاق مع جاندار اسمه زنكي الذي ضرب عبد الرحمن بمقرعة حديد على رأسه فسقط إلى الأرض فأجهز عليه خاصبك. وكان ذلك في شوّال ٤٤١ هـ. قرب جنزة. ابن الأثير ١١/٤٤، الراوندي ٣٤٤، البنداري ٢١٦ ـ ٢١٧. يؤرخ مختار غوش (١٤) لمقتله سنة ٥٩٦ أرمنية (١١٤٧ ـ ١١٤٨).

(٢) بعد أردبيل، حاصر خاصبك مراغة مدة طويلة دون نجاح. البنداري ٢١٧ .

(٣) عندما علم الأمير عباس صاحب الري بمقتل عبد الرحمن امتعض من ذلك وأراد التوجه بجيشه إلى بغداد. إلا أن السلطان داراه ولطف به واستعان لتقوية موقعه بالأمير البقش كون خروتتر الذي كان حاجباً. ثم قتلوه واحتزوا رأسه في ١٤ في القعدة ٥٤١ هـ. أنظر ابن الأثير ١١/ ٤٤ . الراوندي ٣٤٥ . البنداري ٢١٧. ابن القلانسي ٢٩٠ ـ ٢٩١. ابن الجوزي ١٠/١٢٣. سبط ابن الجوزي ٨/١، ١٩٣ .

(٤) كانت همذان عاصمة السلطنة السلجوقية في العراق.

ورحل بوز ابه ومعه الملكان محمّد وملكشاه ، ولدا السّلطان محمود ، حتّى أتى الى أصفهان فملكها ، وسلّمها له صدر الدّين ابن الخجندي[1] ، وأجلس الملكين على التّخت وضرب لهما النّوب الخمس[2] . ثمّ رحل قاصداً الى همدان حتّى وصل مرج قراتكين ، وهو على مرحلة من همدان ، واتّصل به ابن عبّاس صاحب الرّي . فلمّا عرف السّلطان مسعود قربهما ، خرج اليهما في عسكره ، وسيّر الى خاصبك يستعجله . « ٦٦ - ب » فوصل وقد قرب وعد اللّقاء في جمع كثيف ، والتقوا على المرج ، وحمل بوز ابه بنفسه على قلب جيش السّلطان مسعود ، فكان الجيش منهزماً* ، ولمّا توسّط كبا به فرسه فأسر وحُمل الى السّلطان مسعود ، فعاتبه عتباً كثيراً ، وهو لا يتكلّم ولا يتألّم . وأراد الابقاء عليه ، فأبى خاصبك فقتله السّلطان مسعود[3] وانجلى النّقع عن ابن عبّاس[4] مقتولاً وانهزم الملكان .

ثمّ انّ السّلطان مسعود راسل ابن أخيه الملك محمّد وزوّجه ابنته** ، وملّكه كورة خوزستان . ولمّا لم يبق مع خاصبك أحد ينازعه الرّياسة قبض الحاجب تتار ، فقتله في شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وأربعين وخمس

---

* في الأصل : منهزم .

** في الأصل : لإبنته .

(١) صدر الدين محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الخجندي كان رئيس أصحاب الشافعي بأصفهان. وهو بنفسه سلّم المدينة لبوزابه لأنه كان عدوّ السلطان مسعود. مات في شوّال ٥٥٢ هـ. أنظر ابن الأثير ٨٦/١١. ابن القلانسي ٢٩٥، ابن الجوزي ١٧٩/١٠.

(٢) حول ذلك أنظر الراوندي ٣٤٨ والبنداري ٢١٩ .

(٣) قُتل بوزابة في ٥٤٢ هـ وأرسل رأسه إلى بغداد. وقد قتل في هذه المعركة التي جرت في مرج قاراتكين خلقٌ كثير من الفريقين. وكانت من أعظم الحروب الكائنة بين الأعاجم. أنظر ابن الأثير ٤٥/١١.

(٤) قُتل ابن عبّاس في ساحة المعركة. أنظر ابن القلانسي ٢٩٤ والبنداري ٢٢ .

مـائة . ثمّ وصـل الى بغداد جماعـة من الأمـراء ومعهم الملك ملكشـاه بن محمود[1] وهم متناصرون على خلع السّلطان مسعـود . وخرج أهـل بغداد لدفعهم عنها فانهزموا لهم حتّى أستجـروهم* ثمّ كثروا عليهم فقتلوا منهم خمس مائة رجل . ثمّ طلبوا من الخليفة المقتفي لأمر الله ثلاثين ألف دينـار ليرحلوا ، فأشار عليـه كتّابه بـذلك الاّ يحيى بن هبيـرة صاحب الـدّيوان فـانّه قـال : ان كان لا بـدّ من إتلاف هذا المبلغ فـالرّأي انفـاقـه في جيش يدفعهم من التّرك المـطلقة ببغـداد وأنواع النّـاس ، ويكون هـذا يداً عنـد السّلطان مسعـود ، ثمّ لو دُفـع لهم ذلك لجعلوا بغـداد مخبـأةً لهم . فقبـل الخليفة « ٦٧ ـ أ » رأيه وخـرج بذلـك الجيش اليهم فهزمهم . وكـان هذا من الآراء الصّائبة والخواطر الثّاقبة . فرأى الخليفة أن يستـوزر ابن هبيرة ، فخلع عليه خلعها يوم الأربعاء رابع عشر ربيـع الأوّل سنة ثـلاث وأربعين وخمس مائة[2] . وكان أبو القـاسم هبة الله بن الفضـل البغدادي[3] طبيبـاً

---

* في البنداري (٢٢٢) : أصحروا .

(١) من الأمراء المستائين من السلطان مسعود لميله إلى خاصبك واطراحه لهم نـذكر: بعض الأمراء من أذربيجان، أيلدكز المسعودي صاحب كنجة وأرانيـة وقيصر، ومن الجبـل البقش كـون خر، وتـتر الحاجب، وشحنـة واسط طرنـطاي المحمودي، وألـدكين وقـرقوب وابن طغايرك. وقد توجه هؤلاء بعساكرهم إلى بغداد فـوصلوها في ربيـع الآخر ٥٤٣ هـ. لكن عـامة بغـداد صـدّوهم في البـداية وقتـل، فيـما بعـد، خلق كثير. ابن الأثـير ١١/٥٠. والبنداري ٢٢٢.

(٢) أبـو المظفـر عون الـدين يحيى بن الحسن بن جهم بن عمر بن الحـوفزان، الشيبـاني وزير ورجـل دولة. كـان على مـذهـب الإمام أحمـد بن حنبل. قـرأ الأدب عـلى أبي منصـور بن الجواليقي وتفقّه على أبي الحسين محمد بن محمد الفراء. قُلّد سنة ٥٤٢ كتابة ديوان الزمـام ثم تـرقى إلى الوزراة عـام ٥٤٤ هـ. ولد في سنـة ٤٩٧ هـ. يـذكـر ابن كثـير (٢٥٠) أن الخليفتين المقتفي والمستنجد كانا يقولان بأن العباسيين لم يعرفوا قبلاً وزيراً مثل ابن هبيرة. أنظر ابن خلكان ٦/٢٣٠ ـ ٢٤٤ . ابن الأثير ٩/٢٦ ، الأصفهاني ٢/٢٧٠ .

(٣) أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العـزيز بن محمـد بن الحسين بن عـلي بن أحمد بن الفضل بن يعقـوب بن يوسف بن سـالم المعروف بـابن القطان الشـاعـر المشهـور=

فاضلاً وكان معاصراً للحيص بيص (١) ، وخرجا في جملة عسكر الخليفة فقال هبة الله بن الفضل قصيدة منها :

في العسكر المنصور نحن عصابة مرذولة أخسس بنا من معشر
خذ عقلنا من فعلنا في ما ترى من خسّة ورقاعة وتهوّر
تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا نمضي لنأخذ ترمذاً من سنجر
الحيص بيص مبارز بقناته وأنا بشعشعتي طبيب العسكر
هذاك لا يُخشى لقتل بعوضة وأنا فلا أرجى لداءٍ مُدبر
أُجري بمبضعي الدّماء وسيفه في الغمد لم يعرض لظفر الخنصر

وفي شعبان من هذه السّنة وصل السّلطان الأعظم معزّ الدّنيا والدّين أبو الحارث سنجر الى الرّي . وذلك أنّه لمّا سمع ما تمّ بالعراق من تأخّر أمرائه واستيلاء خاصبك بن بلنكري على أمر السّلطان مسعود [نهض على كبر سنّه ووصل الى الرّي] (٢). فلمّا بلغ السّلطان مسعود ذلك ، أجفل من همدان قاصداً بغداد فثنى شرف الدّين الخادم (٣) رأيه . قال : أنت

= البغدادي. له ديوان شعر وكان غاية في الخلاعة والمجون كثير المزاح والمداعبات، مغرى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم ولد سنة ٤١٨ ومات سنة ٤٩٨ هـ. وله مع حيص بيص ماجريات كثيرة. أنظر ابن خلكان ٦/٥٣ ـ ٦١.

(١) أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين المعروف بحَيْصَ بَيْصَ الشاعر المشهور. فقيه شافعي ـ لكن الأدب ونظم الشعر غلبا عليه. من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم. كان يلبس زي العرب ويتقلد سيفاً. وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد فقال: ما للناس في حيص بيص، فبقي عليه هذا اللقب. تقول العرب: وقع الناس في حيص بيص أي في شدة واختلاط. مات سنة ١١٧٩ م. أنظر ابن خلكان ٢/٣٦٢ ـ ٣٦٥.

(٢) عبارة: « نهض على كبر سنه ووصل إلى الريّ » مأخوذة من البنداري ٢٢٤.

قدم السلطان سنجر إلى الريّ أساساً من أجل قتل خاصبك. الراوندي ٣٥٠. ابن الأثير ١١/٥٤.

(٣) شرف الدين الموفق كردباز ـ أحد الخدم النافذين عند السلطان مسعود وخلفائه. مات في ٤ جمادى الأول ٥٦١ هـ. أنظر البنداري ١٩٤، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤٢ وما يليها.

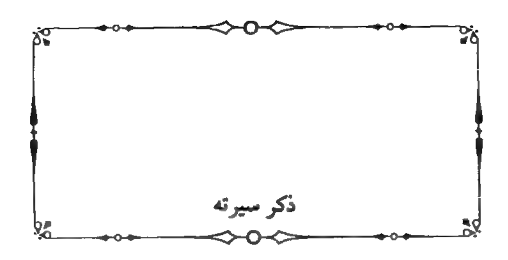
« ٦٧ ـ ب » لا تقدر على مقاومة عمّك ، والرّأي أن تمضي اليه وتخدمه كما فعل أخوك . فسار الى الرّي وأبي خاصبك والوزير أن يتبعاه[1] . ولمّا وصل الى عمّه السّلطان معزّ الدّين سنجر ، أكرمه غاية الاكرام ، وخلع عليه ، ونسي لنظره ايّاه كلّ ذنب . وشفع [السّلطان مسعود] عنده في خاصبك ، فأجابه وودّعه الى خراسان[2]، وعاد السّلطان مسعود فشتّى في بغداد ثمّ عاد الى همدان فمات بها[3] .

---

(١) هو الوزير شمس الدين أبو النجيب الأصم الدركزيني. أنظر البنداري ٢٤٥ والراوندي ٣٢٥، ٣٤٦، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨١.

(٢) حول هذه الأحداث أنظر ابن الأثير ١١/٥٤. البنداري ٢٢٤. الراوندي ٣٥٠ وما يليها.

(٣) عن هذه الأحداث أنظر بالتفصيل الفصل التالي.



ذكر سيرته

كان حسن الأخلاق لا يقبل نميمة ولا يرفع نمّاماً ولكنّه يرفع الأسافل وكان كثير الاتّكال* على المقدّر . توفّي في سنة سبع وأربعين وخمس مائة[1] ، ودُفن بهمدان في المدرسة الّتي بناها جمال الدّين اقبال الجاندار الخادم[2] . فكانت مدّة سلطنته نحواً من ستّ عشرة** سنة .

وزراؤه :

---

* في الأصل : كان كثر رفع الأحوال والابكال .

** في الأصل : ستة عشر .

(1) حسب ابن الأثير (١١/ ٦٠) توفي السلطان مسعود في أول رجب ٥٤٧ هـ. في ابن الجوزي (١٠/ ١٤٧): في السابع من رجب ٥٤٧ هـ.

كان للسلطان مسعود الألقاب التالية :

سلطان العراق، السلطان المعظم، شاهنشاه الأعظم، مالك رقاب الأمم مولى العرب والعجم، جلال دين الله ، سلطان أرض الله ، ناصر عباد الله ، حافظ بلاد الله ، ظهير خليفة الله ، غياث الدنيا والدين، ركن الاسلام والمسلمين، عضد الدولة القاهرة، مغيث الأمم القاهرة أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين. أنظر ابن القلانسي ٢٨٤ .

يكتب ابن الأثير (١١/ ٦٠) أنه مع موته « مات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعده راية يعتمد بها ولا يلتفت إليها » .

(2) المدرسة التي بناها جمال الدين اقبال تقع في محلة سر برزه. الراوندي ٣٥٤، رشيد الدين ٢/ ٥، ١٣٥، البنداري ٢٢٧، ابن خلكان ٥/ ٢٠٠ _ ٢٠٢ .

كان استوزر له قراجا السّاقي عند أوّل خروجه على أخيه السّلطان طغرل تاج الدّين دارست، واستوزر لمّا دخل بغداد في أيّام أخيه في سنة سبع وعشرين وخمس مائة الوزير أنوشروان بن خالد ، ثمّ استوزر عماد الدّين أبا* البركات الدّركزيني وكان نسيب القوام [1]. ولم يكن عنده تدبير يقتضي الوزارة ، فعزله ثمّ ولّى الوزير كمال الدّين محمّد بن الخازن الرّازي ، وصرف أبا* البركات بجميل . وكان هذا الوزير أحسن الوزراء تدبيراً وأقام معه الى أن اجتمع قراسنقر وملك داود « ٦٨ ـ أ » وملكشاه بن السّلطان محمود وأرادوا قتله في شوّال سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة . [و] استوزر مجد الدّين عزّ الملك أبا* العزّ البروجردي ، وكان كثير المال ، يقال إنه كان في ملكه أيّام وزارته أربع مائة قرية ، ثمّ عزله في سنة تسع وثلاثين وصادره . واستوزر مؤيد الدّين المرزبان بن عبد الله الأصبهاني ، قتله عزّ الملك وقتله خنقاً ، وكان كثير الشّرب لا يفارقه ساعة . ثمّ أعاد بعده تاج الدّين بن دارست الوزير الى وزارته . وكان قد كتب لبوز ابه صاحب فارس . ثمّ استوزر شمس الدّين أبا النّجيب الأصمّ الدّركزيني وتوفّي وهو وزيره .

لمّا توفّي السّلطان مسعود ، كما ذكرنا ، طمع الحشم بالسّلطان الأعظم معزّ الدّين سنجر ، وأظهروا المضاغنة بينهم ، وصار كلّ واحد منهم يطلب مرتبة الآخر عند السّلطان وتحاسدوا . فلمّا اتّفق مصافّه مع الغزّ ، لم يكونوا الغزّ يقدرون على أن يقاتلوا أحد أمرائه . فحملهم الحسد للأمير مؤيد بن يرنقش[2] أنّهم خذلوه وهو في الحرب ، وتركوه حتّى ضُرب ضربات

---

* في الأصل : أبو .

(١) قوام الدين الدركزيني كان وزير السلطان سنجر وطغرل ومحمود.

(٢) مؤيد الدين يرنقش هريوه ـ أحد وزراء السلطان سنجر البارزين ومقربيه الشخصيين.

يكتب البنداري (٢٧٦) حول أسباب اختلال مُلْك سنجر وانحلال سلكه فيقول: « لما امتدّت مدّة حياته وأمدّت بالطول مادة عمره تسلّط الأمراء على سلطان أمره وتسحّبوا على=

كثيرة ، فحُمل من المعركة في آخر رمق ومات في تلك السّاعة[1]. فلمّا رأى السّلطان خذلانهم ايّاه واسلامهم أكثر أمرائه ، علم أنّه ان قاتل الغزّ

= قدره وحقّر الصغير حق الكبير وتأخر الكبير لتقدم الصغير واستخف الوقور ووقّر الخفيف وصرف القوي وصرّف الضعيف ووقع التحاسد بينهم والتحاقد وارتفع وانحلّ التساعد والتعاقد وكان أكابر الدولة في ذلك العهد سنقر العزيزي ويرنقش هريوه وقزل وأضرابهم وأقدم منهم قماج وعلي الجبري وقد اختلفت أراؤهم وآرابهم وركب كلٌّ منهم أمَّ رأسه وعض على الأضرار بأضراسه ».

(۱) استوطنت القبائل الغزّية الأراضي الواقعة تحت سلطة السلاجقة في عهد السلطان ملك شاه. وفي عهد السلطان سنجر انتقل الغزّ إلى أراضي خراسان. وكان الغز (التركمان) القاطنين في مقاطعة البلخ يتمتعون بحياة نصف مستقلة ويمدّون السلطان بـ ٢٤ ألف رأس غنم سنوياً مقابل استعمال المراعي في المنطقة. وكان مقطع بلخ الأمير سباهسلار عماد الدين قماج.

أولى مظاهر الاستياء الغزية تجلت في التحصيلات التي كان يفرضها عليهم المحصل الرسمي الأمر الذي أدى إلى مقتله على أيديهم. وقد استغلّ الأمير قماج هذه الحادثة وتحادث مع السلطنة من أجل تعيينه شحنة ولاية البلخ مقابل اعطائه ۳۰ ألف رأس غنم. وعندما تكلم قماج مع الغزية كي يدفعوا ضريبة (رسم جنايات) على مقتل المحصل، رفض هؤلاء وأعلنوا أنهم لا يخضعون إلا للسلطان. عندها سار قماج إليهم في عشرة آلاف فارس. ففاوضهم الغز من جديد مقابل أن يعطوه من كل بيت ۲۰۰ درهم، فرفض طالباً منهم النزوح عن البلاد. وجرى القتال الذي أدى إلى انهزام قماج إلى مرو حيث السلطان سنجر.

في مرو، طلب الأمراء وقماج من سنجر تجهيز حملة ضد الغز الذين، وقد رأوا السلطان في مئة ألف فارس، عرضوا عليه تقديم ٥٠ ألف رأس خيل وإبل و۲۰۰ ألف رأس غنم و۲۰۰ ألف دينار وخراجاً كبيراً. وقد أراد سنجر قبول هذه الشروط لكن الأمراء فرضوا عليه المواجهة مع الغز.

لما وطأت عساكر السلطان مراعي الغز، عرض هؤلاء رفع قيمة وكمية المعروض منهم. لكن، وتحت ضغط الأمراء أيضاً، رفض السلطان عرضهم وجرت المعركة التي ادت إلى هزيمة شنعاء لسنجر، وقتل قماج والعديد من الأمراء. أنظر ابن الأثير ٦٦/١١ ـ ٧٠ ، الراوندي ٢٦٨ ـ ٢٧١ ، البنداري ٢٨١ ـ ٢٨٣ . وقد جرت المعركة في محرم ٥٤٨ ، وفي الراوندي ـ في نهاية ٥٤٨ هـ.

انهم يسلمونه فلم يقاتلهم . وترك القوم وعاد الى بلخ ، ومن بلخ الى مرو . وتبعه الغزّ الى مرو ودخل البلد وبقي « ٦٨ ـ ب » فيه أيّاماً ثمّ خرج اليهم كما ذكرناه في أوّل كتابنا[1] . وبقي بينهم من سنة ثمان وأربعين وخمس مائة في شهر ببيع الأوّل . فلم يزل مقيماً عندهم الى شهر رمضان سنة احدى وخمسين وخمس مائة . ثمّ تسلّل من بينهم في هذه السّنة من بلخ على غرّةٍ منهم وعبر جيحون ودخل قلعة ترمذ[2] ، وفيها الأمير عماد الدّين أحمد بن علاء الدّين أبي بكر بن قماج[3] . وتوجّه الأميرآي ابه المؤيد[4] من نيسابور الى خدمة السّلطان ، فلمّا وصل الى ترمذ وجّهه السّلطان الى صغانيان[5] وبعث معه الأميرقي ابه القماجي . فعقد الأمير المؤيّد ذات يوم مجلس الشّراب ، واستحضر الأمير قي ابه ، وكان تقدّم الى بعض القوّاد بقتله ، فقُتل وهو جالس بين يدي الأمير المؤيّد يتلاعبان بالنّرد . فلمّا بلغ الخبر الى الأمير عماد الدّين أحمد بن علاء الدّين ، استشاط غضباً من ذلك ودخل دار السّلطان وقتل بعض خواصّه بين يديه . وقتل جماعة من أمراء السّلطان والحشم المؤيّديّة ، وأغلق باب

---

(١) رغم وقوع سنجر في أسر الغزّ إلا أنهم تعاملوا معه على أنه السلطان، لكن سلطة سنجر الفعلية كانت قد ضعفت كثيراً. حول هزيمة سنجر أنظر بالتفصيل ابن الأثير ١١/٦٦ ـ ٦٧، الراوندي ٢٦٨ ـ ٢٧١ .

(٢) في ابن الأثير (١١/٧٩) أن سنجر أسر في ٦ جمادى الأول ٥٤٨ هـ. .

(٣) الأمير سباهسلار الأجلّ الكبير عماد الدين أحمد بن علاء الدين أبو بكر بن قماج ـ أمير خراسان،.كان قائد عسكر السلطان سنجر.

(٤) المؤيد آي آبه كان مملوك السلطان سنجر. علا شأنه أثناء الاضطرابات الغزيّة وأطاعه كثير من الأمراء حيث تمكن من احتلال نيسابور، طوس، نسا، ابيورد، شهرستان، الدامغان. ابن الأثير ١١/٧٩. وقد قُتل في ٥٦٩ هـ.

(٥) صغانيان ـ ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ. . والقصبة أيضاً على هذا الاسم. ياقوت ٣/٤٠٨ ـ ٤٠٩. والمقصود هنا القصبة وهي تقع في وادي نهر سورهاندار. حيث الآن مدينة دينا في جمهورية أوزبكستان السوفياتية.

القلعة . فعاد الأمير المؤيّد الى ترمذ ، واضطرب العسكر وحيل بينهم وبين السّلطان . ثمّ وقع الصّلح على أن يخلّي الأمير عماد الدّين أحمد سبيل السّلطان حتّى يخرج من القلعة ، فخرج السّلطان وانتقل الى مرو في رمضان سنة احدى وخمسين « ٦٩ ـ أ » وخمس مائة . والتفت اليه العساكر وتوجّه اليه الأمراء من البلاد القاصية ، وكان مدة مقامه بين الغز من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمس مائة .

وُلد السّلطان معزّ الدّين أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، لخمس بقين من رجب سنة تسع وسبعين وأربع مائة . وتوفّي بعد خلاصه من الغزّ ، يوم الأثنين رابع عشر ربيع الأوّل سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة . ودُفن في قبّة بناها لنفسه وسمّاها دار الآخرة . وكانت مدّة سلطنته نحواً من أربعين سنة ، ومدّة مملكته اثنتين وستّين سنة ، وعمره اثنتان* وسبعون سنة وثمانية أشهر وعشرة أيّام[1] .

وكان لسنجر جواهر مجموعها** بالوزن ألفاً وثلاثين رطلاً ، وهذا أمر عظيم ، ولا يستكثر لمن استخرج جميع ما ادّخره السّلطان الغازي أبو القاسم محمود بن سبكتكين وآل بويه[2] . ولمّا استأسر الغزّ السّلطان

---

* في الأصل : اثنان .

** في الأصل : مجموعه .

(١) ابن خلكان (٢/٤٢٨) يذكر أن سنجر وُلد في ٢٥ رجب ٤٧٩ هـ. في البنداري (٢٥٥) ـ ٢٦ رجب ٤٧١ هـ.

كان سنجر يلقب بـ: سلطان خراسان، السلطان المعظم، شاهنشاه الأعظم مالك رقاب الأمم سيد سلاطين العرب والعجم ناصر دين الله مالك عباد الله الحافظ بلاد الله سلطان أرض الله معين خليفة الله معز الدنيا والدين كهف الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة تاج الملّة الظاهرة وغياث الأمم الباهرة أبو الحرث سنجر بن ملك شاه برهان أمير المؤمنين. أنظر القلانسي ٢٨٤ وابن الأثير ١١/٨٣ ـ ٨٤.

(٢) استمرت الدولة البويهية الحاكمة في العراق من ٩٣٢ ـ ١٠٥٥ م .

سنجر ، ضيّقوا عليه وأجروا لـه راتباً لا يصلح لسـائسه . وكـان يـركب معهم بتـوكيل وحفـظة ، ويسمّونـه السّلطان ويقبّلون الأرض بين يـديـه ، ويقولون : نحن رعيّتك ويـظهرون تعـظيمه ، وليس لـه من الأمر شيء . وكـان من أفضل آل سجلوق « ٦٩ ـ ب » عقـلاً وعلماً ومحبّـةً لأهـل العلم وكرماً . وكـان من أعظـم الملوك همّـةً . وذكر عنـه ظهير الـدّين الخازن أنّ السّلطان سنجر بلغ ما أطلقه في خمسة أيّام متواليـات من العين سبـع مائـة ألف دينــار ، ومن الثّـوب الأطلس الأحـمـر ألف ثـوب ، غـير الخيــل والخلع[1] . ومن أخباره مع أهل العلم ، أنّ الفتنة لمّا وقعت بين الشّـافعيّة والحنفيّة ، حتّى قُتل بنيسـابور من الحنفيّـة سبعون رجـلاً ، وكان السّلطان معسكراً بالقرب منها ، فاستدعى الحاجب الكبير محمود القاشـاني وقال : إذهـب الى محمّد بن يحيى[2] وقل له : السّلطان يقـول لك : هـذه البلدة لك أو لي ؟ ان كانت لي فاخرج منهـا ، وان كانت لـك فتهيّأ لي وعـلى كلّ حال دعها واخـرج . فجاء محمـود الى حلقة الشّيـخ محمّد بن يحيى بجامع نيسابور ، وهو جالس يُطالع ، فـما اكترث بـه ولا قطع مـطالعته ، فجلس الحـاجب وقال : السّـلام عليكم . فـرفـع رأسـه وقـال : وعـلى عبـاد الله

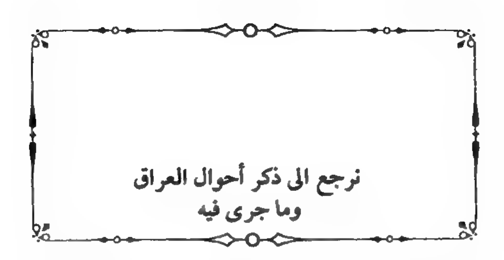
---

(١) كان سنجر من أعظم الملوك همة وأكثرهم عطاء، ذكر عنه أنه اصطبح خمسة أيام متوالية ذهب في الجود بها كل مذهب، فبلغ ما وهبه من العين سبعمائـة ألف دينار، غـير ما أنعم بـه من الخيل والخلع والأثاث وغير ذلك. اجتمعت في خـزائنـه ألف وثـلاثـون رطـلاً من الجوهر. وفرّق يوماً ألف ثوب من الـديباج الأطلس عـلى أمرائـه حتى لا يقال إنه مال إلى المال. أنظر ابن خلكان ٢ /٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

(٢) الشيخ محيي الدين محمد بن يحيى النيسابوري ـ فقيه نيسـابور وشافعي بارز. كـان موضـع احتـرام العالم الاسـلامي كله. قتله الغز في نيسـابور في شـوّال ٥٤٩ هـ. قال فيـه علي بن ابراهيم الكاتب (ابن الأثير ١١/٦٧):

مضى الذي كان يجني الدّر من فيه	يسيل بالفضـل والأفضـال واديـه
مضى ابن يحيى الذي قد كان صوب حيا	لأبر شهر ومصبـاحاً لـداجيـه
خـلا خراسان من علم ومن ورع	لما نعـاه الى الآفـاق ناعيـه
لما أماتوه مـات الديـن وا أسفـا	مـن ذا الـذي بعد محي الـدين يحييه

الصّالحين . فجثا الحاجب بين يديه وقال : السّلطان يسلّم عليك ويقول : بلغنا ما جرى في هذه القضيّة ، وأنت الحاكم فيها تفعل ما تريد ولا أحد ينازعك ويردّ حكمك ، فانّا انّما نلنا ما نلناه ببركتك وذخائر دعائك . ثمّ انصرف الى السّلطان ، وقد ندم السّلطان على ارساله غاية النّدم وهو ينتظر الحاجب . فقال السّلطان ما « ٧٠ ـ أ » قلت للشّيخ محمّد ، فأعاد الحاجب الحال بعينها . فقال السّلطان : احلف برأسي أنّك قلت هذا . فحلف له ، فسُري عنه وقال : نعم الرّجل أنت . وزاد في منزلته وأضاف ولاية نيسابور اليه رحمه الله . وانقطع بعده استبداد السّلاجقة بمملكة ما وراء النّهر والبغداد واستولى على مملكته خوارزمشاه .



نرجع الى ذكر أحوال العراق وما جرى فيه

لَمّـا توفّي السّلطان مسعـود ، ولم يكن له ولـد ذكر ، وكـان الحـاكم في أيّامه كلّها عليه وعلى بلاده وأجنـاده الأمير خـاصبك بن بلنكـري ، حكم محبّة وارادة ، لا حكم تمرّد ومعاندة .

فلمّا توفّي السّلطان مسعود اجتمع اليه الأمراء وتفاوضوا في من ينصبونه منصب السّلطنة ، فاختلفت آراؤهم بذلك . وكـان السّلطان محمّد وأخـوه ملكشاه ابنا* السّلطان محمود بن محمّد طبر بن ملكشاه في خوزستان قد جعلهـا السّلطان مسعود طعمـةً لهما . فلمّا علما بموت السّلطان خرجـا من خوزستان . فأمّا ملك محمّد فانّه قصد همـدان ، وأمّا ملكشـاه فانّـه قصد أصبهـان . فمال سـائر الأمـراء الى السّلطان محمّد ، ومـال خـاصبك بن بلنكـري والأمير زنكي جـانـدار الى ملكشـاه[1] ، وعجّـل السّلطان محمّـد

* في الأصل : ابني .

(1) بعد موت السلطان مسعود أطاع الأمراء ملكشاه. وكما في عهد السلطان مسعود، كذلك الآن، فإن السلطة كانت بيد خاصبك بن بلنكري. أما ملكشاه نفسه فكان سكّيراً وينادم المغنّين والراقصين. وقد أثار هذا استياء الأمراء. ولما رأى خاصبك الوضع على ما هو عليه ألقى القبض على ملكشاه وأرسل إلى أخيه الملك محمد يستدعيه من خراسان لتنصيبه سلطاناً. أما الأمراء الذين كانوا في خدمة محمد ومنهم: الأمير مشيّد الدين بن شاه ملك=

القدوم الى همدان والعساكر كلّهم مجتمعون بها . فلمّا وصل الى « ٧٠ - ب » باب همدان خرج سائر الأمراء الى خدمته ، ما عدا خاصبك بن بلنكري ، والأمير زنكي جاندار وكان صاحب أذربيجان ، فانّهما لم يخرجا الى خدمته . فلمّا استقرّ السّلطان محمّد في الكُشْك الجديد بباب همدان ، وصارت العساكر والأمراء كلّهم بخدمته ، اضطّر خاصبك بن بلنكري والأمير زنكي الى أن أخذا على السّلطان غياث الدّين محمّد بن محمود بن محمّد طبر العهود والمواثيق . واستأمنا اليه وخرجا الى خدمته الى الكُشْك ، فتلقّاهما بالاكرام ، وخصّهما بالاجلال والاعظام ، وبلّغهما أمانتهما ، وفوّض الى الأمير خاصبك بن بلنكري أتابكيّة العساكر والأجناد حسب ما كان عليه في عهد السّلطان مسعود . وكان يخرج الى خدمته في كلّ يوم يتصدّق عليه بالانعام والتّشريفات والاكرام ، فلم يزل كذلك مدّة والسّلطان محمّد يستصلحه بكل ما يقدر عليه من صنوف الاحسان ، وهو مضمر للغلّ والعصيان ، الى أن ظهر للسّلطان محمّد أنّه قد كتب الى الملك ملكشاه يستقدمه الى همدان حتّى يسلّم الأمر اليه[1] . فدعاه يوماً لمأدبة عملها فجاء اليه هو والأمير زنكي جاندار ، ودخلا عليه وقد أعدّ لهما رهطاً من أصحابه ، وأمرهم أن يحكّموا* فيهما السّيوف اذا دخلا عليه . فلمّا مثلا بين يديه وثبوا عليهما « ٧١ - أ » وقتلوهما بين يديه وحزّوا رأس كلّ واحد منهما ورموه خارج الدّار . وشاع الخبر في العسكر بقتلهما فانهزم

---

* في الأصل : يحكّمون .

= والوزير الكمال أبو شوجة الزنجاني، فقد أعلموا محمداً عن خطر بقاء السلطة بيد خاصبك فقرروا بعد أن ينصّب محمد سلطاناً، أن يقتلوا خاصبك. أنظر ابن الأثير ١١/٦٠ - ٦١، ابن الجوزي ١٠/١٤٧، الراوندي ٣٧٣ - ٣٧٦، البنداري ٢٢٧ - ٢٢٨. رشيد الدين ٢/٥، ١٣٦ - ١٣٨.

(١) كان هدف خاصبك اعتقال محمد وتنصيب نفسه سلطاناً. ابن الأثير ١١/٦١، الأتابكية ١٠٥، الراوندي ٣٧٢، ابن العبري ٢/٣٩٢ رشيد الدين ٢/٥، ١٤٠ - ١٤١.

أصحابها* وفشا فيهم القتل ، والغارة على دوابّهم وسلاحهم وأمتعتهم(١) . ودخل السّلطان محمّد الى همدان وقد نال ما كان يتمنّاه من الملك ، وصفت له مشارع الولاية وضفت عليه ثياب المملكة . فلمّا علم أخوه** ملكشاه بذلك هرب من أصفهان وعاد الى خوزستان(٢) .

وكان الأمير شمس الدّين الدكز في أرّان قد اعتزل بالأموال كلّها ، وصار همّه حفظ ما بيده الى أن تسفر كوامن الأمور ، وتنجلي له غاية الظّاهر منها والمستور . فلم يزل مقيماً في نخجوان(٣) ، وكاتب السّلطانَ

---

* في الأصل : أصحابهم .

** في الأصل : أخيه .

(١) حول مقتل خاصبك والأمير زنكي جاندار أنظر بالتفصيل ابن الأثير ٦١/١١، الراوندي ٣٧٢ وما يليها. البنداري ٢٣٠ - ٢٣١، ابن الجوزي ١٥٣/١٠ - ١٥٤، رشيد الدين ١٤١،٥/٢ - ١٤٣.

(٢) استطاع ملكشاه الذي اعتقله خاصبك، الهربَ من الأسر في خوزستان. بعد موت محمد ادعى حقه بالسلطنة. وبعد أن احتل أصفهان أرسل إلى بغداد مطالباً الاعتراف به سلطاناً. لكن الوزير ابن هبيرة، في عهد عم ملك شاه ـ سليمان شاه، تمكن من قطع ادعاءات ملك شاه في السلطنة عن طريق تسميمه بواسطة احدى الجواري وذلك في ربيع الأول ٥٥٥ هـ. ابن الأثير ٩٨/١١ - ٩٩، البنداري ٢٩٥ .

(٣) مؤسس دولة أتابكة أذربيجان شمس الدين ايلدكز المسعودي (مملوك السلطان مسعود) كان حاكماً على الريّ وكنجة. وفي عام ٥٤٩ كان أحد صاحبي (سوية مع نصرة الدين أرسلان آبه) أذربيجان. (البنداري ٢٤٢ - ٢٤٣) .

مختار غوش (١٧) يذكر أن ايلدكز قتل خاصبك أتابك ابن السلطان، الذي كان يتنافس معه. ويردف غوش بأنه بعد موت السلطان مسعود، عمل ايلدكز على تنصيب أرسلان شاه، الذي كان ابن زوجته، ملكاً ومنح نفسه لقب أتابك.

بقتله خاصبك بن بلنكري، قرر السلطان محمد أن هذا العمل سوف يضعف من مواقع الأمراء المؤثرين في الدولة. فارسل رأس خاصبك إلى الأتابك شمس الدين ايلدكز وحاكم مراغة نصرة الدين بن آق سنقر، معتقداً أنهما، بعد مقتل خاصبك، لن يقفا معارضين للسلطان. وكانت ردّة فعل صاحبي أذربيجان أن أرسلا له: « انك أخطأت وزعمت أنك أصبتَ وما يثق قلب إليك وإن وثقنا فإنك باليمين التي حلفت بها له تحلف، وبمثل الوعد الذي أخلفته معه تُخلف فليس لنا بك المام ولا لك معنا كلام ». البنداري (٢٣١).

محمّد : أنّه عبده ومملوكه ، والمنقاد لأوامره ، والواقف عند نواهيه وزواجره ، فإن كان السّلطان يؤثر حضوري الخدمة حضرتُ ، وان رأى أن أقيم في وجه عدوّ الاسلام أقمت . واجتمع حوله من التّركمانية عدد كثير وجمّ غفير . فكاتبه السّلطانُ محمّد : أنّه ليس لنا في هذا الوقت حاجةٌ الى حضورك في الخدمة ، فكُنْ هناك رِدْءاً للمسلمين ، وحصناً لهم بدفع معرّة المشركين[1] .

وأقام السّلطان بهمدان ، وصار يكاتب الأطراف ، وكلّهم يدخلون تحت طاعته وما منهم إلاّ من يُلقي اليه زمام الطّاعة ، ويدخل تحت الاستكانة والضّراعة . « ٧١ ـ ب » فاستقامت له البلاد وفوّض ولاية الرّي الى اينانج[2] . وكان يليها في زمن السّلطان مسعود ، وخُطب له في الموصل وديار بكر وخلاط وسائر البلاد .

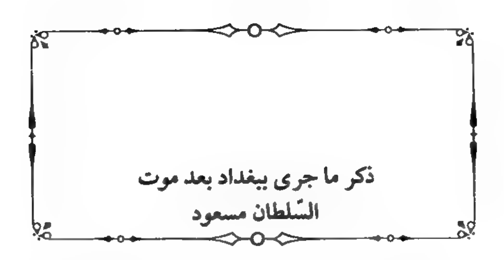
---

(١) حاول الخليفة المقتفي لأمر الله استغلال العداء والتطاحن على العرش السلطاني بين ملك شاه ومحمد وسليمان شاه. عندما كان ملك شاه أسيراً احتل العرش محمد. أما عمهم سليمان شاه الذي كان قد عينه السلطان سنجر ولي عهده، فقد سارع إلى ادعاء السلطنة وساندہ الخليفة في هذا الصراع. حيث أهداه الثياب الفاخرة واعترف به سلطاناً وخطب باسمه، وأمده بالعساكر وعيّن حاجبه حاكم الحلة الأمير مؤيدان، وعيّن ولي العهد ملك شاه الذي توجه الى بغداد .

أما سليمان شاه فقد توجه إلى أذربيجان حيث وافاه وانضم اليه هناك مع عساكره الأتابك شمس الدين ايلدكز. وأرسل السلطان محمد إلى صاحب الموصل الأتابك قطب الدين مودود للمساعدة في المعركة التي جرت في جمادى الأولى عام ٥٥١هـ. هُزم سليمان شاه ومن معه بل ووقع في الأسر نائب قطب الدين مودود ـ زين الدين علي كوجوك ونفي إلى قلعة الموصل حتى عام ٥٥٥ هـ.

أما ايلدكز فقد غادر إلى أذربيجان وأرسل للسلطان محمد يسأله العفو وصار ذلك وطلب أن يبْعث إلى القصر ابنه نصرة الدين محمد جهان ـ بهلوان. انظر ابن الأثير ١١/٧٧ ـ ٧٨. الأتابكية ١٠٨ ـ ١٠٩. البنداري ٢٣٢ ـ ٢٣٣. الراوندي ٣٨٣.

(٢) كان صاحب الري اينانج خان (بك) مملوك السلطان مسعود. قتل سنة ٥٦٤ هـ. ابن الأثير ١١/١٣٠. البنداري ٣٠٣.



ذكر ما جرى ببغداد بعد موت السّلطان مسعود

وكـان السّلطان مسعود لّما بلغ الامام المقتفي لأمـر الله ، أخـذ عليـه العهود والمواثيق ، أنّه لا يتقدّم بشري الغلمان الأتراك فعاهده على ذلك . وكان أصحاب السّلطان مسعود يتصرّفون ببغداد تصرّفاتٍ فاسدة ، أكثرها يقع على غير وفق المقتفي لأمر الله . وربّمـا كان ينهـاهم عنها فـلا ينتهون ، ويـزجرهم فـلا ينزجـرون . والنّـائب عن السّلطان ببغـداد كـان **مسعـود البلالي**[(١)] خادم سخيف العقـل والرّأي ، قليـل الدّين ، بعيـد* من رسوم السّياسة المعقودة ، يقصد بـذلك ايحـاش الامام المقتفي لأمـر الله . وكانت المراسلات من الدّيوان العزيز تتـوالى الى السّلطان مسعود بـالشّكايـة منه . فتـارةً كان يـزجره عن فعله وتـارةً يمسـك عنـه . فحصـل في قلب الامـام المقتفي لأمـر الله من ذلك وحشـة وانطوى عـلى حقد . فلمّا تـوفّى السّلطان مسعـود ، تشمّر لـدفع الأعـاجم عن بغداد . وكـان له « ٧٢ ـ أ » ممـاليك بعضهم روم وبعضهم أرمن ، فجعلهم أمراء ، وفوّض الى كلّ واحد منهم

---

* في الأصل : بعيدة .

(١) مسعود البلالي ـ شحنة السلطان مسعود في بغـداد، وكان أحـد الخدم الخصيـان الحبشيين الكبار من أمراء دولته. أنظر ابن الجوزي ١٠/١٣١ وابن خلكان ٦/٢٣١، وابن الأثير ١١/٥٠.

جانباً من جوانب العراق[1] . وانهزم مسعود البلاليّ من بغداد[2] ، وجمع جمعاً وقصد بغداد ، فخرج اليه الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وهزمه . ثم جمع جمعاً آخر وقصد الحلّة ،فخرج الوزير عون الدّين مرّةً أخرى وهزمه . فانتهت الهزيمة به الى اللّحف[3] ، وأقام هناك مدّة . وكان السّلطان محمّد قد أمدّه بالأمير سلّارجور بن الزّهيري الكِردي[4] ، وكان من كبار الأمراء السّلطانيّة ، واتّفقا وقصدا الحلّة واجتمع عندهما عسكر جرّار . وتهيّأ الوزير عون الدّين أن يخرج اليهما ، فاتّفق أنّ مسعود البلاليّ عمل مأدبة وكان نازلاً بالحلّة في الجانب الغربيّ ، وسلّار نازلاً في الجانب الشّرقي . وعبر مسعود البلاليّ اليه يستدعيه الى المأدبة ، فقام معه ونزل في سماريّة ليعبرا الى الجانب الغربيّ ويحضرا* في المأدبة ، فعادت المأدبة على الأمير سلّار مندبةً . فأخذه مسعود البلاليّ وهو في السّماريّة ، وأوثقه وشدّ برجليه ثقّالة ورماه في الفرات ، فغرق في الحال وأصحابه على شاطىء الفرات ينظرون اليه لا يقدرون له على مدافعةً وتفرّق جمعهم[5] .

وهرب مسعود البلاليّ ومضى الى همدان الى خدمة « ٧٢ ـ ب » السّطان محمّد ، وأشعره أنّ سلّار راسل الامام المقتفي لأمر الله واتّفق معه

---

* في الأصل : يحضران .

(١) عن هؤلاء المماليك أنظر البنداري ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٢) هرب مسعود البلالي من بغداد فور موت السلطان مسعود في رجب ٥٤٧ هـ. وذلك إلى تكريت. ابن الأثير ١١/٦٠.

(٣) جرت المعركة في ذي القعدة ٥٤٧ هـ. احتل عسكر الخليفة الحلة، الكوفة، وواسط، وطرد من كل العراق تقريباً كل الموظفين السلاجقة. ابن الأثير ١١/٦١. البنداري ٢٣٥.

اللحف ـ صقع معروف من نواحي بغداد . ياقوت ٥/١٤ .

(٤) حسب ابن الأثير (١١/٦١: سلاركرد)، سلارجور الكردي أرسل إلى الحلة ليس من قبل محمد بل من قبل ملك شاه (البنداري ٢٣٥).

(٥) حول مقتل سلارجور أنظر ابن الأثير ١١/٦١، البنداري ٢٣٥، ابن الجوزي ١٠/١٤٨.

على أنّه يأخذني ويسلّمني اليه ففعلت ذلك . وما زال مسعود البلاليّ يحضر عند السّلطان محمّد ، ويهوّن عليه أمر بغداد ، وأنّه متى قصد أهلها لم يثبت أحد بين يديه ، وأنّه قادر على أخذها في أيسر مدّة ، وأنّ الّذين هم بها قوم ما جرّبوا الحرب ولا عرفوا أمراً من الطّعن والضّرب . وما كان بين يديّ [أحد] الاّ يُعلمهم بقلّة العسكر معي ، ولو كان بالعراق ألف فارس من أصحاب السّلطان تهيّأ* لهم ما اعتمدوه . وفي ذلك كلّه يستمع السّلطان محمّد منه كلامه ، ولا يلتفت الى مقاله ويطلب اتيان الأمر من بابه . وصار يكاتب الامام المقتفي لأمر الله ، ويغلّظ له الأيمان المؤكّدة : أنّني لست كمن تقدّمني من السّلاطين ، وأنّني عبد الطّاعة ومعتقد في الامامة ، لا أتعدّى ما أؤمر به ولا أقترف ما أُنهى عنه ، واذا وقع الرّضا علمت أنّني عند الله من المقبولين ، ومتى نفرت الهمّة الاماميّة عنّي حسبت أن أكون عند الله من المطرودين . فلم يوافقه الامام المقتفي بجواب يُرضيه (١) .

فلمّا رأى مسعود البلاليّ أنّ الأمر يتطاول ، وحركة السّلطان الى بغداد تتثاقل ، عاد الى تكريت من غير اذن . وكان « ٧٣ ـ أ » بها الملك ارسلان شاه بن السّلطان طغرل طفلاً صغيراً ، فأخرجه وقصد اللّحف وكان فيه البقش أحد امراء السّلطان مسعود ، ومعه عسكر لجب . فأقام عنده ومعه ارسلان شاه بن السّلطان طغرل واجتمع اليهم

* في الأصل : ما تهيّا .

(١) رفض الخليفة المقتفي لأمر الله الاعتراف بمحمد سلطاناً، متهماً إياه بأنه وراء مقتل خاصبك بن بلنكري. عندها فإن الأمراء الذين لهم اقطاعات في العراق اتخذوا رغم ارادة محمد قراراً بالقيام بحملة على بغداد.

وصلت إلى تكريت عساكر كثيرة،حيث يوجد في النفي ملك شاه بن سلجوق شاه وارسلان شاه بن طغرل بن محمد طبر. طلب الأمراء من مسعود البلالي تسليم أرسلان شاه من تكريت، ووضعوه على رأس عساكرهم. أنظر ابن الأثير ٧١/١١ ـ ٧٢. البنداري ٢٣٦ ـ ٢٣٧ . الراوندي ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

سائر التّركمان ، وصاروا في عساكر تموج بهم ويستر الغبارُ وجهَ السّماء .
ووصل خبرهم الى المقتفي لأمر الله ، وقد اجتمعت عساكر عظيمة من أصحابه والأكراد الجاوْانيّة[1] بأسرهم ، ومقدّمهم مهلهل ، وقد أقطع الحلّة وما ينضاف اليها ، والأمير قُوَيدان أحد الأعيان من الأمراء السّلطانيّة . وأصدعت العساكر من واسط والبصرة والعراق ، وكان مقدّمهم الأمير منكوبرس المسترشدي وكان قد أقطع البصرة وأعمالها ، وقتلغ برس وكان صاحب واسط وأعمالها ، والأمير بدر بن مظفّر بن حمّاد صاحب الغرّاف والبطايح[2] . واجتمع ببغداد عسكر لم يجتمع مثله في وقت من الأوقات ، وخرج الامام المقتفي لأمر الله بنفسه من بغداد وعسكر براد الروذ[3] . وتقدّم البقش ومسعود البلاليّ ومعهما الملك ارسلان شاه بن السّلطان طغرل وسائر التّركمانيّة يقرب عددهم نحو ثلاثين ألف مقاتل وتواعدوا للقتال . فبرزوا بكرةً وقد عبّأ امير المؤمنين المقتفي لأمر الله عساكره . فجعل على « ٧٣ ـ ب » الميمنة قُوَيدان وابن سلمة القمّي وبدر

---

(١) الأكراد الجاوانية (الجوان بالفارسية : شاب) من المحتمل أن يكونوا من الأكراد الشبان المتطوعين.

(٢) البطيحة (جمع بطائح). أرض واسعة بين واسط والبصرة. سميت بذلك: لأن المياه تبطّحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض. ياقوت ١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١.

الغرّاف ـ نهر كبير تحت واسط بينها وبين البصرة. ياقوت ٤/ ١٩٠ .

(٣) في البنداري (٢٣٧) هو مكان يدعى بجمزا. في ابن الأثير (١١/ ٧٣): بكمزا. في ياقوت:

بجمزا: « قرية من طريق خراسان كانت بها وقعة بين المقتفي لأمر الله وكون خر ومسعود البلاليّ أصحاب السلطان محمد بن محمود في ٥٤٩هـ. (١/ ٣٤٠).

وبَكَمْزَة: قرية بينها وبين بعقوبانحوفرسخين، كان بينها وبين بعيقبة الوقعة المشهورة بين المقتفي لأمر الله والبقش كون خر أحد الأمراء من قبل السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه، فانهزم البقش وأرسلان شاه وحزبهم وغنم عسكر المقتفي معسكرهم ورجع المقتفي إلى بغداد غانماً وذلك في سنة ٥٤٩ هـ » (١/ ٤٧٥).

ابن حمّاد صاحب الغرّاف وجماعة أخرى ، وجعل على الميسرة الأمير قتلغ برس صاحب واسط من مماليك الدّولة ، وثبت في القلب ومعه مماليكه وأصحابه . وصار معه في القلب منكو برس المسترشدي صاحب البصرة ، وكان عند قتل المسترشد حصل* في الشّام وصار له بها صيت عظيم ، وكان اذا كان في جيش أو سريّة لا يقابله أحد من الفرنج لبأسه وشدّته ، وتزوّج بنت صاحب دمشق الأمير معين الدّين[1] . فلمّا خلص العراق للامام المقتفي لأمر الله استدعاه من دمشق وفوّض اليه ولاية البصرة ، وكان عليماً بترتيب الجيوش وأسباب الحرب فثبت مع الامام المقتفي لأمر الله في القلب ، والوزير عون الدّين ابن هبيرة أيضاً في القلب . وتقاتل الفريقان والأمير منكو برس بين الصّفّين يسوّي الصّفوف ، ويشير عليهم** بالثّبات الى وقت الاذن لهم بالحملة . فحملت ميسرة البقش وفيها مسعود البلاليّ على ميمنة المقتفي لأمر الله فكشفوهم وفيهم مهلهل فانهزم ، ووصلت هزيمته الى بغداد . وحملت ميمنة الامام المقتفي لأمر الله على ميسرة البقش وفيها أمراء التّركمان فانكشفوا بين أيديهم وأوقعوا فيهم الأسر والقتل . ومنكوبرس لازم بحَكَمة بغلة الامام المقتفي لأمر الله « ٧٤ ـ أ » . وحملت قلب البقش على قلب أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله ، فانحاز منهم جماعة حتّى وقفوا مع الامام المقتفي ، وتفرّق أصحاب قلب البقش لمّا رأوا اندفاع من اندفع بين أيديهم حتّى صاروا الى المخزن المعمور ، وأوقعوا فيه النّهب . وخلا قلب البقش فحمل عليهم الأمير منكو برس والوزير عون الدّين يحيى بن هبيرة ، فلم يثبت البقش بين

---

* أي بقي واستقرّ .

** في الأصل : اليهم .

(١) الأمير سباهسلار معين الدين أنر (القادر) بن عبد الله ـ مملوك أتابك طغتكين، صاحب دمشق. قاد العساكر في حروب ضد الصليبيين. مات في ٢٣ ربيع الثاني ٥٤٤ هـ. ابن الأثير ١١/٥٥، الأتابكية ٥٨ ـ ٥٩، ٨٨ ـ ٩٠، ١٣١، ابن القلانسي ٣٠٦، سبط ابن الجوزي ٨/١، ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

أيديهم وانهزم . وتبعه العسكر يقتلونهم ويأسرونهم الى أن أتوا على أكثرهم قتلاً وأسراً . ولمّا علم من حصل في المخزن من أصحاب البقش ، ترك ما كان حصل له من النّهب ، ونجا بنفسه . فمنهم من حصلت له النّجاة ، ومنهم من قُتل . وحاز عسكر أمير المؤمنين من سائر أصناف الغنائم ما لا يحصره حدّ ، ولا يأتي عليه عدّ . ورجع المقتفي الى بغداد مؤيّداً منصوراً ، مظفّراً محبوراً ، وخلص العراق من عبث* فساد مسعود البلاليّ والتّركمان . وكانت هذه الواقعة سنة خمسين وخمس مائة[1] . ولمّا انهزم البقش حُمل الملك ارسلان شاه بن السّلطان طغرل بن محمّد طبر بن ملكشاه بن ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الى أذربيجان ، الى الأمير شمس الدّين الدكز[2] . وكانت أمّ الملك ارسلان شاه زوجة الأمير شمس الدّين الدكز ، وله منها ولدان : أحدهما محمّد الأمير نصرة** الدّين أتابك بهلوان ، والآخر عثمان مظفّر الدّين قزل ارسلان ؛ « ٧٤ ـ

---

* كذا في الأصل . ولعلّها : خبث .

** في الأصل: شمس ، وهكذا ترد دائماً. لذا لن نشير اليها عند تصحيحها .

(١) جرت هذه المعركة في رجب ـ شعبان ٥٤٩ هـ واستمرت ١٨ يوماً، ابن الأثير ٧٤/١١. أنظر بالتفصيل: الراوندي ٤٠٨، البنداري ٢٣٧ ـ ٢٣٩، ابن الجوزي ١٥٦/١٠ .

في البنداري (٢٣٩ ـ ٢٤٠) أنه عندما عاد الأمراء إلى السلطان محمد بن محمود « نـدّمهم وعابتهم على الملك الذي نـدّ منهم وقال كسرتم ناموسكم وأتلفتم نفوسكم وأهلكتم التركمان وعرضتم للسبي الذراري منهم والنسوان ثم أخرجتم الملك أرسلان وغفلتم عن حفظه وهو الآن عند ايلدكز وستبصرون ما يفضي إليه الأمر ولابدّ أن يتوجه إليّ من جانبه الشر، وقد صار الخليفة خصماً فلا يخلص بعد هذا وردُّ دولتنا معه من الشوب ولا يقبل على قبول التوبة ولا يرتضي صواباً إرضا هذا الصوب » وكان كما حسب فإن الخليفة لم يغفر للسلاجقة بعدها ذنباً ولا فرّغ لهم من جهته قلباً.

(٢) مات الأمير البقش كون خر في رمضان ٥٤٩ هـ. ابن الأثير ٧٤/١١، وابن الجوزي ١٥٨/١٠ ـ ١٥٩ . أما الملك أرسلان شاه فقد اقتيد عند الأمير ايلدكز من قبل والي همذان الأمير آق سنقر هو مرتكين. الراوندي ٤٠٨، البنداري ٢٣٩، ابن الجوزي ١٥٨/١٠ .

ب » وابنته كانت عند صاحب مراغة[1] . فحصل الملك ارسلان شاه عند الأمير شمس الدّين الدكز .

ولمّا كانت سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة قصد السّلطان محمّد بغداد[2] ، ومعه عساكر العراق وأذربيجان ، سوى الأمير شمس الدّين الدكز فانّه أقام بأذربيجان مقاتل الكرج ، والأمير اينانج بقي في الرّي خوفاً من الغزّ ، وكانوا قد وصلوا الى جرجان . واستعدّ الامام المقتفي لأمر الله للحصار ، وأدخل الى بغداد من المِيَر والعلوفات والأغنام والأبقار ما يقيم بها ويمن فيها من العسكر . وبذل الأموال واجتمعت العساكر اليه من كلّ مكان ، حتّى صار من العساكر ما لم يُعهد مثلها مجتمعة ببغداد . وصل السّلطان محمّد الى بغداد ونزل من جانب باب الشّمّاسيّة ، وبقي مدّةً لا يأمر بقتال ، وهو يراسل الامام المقتفي لأمر الله : أنّه عبد الطّاعة ، وأنّه ليس له مقصود بمجيئه الى بغداد الاّ أن يعود عنها ، وقد علم ملوك الأطراف أنّ أمير المؤمنين عنه راضٍ ، وأن يُسعف بأمارة الرّضى عنه ، وهو أن يذكر اسمه على المنابر تلو اسم أمير المؤمنين ، ويعود عن بغداد ولا يكون له فيها والٍ ولا صاحب يشار اليه . واجتهد أن يتيسّر له أمر من غير قتال فما أجابوه عن مراسلاته بشيء يرضيه ، ولا حال يسكن اليها سوى « ٧٥ ـ أ » ما قالوا له : انّك تعود إلى همدان ، وتقيم فيها إلى أن ندبّر أمرك[3] . وفي كلّ يوم يخرج من بغداد من الأمراء

---

(١) والدة الأمير أرسلان شاه مؤمنة خاتون كانت زوجة السلطان طغرل الثاني. بعد موته، زوّجها مسعود للأتابك شمس الدين ايلدكز. ابنتهم جلالية كانت زوجة حاكم مراغة نصرة الدين أرسلان آبة بن آقسنقر الأحديلي.

(٢) في ابن الأثير (١١/ ٨٠) أن حصار السلطان محمد لبغداد بدأ في ذي الحجة ٥٥١ هـ. في البنداري (٢٤٦) ـ في ذي القعدة ٥٥١ هـ.

(٣) سبب الحرب بين السلطان والخليفة هو رفض الخليفة مطلب السلطان الخطبة باسمه في بغداد والعراق. ابن الأثير ١١/ ٨٠، ابن الجوزي ١٠/١٦٨.

من يقف مقابل عسكر السّلطان ، ويتطاردون ويحمل بعضهم على بعض ويُقتل في بعض الأيّام منهم قوم ويُجرح قوم هكذا شهرين . والسّلطان يحبك الرّأي مع أمرائه في القتال ، ولا يتهيّأ لهم أمر في القتال . وراسل السّلطان الأمير زين الدّين علي كوجك صاحب جيش الموصل ، واستدعاه الى خدمته . فأجابه وانحدر اليه بعسكر جرّار وفيلق كرّار من وجوه الأتراك والأكراد ، وعلوفات كثيرة وعدّة وافرة ، ونزل في الجانب الغربيّ مقابل بغداد . وكان الوزير عون الدّين يحيى بن هبيرة يراسل الأمراء السّلطانيّة في السّرّ ، وينفذ لهم التّحف والمنح والدّنانير . يُظهر لهم أنّ هذه عن العلوفة الّتي يجب انفاذها اليهم ، [و] مع تعذّر انفاذ ذلك يكون هذا القدر عوضاً عنه . ويسير عليهم : أنّ النُصح لأمير المؤمنين هو على كلّ مسلم من الأمور الواجبة في دين الاسلام ، والانتهاء الى طاعته لازم له في نصّ القرآن ، والمعاندة له تفضي الى سخط الله تعالى وعقوبته ، والحقّ ظاهر مشهور واتّباعه واجب ، والباطل زاهق مدحور « ٧٥ ـ ب » واجتنابه لازم . وأنتم أعوان السّلطان وأمراؤه وأحقّ من محضَهُ النّصيحة ، وقد ترون ما قد أقدم عليه من المجاهرة لأمير المؤمنين من العصيان ، وأصرّ عليه من المنابذة والطّغيان ، والمشاحنة له في بغداد وهي دار الخلافة ومقرّ الأئمّة الاطهار من أهل بيت رسول الله ﷺ ، مع كون البلاد عليه متّسعة والمماليك بيده كثيرة والأموال له وافرة . واذا خاطبتموه بخطاب يفضي الى رحيله عن بغداد في هذه المرّة ، الى أن يتيقّن أمير المؤمنين حسن رأيه في الخدمة . وحينئذ يبلغ مراده ويُسعفه بمطلوبه ، حلّ ذلك عند أمير المؤمنين منكم أحسن محلّ ، وعند الله سبحانه أوفى منزلة .

وبعد ، فانّ أمير المؤمنين لا يزال يواصلكم باحسانه ، ويمدّكم ببرّه وامتنانه على القرب والبعد . واذا تمّ لهذا* ما يريده من الاستيلاء على

---

* أي للسلطان .

بغداد والعراق ، لا تبقى له* حاجة الى مساعد منكم ولا مؤازر . ويكون أخر استغنائه عنكم ، فتبقون عنده بعين الاستغناء عنكم ملحوظين ، وفي ثياب النّدم سادرين . وتفوتكم صِلات أمير المؤمنين ومبارّه في كلّ أوان ، ويعمّكم من الله البلاء والخذلان .

وكانت هذه الأقوال «٧٦ ـ أ » أثّرت عند الأمراء مع تتابع الصّلات والمنح اليهم في كلّ وقت في السّرّ . فكان السّلطان كلّما همّ بأمر يعلمون أنّه يصل به الى مراده ، يمنعونه عنه بطرق يوضحونها له : ظاهرها النّصح وباطنها الغلّ . ولمّا وصل الأمير زين الدّين علي كوجك الى بغداد ونزل بالجانب الغربيّ منها ، عبر السّلطان اليه في جف من خواصّه ونصبوا القتال على بغداد من الجانبين في كلّ يوم الى مغرب الشّمس . وفي كلّ ذلك يتولّى الله أجنادَ أمير المؤمنين بحفظه ، ويرعاهم بِكَلَئِهِ . وكان أمراء الحلّة من بني أسد قد جمعوا جموعاً كثيرةً من رجّالة البلاد وذُعّارها ، وقصدوا خدمة السّلطان الى بغداد في عدّة كثيرة وسفن** يزيد عددها على خمس مائة . وكان مقدّمهم الأمير علي بن دُبيس ومعه رجل من بني عمّه وأقربائه يقال له حسن المطرب ، ومعهم منجّم . وكانوا يوماً يتحاورون في أمر القتال ويتشاورون بكيفية المقارعة والنّزال فقال المنجّم للأمير حُسْن المطرب : إنّني أرى في نجمك أنّك متى قاتلت في غدٍ تدخل بغداد ، فان كان لك همٌّ في القتال ، ورغبة في الجلاد والنّزال ، فعليك به في غدٍ . فنهض الى تهيئة رجاله وتعبئة أبطاله في اللّيل وأصبح من بكرة . ونزل في السّفن جماعة من الأعيان والمعتبرين « ٧٦ ـ ب » من أصحاب السّلطان بِعُدَدٍ وافرة وعدّة كثيرة والخبر في بغداد من اللّيل ، أنّ القوم قد استعدّوا هذا الاستعداد وجدّوا واجتهدوا في أمور المجاهرة والعناد . فلم يزل

---

* أي لأمير المؤمنين .

** في الأصل : سفنا .

الوزير عون الدّين يحيى بن هبيرة في تلك اللّيلة على شاطىء دجلة يرتّب أمور السّفن ويشحنها بالعدّة والمقاتلة والنّفاطين والرّماة بالجروخ والعرّادات المنصوبة فيها الى طلوع الشّمس . ولّما رأى أهل بغداد أنّ سفن العدوّ قد دفعت طالبة العبور دفعوا سفنهم والتقوا في دجلة وشدّوا السّفن الى السّفن . وهاج بينهم القتال ، وحمى الحرب والنّزال ، من طلوع الشّمس الى حين زوالها . وانجلت المعركة في دجلة على ظهور السّفن عن قتل جماعة كبيرة من أهل الحلّة والأجناد السّلطانيّة ، وأُسر حُسْن المطرب وأُخذ جماعة من أصحابه المعروفين ، فانّهم قاتلوا معه قتالاً شديداً . وانفصل القوم وقد أُخذ من سفنهم أكثرها ، ووقعوا في دجلة يطلبون النّجاة . فمنهم من نجا ، ومنهم من غرق . وأُحضر الأمير حسن المطرب بين يدي الوزير عون الدّين وطالع بحاله أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله ، فأمر به أن يصلب على دقل سفينة مقابل عسكر السّلطان ، فصُلب بعد أن مثل به .

« ٧٧ ـ أ » وانقطع القتال أيّاماً كثيرة . وكان الأمير بدر الدّين مظفّر بن حمّاد بن أبي الجبر ، صاحب الغرّاف وأعمال البطيحة ، يلتزم في كلّ سنة عدداً من الأجناد وشيئاً من الحمل ، يطلب من الامام المقتفي لأمر الله أن يسقط عنه ذلك القدر الّذي كان يحمله في كلّ سنة . واحتجّ بأنّ العسكر الّذي معه ما يكفيهم ما هو برسمهم ، واذا سُومح بهذا القدر يكون سبباً لازاحة عللهم ، وقوّتهم على محاربة عدوّهم . فمنعه الوزير عون الدّين يحيى بن هبيرة من ذلك ، وقال له : ليس هذا وقت الاشتطاط . فأمسك بدر بن مظفّر الى أن نزل السّلطان على بغداد ، وأنفذ اليه وطلب منه ما كان قد طلبه من الدّيوان ، وأنّه يجيء الى خدمته ، فسمح له بذلك . وانضاف اليه مواضع أُخر تقرب من ولايته ، وكتب له بذلك توقيعاً وأرسله اليه مع العهود والمواثيق المؤكّدة . فتهيّأ الأمير بدر بن مظفّر ، وجمع رجالاً كثيرةً من عشاير الغرّاف وبلاد البطيحة ، وجمع السّفن من سائر بلاد العراق ، وضرب على كلّ بلد من الغرّاف وواسط وأعمالها سفناً

منظومة ورجالاً معيّنة ، وأمهلهم أيّاماً عيّنها ويجتمعون كلّهم بواسط . فاجتمع متقدّمو* البلاد كلّهم بواسط بالسّفن « ٧٧ ـ ب » والعُدّة الوافرة ، ولحق بهم الأمير بدر بن حمّاد ، وصاروا كلّهم بواسط . فلمّا انتهى الخبر الى أمير المؤمنين المقتفي ، أهمّه ذلك وأقلقه وأزعجه وأرّقه ، وكتب الى الأمير بدر بن مظفّر :

إنني أنزل لك عمّا كان يُطْلَب منك من الخراج ، وأضيف اليك ما بُذل لك ، وتبقى مقيماً في بلدك لا تجيء الينا ولا الى الخصم .

وكان جوابه جواب من غرب لبّه وغاب عقله : أنّني ما أفعل هذا دون أن تُسلّموا اليّ الوزير عون الدّين يحيى بن هبيرة ، لتدبير أمره ورفع** غائلته ودفع معرّته ومضرّته . وأرسل [الخليفة الى] الأمراء السّلطانيّة سرًّا ، وأوصل اليهم صُرَراً من المال وقال لهم : إنّ دفع هذا الأمر هو سهل عليكم ، وهو أن تقولوا*** للسّلطان : هذا الرّجل في خدمة أمير المؤمنين نشأ ، وبنعمته غُذّي ، وهو من العرب ولا نأمن أن يكون بينه وبين أمير المؤمنين تدبير في الباطن ؛ إنّه يظهر المجيء الينا . فاذا جاء وحاذى بغداد دخل اليها ، والمصلحة أن يُتقدّم اليه أن يدخل الينا من نهر صرصر[1] ويصير عندنا ، فاذا صار هو عندنا أمنّا غائلة دخوله الى بغداد ، وليس المقصود الاّ أن يدخل من نهر صرصر .

فحضر الأمراء عند السّلطان وأشاروا بهذه المشورة ، وكشفوا له أحوال العواقب المستورة ، ونفّذوا « ٧٨ ـ أ » على لسان السّلطان اليه

---

* في الأصل : متقدمون .

** في الأصل : دفع .

*** في الأصل : تقولون .

(١) صرصر ـ قريتان من سواد بغداد. صرصر العليا وصرصر السفلى. وهما على ضفة نهر عيسى وربما قيل نهر صرصر فنسب النهر إليها. ياقوت ٣/٤٠١ .

رسولاً لحقه بدرزيجاز[1] وأمره على لسان السّلطان أن يدخل اليه من نهر صرصر . فقام من موضعه وأعاد الجواب :

إنني ان دخلت من نهر صرصر لا تنتفعون بي ، ولا يبين أثر وصولي الى خدمة السّلطان ، ولا أتمكّن ممّا أرومه من قتال بغداد ، ولا فائدة في السّفن الّتي أعددتها .

فعاودوه* وقالوا : انّه لا بدّ لك من الدّخول من نهر صرصر ؛ ورابهم منه ذلك القول . وما زال الأمراء بالسّلطان الى أن أدخله اليه من نهر صرصر فلمّا دخلوا من ذلك الموضع أمن [من] في بغداد من عاديتهم وتجرّدوا لحربهم ، وكاتبوا من بغداد الأمير شمس الدّين الدكز الى أذربيجان ، وأطمعوه أن يجعلوا الملك ارسلان شاه بن السّلطان طغرل سلطاناً ، متى تحرّك من أذربيجان الى العراق . والملك أرسلان شاه ابن زوجة الأمير شمس الدّين الدكز الأتابك ، واولاده منها : الأمير نصرة الدّين محمّد البهلوان ، والأمير مظفّر الدّين عثمان قزل ارسلان ، وكاتبوا الأمير اينانج الى العراق وأطمعوه بقطائع يُقطعونها له من أعمال العراق . وتخاذل الأمراء السّلطانيّة عن القتال ، لما رأوا أنّ المدّة قد طالت ، وليس لهم حيلة في أخذ بغداد ، وطلب كلّ واحد منهم أن يلحق بأهله وبلاده[2] . فلمّا تحرّك الأمير « ٧٨ ـ ب » شمس الدّين الدكز الأتابك من أذربيجان الى صوب العراق ، وتحرّك الأمير اينانج طالباً همدان ، وصل

---

* في الأصل : فعادوه .

(١) درزيجان (بالفارسية درزيندان) ـ قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي . ياقوت ٢/٢٥٠ .

(٢) حول هذا الحصار الطويل لبغداد من قبل السلطان محمد أنظر : ابن الأثير ١١/٨٠ ـ ٨٢ . ابن الجوزي ١٠/١٦٨ ـ ١٧٦ . ابن العبري ٢/٣٩٤ . في البنداري (٢٤٦ ـ ٢٥٥) اهتمام كبير بالحرب بين الخليفة والسلطان سببه أن الأصفهاني ذاته كان آنذاك في بغداد المحاصرة .

الخبر الى السّلطان وهو ببغـداد ، فشاور الأمـراء بما انتهى اليـه من ذلك . فكلّهم أشـاروا بالـرّحيـل عن بغـداد الى همـدان ، وأن يقيمـوا بهـا الى أن يفرغوا من أتابك شمس الدّين الدكز والأمير اينانج ، ثمّ يعـاودوا الرّجـوع الى بغداد . ورحلوا من جانبي بغداد : عسكر الموصل من الجـانب الغربيّ وعسكـر العـراق من الجـانب الشّـرقيّ ، وعجـزوا عن حمـل أثقـالهم . وأدخلوها الى بغداد وغنمـوا معظم أثقـالهم . وانقطعت بعـد ذلك أطمـاع السّلاطين السّلجوقيّة عن بغداد[1] وأفضى السّلطان محمّد الى همـدان وتهيّأ لقصد أذربيجان . وكان الملك سليمان شاه بن السّلطان محمّد طبـر ، أخو السّلطان مسعود ، في أذربيجان ، فخرج منها وقصد بغداد ولقّبوه الملك المستجير ، وجهّزوا معـه عساكـر بغداد بـأسرهـا . وخرج من بغـداد الى أذربيجـان السّلطان الملك المستجير سليمـان شاه بن محمّـد بن ملكشـاه بن ألب ارسلان ، واجتمع معه أتابك شمس الدّين الدكز وعساكر اذربيجـان وعساكر أرّان[2] . وسار السّلطان محمّد بن محمود بن محمّد طبر بن ملكشاه ابن ألب ارسلان من همدان بعد أن صالح* الأمير اينانج ، وأقرّه على « ٧٩ ـ أ » ولاية الرّي واستحضره الى خدمته وسار معـه الى أذربيجان . والتقى الفريقان على وادي أرس قريب نخجـوان ، وتزاحف الجمعـان وأخذوا في أشـدّ القتال ، حتّى تكسّـرت النّصال واحمـرّت الآفاق من تـلاطم النّجيع

---

* في الأصل : أصلح .

(١) بتحريض من الخليفة، قـام الأتابـك شمس الدين ايلدكـز مع الأمـيرملك شاه بن محمـود بدخول عـاصمة الـسلطنـة همذان حيث استـولوا عـلى الخزانـة السلطانية وغيـرها، ونصّب ملك شاه على العرش الـسلطاني. عندما وصل الخبر إلى الـسلطان محمد، جـدّ في القتال لعلّه يبلغ مناه فلم يقدر على شيء ورحل عن بغداد إلى همذان مع العسـاكـر في ٢٤ ربيع الأول سنـة ٥٥٢ هـ. أنـظر ابن الأثـير ٨١/١١، البنـداري ٢٨٤ ـ ٢٨٥، ابـن الجـوزي ١٧٤/١٠، الراوندي ٣٨٠ وما يليها.

(٢) جرت هذه الأحداث سنة ٥٥٠ هـ. الراوندي ٣٨١ ـ ٣٨٢. البنداري ٢٤١ ـ ٢٤٢. في ابن الجوزي (١٦٥/١٠) ـ عام ٥٥١ هـ.

المُهراق ، وحُكّمت السّيوف في الأبدان ، والأسنّة في صدور الشّجعان لقول التّنوخي[1] :

في موقفٍ وقف الحمام ولم يزغ	عن ساحتيه وزاغت الأبصارُ
فقناً تسيل من الدّماء على قناً	بطوالهنّ تقصرّ الأعمارُ
ورؤوس أبطال تطاير بالظّبي	فكأنّها عند* الغبار غبارُ

وتأججت الهيجاء من وقع السّيوف البواتر ، وتضرّمت البيداء من قرع نعال الحوافر . فمن سيوف تصبو الى الأجناد ، فلا تملك الأكفّ كفّها ، ومن رماح تظمأ الى الأكباد ، فلا تستطيع الأيدي صرفها . فكأنّها ضمنت أرزاق النّسور والعقبان ، أو كفلت أقوات الضّباع والسّرحان . فلم يزالوا كذلك الى أن امتلأت المعركة من القتلى ، واستعلت السّلاسل بالأسرى . ووطّن السّلطان محمّد وأصحابه نفوسهم على الثّبات والصّبر ، وتوسّموا من نيّاتهمّ وعزائمهم مخايل النّصر . وقلّ ما صبر الانسان على مرارة الشّدائد ، إلاّ وفاز بحلاوة العواقب . « ٧٩ ـ ب » فسقى الله السّلطان محمّد زلال نصره ، بما رأى منه من عظم جلده وصبره . وانهزم الأتابك شمس الدّين الدكز ومن هو في صحبته من العساكر مفلولين ، وتقسّموا أيدي سبا في الفيافي هائمين . وقد غنم السّلطان محمّد منهم غنائم وافرة وأثقالاً جليلة وأموالاً جزيلة[2] .

وأقام في نخجوان مدّة ، وراسله الكرج وطلبوا منه الصّلح فصالحهم

---

* في الأصل : عبّ .

(١) الشاعر عبد الكريم بن عبد الله بن فضل التنوخي ولد في ٥١٨ هـ . ومات في ربيع الأول ٥٥٦ هـ . سبط ابن الجوزي ٨/١ ، ٢٣٩ .

(٢) جرت المعركة بين سليمان شاه والسلطان محمد في جمادى الأولى ٥٥١ هـ هُزم سليمان شاه وهرب مع ٥٠ من أصل الثلاثة آلاف رجل كان الخليفة أرسلها معه للمساعدة . ابن الأثير ٧٧/١١ ـ ٧٨ . الأتابكية ١٠٨ ، الراوندي ٣٨٣ ، ابن الجوزي ١٦٥/١٠ . في البنداري ٢٤٢ أن المعركة جرت في شعبان ٥٥١ هـ .

على ما أرادوا[1] . ولم يزل في أرّان مقيماً الى أن راسله الأتابك شمس الدّين الدكز وقال : أنا عبدك ومملوك هذا البيت ، ولحق بي عمّك الملك سليمان شاه ، قبل أن تصل راياتك المنصورة وتذمّمت من خذلانه خوفاً من العار وأن يقول النّاس : إنّه خذل سليمان شاه ، وهو أخ مخدومه السّلطان مسعود تغمّده الله بمغفرته . والآن اذ قد تعيّن أنّ السّلطان واحد ، وقد ألقت اليه البلاد أزمّتها ، فأنا أوّل من أطاع ودخل في الجماعة ووافق الاجماع . فقبل عذره وفوّض اليه ولاية أرّان بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق أنّه لا يخالفه ويوافقه ولا يفارقه ، فتقبّل جميع ذلك[2] .

وولّى أذربيجان الأمير ارسلان بن اقسنقر الأحمديلي صاحب مراغة ، وعاد الى همدان مؤيّداً ومنصوراً وأقام بها وفي نيّته العود « ٨٠ ـ أ » الى بغداد .

وأمّا السّلطان سليمان شاه ، فإنّه انفصل من المعركة وأراد أن يقصد بغداد الى خدمة أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله . فعرض له الأمير زين الدّين علي كوجك قائد جيش الموصل في دربند القرابلي ، وأخذه ووصل به الى الموصل وأسكنه في قلعتها ، وكاتب السّلطان محمّد بذلك ، فأمره أن يوسع عليه ويخلّيه عنده الى أن يأتيه أمره[3] .

---

(١) لم يرد ذكر لهذه المهمة الكرجية عام ٥٥١ في مصادر أخرى. هذه كانت في عهد الملك داوود الثالث (١١٥٥ ـ ١١٥٦). أما أسباب ارسال البعثة فربما يعود إلى رغبة الكرج في قطع الطريق على حملة السلاجقة ضدهم كانتقام لهجمة الكرج على آني عام ٥٤٨ هـ. أنظر ابن القلانسي ٣٢٨.

(٢) حول رسالة الأتابك شمس الدين ايلدكز للسلطان أنظر الراوندي ٢٨٣، ورشيد الدين ٢/٥، ١٤٨.

(٣) ألقي القبض على سليمان شاه عند شهرزور في شعبان ٥٥١ هـ. ونفي إلى قلعة الموصل حتى عام ٥٥٥ هـ. ابن الأثير ١١/٧٨، الأتابكية ١٠٨ ـ ١٠٩. البنداري ٢٤٢،=

وأقام السّلطان محمّد ينتظر وجه الرّبيع حتّى يقصد بغداد ، فمرض واحتكم مرضه وطال* عليه وتوفّي بهمدان سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة . فكانت مدّة سلطنته تسع سنين . وكان عادلاً حسن السّيرة كثير الرّأفة لم يعرف له عقب(١) . ووصل خبر وفاته الى أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله فقال: «رحم الله محمّداً، فلقد كان عدوًّا عاقلاً». واضطّر أمراء العراق الى أن نفّذوا الى الموصل وطلبوا من الأمير زين الدّين علي كوجك أن يُنفذ لهم الملك سليمان شاه(٢) ، فأخرجه من الموصل وحمل بين يديه الغاشية ، ودفع له من المال والعُدد والخيل المسوّمة والبغال المطهّمة والخيم والغلمان ما يكثر عدده ويطول شرحه . وجهّز جماعة من أمراء الموصل وقدّم عليهم صارم الدّين ، والي قلعة الموصل ، وسيّرهم في خدمته الى « ٨٠ ـ ب » همدان . فلمّا وصل الى همدان خرج الأمراء على طبقاتهم وتلقّوه ، ومشوا بين يديه وألقوا بأزمّة أمورهم اليه ، وأجلسوه على سرير الملك واصطفّوا بين يديه وبايعوه بأسرهم . وبقي في همدان واختلف الأمراء وقصد بعضهم بعضاً وطمع كلّ واحد منهم أن يكون هو الحاكم

---

* في الأصل : طالت .

= الراوندي ٣٨٣ . ابن الجوزي (١٠/١٦٥) يذكر أن اعتقال سليمان شاه حدث في رمضان ٥٥١ هـ .

(١) مات السلطان محمد من السلّ في ذي القعدة أو ذي الحجة ٥٥٤ هـ . وكان لمحمد طفل صغير سلّمه إلى أرسلان آبه بن آق سنقر الأحمديلي كوديعة عنده فرحلا إلى مراغة . أنظر ابن الأثير ١١/٩٤ . البنداري ٢٨٨ الراوندي ٣٨٧ . أبو الفداء ٣/٣٤ .

(٢) بعد موت السلطان محمد، اختلف الأمراء حول خلافته . فئة أرادت أخ محمد ـ ملك شاه . وأخرى ـ الأمير أرسلان شاه بن طغرل الثاني الذي يحظى بدعم شمس الدين ايلدكز . لكن فئة ثالثة هي التي انتصرت والتي يدعمها اينانج صاحب الريّ والتي أرادت سليمان شاه الذي كان في الأسر في الموصل . فوصل سليمان شاه إلى همذان وفي ١٢ ربيع الأول ٥٥٥ هـ أُعلن سلطاناً . أما ارسلان شاه فولياً للعهد . أنظر ابن الأثير ١١/٩٤ ـ ٩٥ ، الاتابكية ١١٤ ـ ١١٥ ، البنداري ٢٨٨ ـ ٢٨٩ . الراوندي ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ، ابن الجوزي ١٠/٢١٩ . ابن الوردي ٢/٩٦ ـ ٩٧ .

وتكون الأمور مـردودة اليه[1] . وكـان أشدّ الأمـراء بأسـاً وأكثرهم علوًا ، وأبصرهم بعواقب الأمور وسياسةَ الجمهور ، الأمير شرف الدّين كردبـازو الخـادم . وكان بينـه وبين أتـابك شمس الـدّين الدكـز صداقـة ومؤانسـة وخـواجه تـاشيّـة* ، علم أنّهما كـانـا مملوكَي** السّلطان غيـاث الـدّين مسعود . فراسله الى أذربيجان وأقدمه ، بعد أن أطمعه أن يعزل السّلطان سليمان شاه بن محمّـد طبر ، ويُقعـد السّلطان أرسلان شـاه بن طغرل بن محمّـد طبر بن ملكشـاه بن الب ارسـلان عـلى سـريـر الملك ، وحلف لـه وعاهده على ذلك[2] . وسار أتابـك شمس الدّين الـدكز من أذربيجـان ، وقد أخرج السّلطان أرسلان شاه بن طغرل معه ، وقـد قاد اليـه من الخيل والسّلاح والعُدد والمال فوق حـاجته . وصـار هو لـه أتابـك ، وابنه نصـرة الـدّين بهلوان أمـير الحجّـاب ، وابنـه مـظفّـر الـدّين قـزل ارسـلان أمـير السّلاح . وجعل « ٨١ ـ أ » كلّ أمير من أمرائه يتـولّى منصباً من المنـاصب السّلطانيّة وقصد همـدان ، فلمّا علم الأمراء أنّ الأمـير شمس الدّين الـدكز واصلٌ الى همدان ، تيقّنـوا أنّه مـا طمع بـذلك الاّ بمـراضاة من بعضهم ، وأظهـر الأمير شـرف الدّين كـردبازو الخـادم الانقطاع عن خـدمة السّلطان سليمان شاه ، واجتمع اليه معظم الأمراء وتفرّق باقي الأمراء المعروفـين . فمضى ابن البازدار الى بلاده ، والأمـير اينانـج الى الرّي ، والأمـير ستماز

---

* ولعلّها : ناشئة . أي صلة بينهما قديمة .

** في الأصل : مملوكاً .

(1) من المحظوظين إلى جانب سليمان والمقربين كـانت جماعتـه التي استغلت مجالس شـرابه ـ حتّى في رمضان ـ الأمير عز الدين ستماز وناصر الدين أقوش اللذين سوية مع حاكم الريّ اينانج وقفوا في طريق الأمير شرف الدين كردبازو فيمن يكون ذو حظوة في بـلاط القصر. الراوندي ٣٩٦، البنداري ٢٨٩، ٢٩٦ .

(2) أنـظر حول ذلـك بـالتفصيـل في الـراونـدي ٣٩٦ ـ ٣٩٧، البنـداري ٢٩٦، ابن الأثـير ٩٥/١١ـ٩٦.

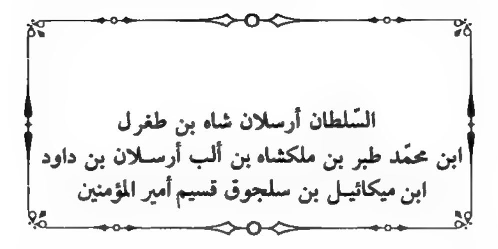
ابن قايماز الحرامي الى قم ، وآقش الى أردبيل ، وبقي السّلطان سليمان شاه بهمدان مع خواصّه وغلمانه[1] . فركب الأمير شرف الدّين كردبازو الخادم . كأنّه يقصد خدمة السّلطان سليمان شاه ودخل اليه واعتقله الى اللّيل وترك في رقبته وتر قوس خنقه به وأصبح السّلطان سليمان شاه ميّتاً[2] . وكان الأمير شمس الدّين الدكز قد قارب همدان، فخرج الأمير شرف الدّين كردبازو الخادم والتقاه مع جميع الأمراء والعساكر الذين بقوا معه ، وكان يوماً مشهوداً . فلمّا وصلوا الى باب الكُشْك الجديد نزل الأمير شمس الدّين الدكز والأمير شرف الدّين كردباز والخادم وجميع أمراء العراق وأرّان ، ومشوا بين يدي السّلطان أرسلان شاه بن طغرل ودخلوا همدان وأجلسوه على سرير السّلطنة « ٨١ ـ ب »[3] .

---

(١) في الراوندي (٣٩٨) أن سليمان شاه علم بالمؤامرة ضده، وبأن أرسلان شاه قادم إلى همذان لينصب سلطاناً. فأرسل إلى الأمراء رجلاً مع طلب: « إذا كنتم لا تريدونني فإنه لن يصيبكم مني أذى، فدعوني آخذ ما قد أحضرته معي من الموصل، من لوازم ومعدات وأذهب تاركاً ما بقي من الأمر لكم ». فأراد الأمراء قبول شروط سليمان. لكن صاحب الري اينانج نصح باعتقال سليمان شاه إلى حين وصول السلطان الجديد الذي سيقرر مصير سليمان شاه. أنظر كذلك رشيد الدين ٢/٥، ٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) في ابن الأثير (١١/٩٥، ١٠٠) فإن سليمان شاه اعتقل في شوّال ٥٥٥ هـ. ثم نفي إلى قلعة همذان حيث شنق أو سمّم. يذكر البنداري (٢٩٦) أنه سمّم في قلعة همذان في ١٣ ربيع الأول ٥٥٦ هـ. الراوندي (٣٩٩) يذكر أن سليمان شاه اعتقل في رمضان ٥٥٥ هـ. وبعد شهر أخذ إلى القلعة علاء الدولة حيث مات في ١٢ ربيع الثاني ٥٥٦ هـ. ومن ٧ محرّم ٥٥٦ هـ أوقفت الخطبة باسم سليمان شاه. ابن الجوزي ١٠/١٩٨.

(٣) عاد أرسلان شاه إلى همذان في ذي القعدة ٥٥٦ هـ. ولم يقف ضد تنصيبه سوى صاحب الريّ اينانج ـ عدو الأتابك شمس الدين أيلدكز. لكن ايلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا وتحالفا على الاتفاق وتزوج البهلوان بن ايلدكز بابنة اينانج ونُقلت إليه بهمذان. إلا أن حروباً مفتوحة بينهما أعقبت ذلك. أنظر ابن الأثير ١١/١٠٠ ـ ١٠١، البنداري ٢٩٦ ـ ٢٩٧.



السّلطان أرسلان شاه بن طغرل ابن محمّد طبر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق قسيم أمير المؤمنين

ووقفوا بين يديه وخلع في ذلك اليوم الأمير شمس الدّين الدكز على سائر أمراء العراق وأرّان الخلع السّنيّة ، وقاد الى كلّ واحد منهم على حسب منصبه خيلاً وبغالاً . واستقام السّلطان أرسلان شاه بالسّلطنة ، والأمير شمس الدّين الدكز بالأتابكيّة وأقام بهمدان . وأمّا اينانج وابن البازدار وستماز بن قايماز الحرامي وآقش ، فانّهم تحالفوا بالأيمان وتعاقدوا أنّهم لا يوافقون الأتابك شمس الدّين الدكز ، ولا السّلطان ارسلان شاه ولا يدوسون لهم بساطاً . وكان الملك محمّد بن طغرل أخو ارسلان شاه في شيراز عند أتابك سنقر[1] ، فنفّذوا اليه وطلبوا منه أن يُنفذ لهم الملك محمّد ابن طغرل . فأخرجه أتابك سنقر ، وجهّزه أحسن جهاز ، وسيّر معه من

(١) ليس المقصود هنا شقيق السلطان أرسلان شاه ـ بل محمود بن ملك شاه بن محمود المتوفي عام ٥٥٥ هـ. والذي أخذه أقرباؤه إلى فارس. وكان حاكم فارس الأتابك زنكي بن تكلا (في ابن الأثير: دكلا) السلغري (١١٦٢ ـ ١١٧٥) الذي قاد محموداً إلى قلعة اصطخر.

عندما أرسل ايلدكز إلى الخليفة يطلب الخطبة باسم السلطان أرسلان شاه، شرع الوزير ابن هبيرة بإثارة الأطراف عليه وأرسل إليه الأتابك زنكي وصاحب مراغة نصرة الدين أرسلان الأحمديلي بأن تقرأ الخطبة باسم محمود بن ملك شاه. وضرب الطبل على بابه خمس نوب. ابن الأثير ١١/١٠١.

أصحابه ألف فارس ، وقصدوا أصفهان على موعدٍ من وجوه الأمراء اليه . وتجهّز الأمراء وأنفقوا أموالاً كثيرة ، وجمعوا جموعاً يزيد عددهم على عشرين ألف فارس ، واجتمعوا وقصدوا خدمة الملك محمّد بن طغرل الى أصفهان ، الى أن وصل اليهم عسكر شيراز بأسرهم ورحلوا طالبين همدان . « ٨٢ ـ أ » ورحل الأتابك شمس الدّين الدكز والأمير شرف الدّين كردبازو الخادم مع السّلطان أرسلان شاه بن طغرل والتقوا بمرغزار قراتكين[1] سنة خمس وخمسين وخمس مائة . ودنا الفريقان بعضهم من بعض فخيلت الأرض سائرة ، والجبال مائرة ، والنّجوم منكدرة ، والسّماء منفطرة . وترتّبت الصّفوف من كلا* جانبين ، ودارت رحى المنايا على الفريقين . وحملت ميسرة اينانج على ميمنة الأتابك شمس الدّين الدكز ، فبدّدوا نظامهم وزعزعوا عن المقام أقدامهم[2] . وثنت الميمنة على ميسرة الدكز أيضاً فصنعوا صنع الآخرين . وحمل اينانج من القلب على الدكز فردّ حملته في وجهه ، فعاد ناكصاً والتقى بهلوان بن الدكز واينانج .وكانت بنت اينانج عنده فضربه البهلوان بالسّيف على كفل فرسه وقال له : انج بنفسك فلو أردتُ قتلك قتلتك . فلمّا رأى أصحاب ميمنة الدكز وميسرته ثباته ، وعود اينانج عنه هارباً ، عادوا راجعين الى مواقفهم . وانخذل أصحاب اينانج لمّا عاينوا هربه ، ودار أصحاب الأتابك الدكز حولهم وجعلوهم في وسطهم ، وانهزموا هزيمة قبيحة بعد ما قُتل منهم في موضع خلق كثير . وتبع أصحاب الأتابك الدكز المنهزمين فلم يَفُتْهُمْ** إلاّ

---

* في الأصل : كلي .

** في الأصل : يفوتهم .

(١) حسب ابن الأثير (١٠١/١١) فقد جرت المعركة في ٩ شعبان ٥٥٦هـ. يذكر البنداري (٢٩٨) أن المعركة جرت في منطقة قراجة. (في منتصف الطريق بين همذان وأصفهان). أما الراوندي (٤١٠) فيسمّي المكان الذي جرت فيه المعركة ـ فراهين. في ياقوت (٢٥٨/٤) أن فرهان (فراهان) ملاّحة في رستاق همذان.

(٢) في البنداري (٢٩٩) أن ميمنة اينانج حملت على ميسرة العساكر السلطانية وبدّدت نظامها.

سرعان تلك الجموع ومن خفّف عن ظهره تلك السّلاح والدّروع . « ٨٢ ـ ب » وغنم أهل العسكر من الأموال وآلات الحرب والمتاع الفاخر الّذي يزيد عن التّعداد ، ما امتلأت أيديهم منه وعجز الوصف عنه ، وتفرّقوا أيدي سبا ، كلّ أمير منهم قصد بلاده[1] . وعاد الأتابك شمس الدّين الدكز الى همدان سالماً غانماً ، وزُيّنت له همدان أحسن زينة . ولبث بهمدان وقصد اينانج وهو بالرّي ، فلمّا علم اينانج أنّه مقصوده أخلى الرّي وسار منها حتّى انتهى الى بسطام[2] وأقام بها . وكاتب منها الى ايل ارسلان خوارزمشاه[3] أنّه قد التجأ الى جانبه وصار من جملة غلمانه ، وأنّه متى أُعين ببعض عسكره أخذ العراق وجعلها من جملة ممالكه ، يجري فيها أمره وينفذ فيها حكمه . فأجابه أحسن جواب ، وخاطبه بأجمل خطاب ، وأنفذ الى الوالي بدهستان أن يحمل اليه مِنْ دخلها حال وصوله ثلاثين ألف دينار ، يرمّ بها شعثه ويقيم بها أوَده . وأمره أن يشخص الى دهستان ويقيم بها الى أن يدبّر أمره ، فشخص اليها وأقام بها . وأمّا الأتابك الدكز فانّه لمّا حصلت له الرّي استخلصها لنفسه من السّلطان أرسلان شاه بن طغرل وجعلها اقطاعاً لابنه الأمير نصرة الدّين بهلوان . وراسله أمراء العراق

---

(١) حول تفاصيل المعركة أنظر ابن الأثير ١١/١٠١، البنداري ٢٩٩ ـ ٣٠٠ والراوندي ٤١٠.

(٢) البسطام ـ بلدة كبيرة على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين. ياقوت ١/٤٢١ ـ ٤٢٢.

يذكر الراوندي (٤١١) أن اينانج هرب إلى جرمان وبعدها إلى مزاناران الذي كان حاكمها (أصبهاز) علاء الدين الحسن بن رستم بن علي بن شهريار (١١٦٣ ـ ١١٧٢) .

يذكر ابن الأثير (١١/١٠١) أن ايلدكز حصر الري وطلب منه اينانج الصلح. وبموجب هذا الصلح أخذت الريّ من اينانج وأخذ مقابلها جرماذقان وساوه. أنظر البنداري ٣٠٠.

(٣) حكم خوارزم شاه أبو الفتح ايل أرسلان من ١١٥٦ ـ ١١٧٢.

الّذين « ٨٣ ـ أ » كانوا مع اينانج ، وسألوه أن يؤمّنهم ويغفر إجرامهم ويعفو عن زلّاتهم ، وأن يأخذ لهم من السّلطان أماناً يثقون به حتّى يرجعوا الى الخدمة ويستأنفوا التّوبة ، فانّهم ما حملهم على ذلك [وما *] بعدوا من خدمته ، الّا خوفاً من الأمير شرف الدّين كردبازو[1] . فانّه هو الّذي أحوجهم الى المفارقة من كثرة ما يبلغهم عنه ، أنّه يوسع القول في حقّهم ويفرط بالمبالغة في جميع المساويّ . واذ قد تعيّن لهم سلطانٌ يكونون في خدمته يمنع بعضهم عن التّهضّم لبعض فيما يرجع الى اقطاعه ومنزلته ، فهم مماليك السّلطان ومماليك آبائه وأجداده . فقبل السّلطان وأتابك الدكز عذرهم وكتب اليهم عهوداً وثقوا بها . وجاؤا الى خدمة السّلطان في همدان وصاروا في خدمته لا يفارقونها وبلادهم يجبى** خراجها ويُنقل دخلها وهم في الخدمة . وأقام الأتابك الدكز في العراق مدّةً ، ثمّ رأى أن يعاود أذربيجان وأرّان فعاد اليها . وبقي السّلطان في العراق ومعه عساكر العراق ، فأقاموا بساوة[2] والأتابك الدكز في بلاد أرّان ، وكاتبوا الكرج وكاتبوهم . وكانت المراسلات بينهم تتقارب الى وفاقٍ مرّة ، والى خلافٍ أخرى[3] . وأمّا ما كان من اينانج فانّ خوارزمشاه ايل ارسلان نفّذ « ٨٣ ـ ب » معظم عسكره الى اينانج ، وأمرهم أن يربعوا بجرجان[4] الى أن

---

* في الأصل : بدون : وما .

** ولعلّها كذلك : يُجبى .

(١) شرف الدين كردبازو مات في الرّي ٢٤ جمادى الآخرة ٥٦١ . دفن في همذان في المدرسة التي بناها بنفسه . الراوندي ٤١٨ .

(٢) ساوه ـ مدينة بين الريّ وهمذان قرب مدينة آوه . سكان ساوه من السنّة الشافعيين وسكان آوه من الشيعة الإمامية . ياقوت ١٧٩/٣ .

(٣) من المحتمل أن المراسلات بين السلطان أرسلان شاه والأتابك ايلدكز مع الكرج وصلت إلى مرحلة بحيث أنه عام ٥٦١ هـ « خرج الكرج في جمع كثير وأغاروا على بلدان حتى بلغوا كنجة فقتلوا وأسروا وسبوا كثيراً ونهبوا مالا يحصى » . ابن الأثير ١٢١/١١ .

(٤) جرجان (غرغان) اقليم إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين . أنظر كذلك ياقوت ١١٩/٢ ـ ١٢٢ .

تسمن خيولهم ويقصدوا العراق . وجعل المقدّم على العساكر شمس الملك بن حسين عيار بك من الأمراء القرلقيّة من حشم ما وراء النّهر . وكان أبوه قد ملك سمرقند وقصده الخطا الرحّل* وقاتلوه وقتلوه . فهرب هذا ولده وصار الى خوارزم . وتقدّم خوارزمشاه باعزازه واكرامه ، وخصّه ببرّه وانعامه ، وزوّجه بأخته ، وجعله قائد جيشه(١) ، وسَكَرخان أيضاً كان مقدّم بعض العسكر . فلمّا أربعوا خيولهم وسمنت ، أمرهم خوارزمشاه ايل ارسلان بالخروج الى العراق ، فخرجوا . وكوتب الأتابك الدكز من العراق أنّهم قد تهيّأوا وخرجوا ، فخرج للقائهم . فوصل عسكر اينانج الى الرّي قبل وصول الأتابك الدكز ، وساقوا منها الى ساوة والعساكر بها . وكان كما ذكرنا أنّ الأمراء العراقيّين كانوا كلّهم متّفقين مع اينانج ، وعملوا مصاف مع الأتابك الدكز أن يكون الأمر الّذي أخرجهم أعني الخوارزميّين واينانج عن اتّفاق من أمراء العراق ، ولم يكن الأمر كذلك. والسّلطان وبهلوان بن الدكز [لمّاتأخر]** وصوله اليهما [انحازا]*** ولم يحاربا . وثبت أمراء العراق مقابل اينانج وعسكر خوارزمشاه ايل

---

* في الأصل : حشم حي .

** أي ايلدكز . وفي الأصل : ما ياخر .

*** في الأصل : فانحازا .

(١) بعد امداده لصاحب الريّ اينانج بالمساعدات العسكرية والمادية وغيرها، استمر الخوارزم ايل أرسلان بمتابعة الاختراق الذي بدأه أبوه آتسز لأراضي السلاطين السلاجقة. لاسيما وأنه بعد موت السلطان سنجر لم يكن لخراسان والمقاطعات الواقعة إلى الغرب منها،(إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار الأمير القوي مؤيد آي ابه) حكام « قانونيون ». لذا أصبح اينانج موضع اهتمام، كما من قبل سلاجقة العراق وعلى رأسهم الأتابك ايلدكز، كذلك ن قبل خوارزم شاه ايل أرسلان.

. . في عام ٥٥٩ أراد صاحب النفوذ والسيادة في آسيا الوسطى ملك الخطا خان خانان الصيني أن يطرد القارغلية من المنطقة. فأمر نائبه في سمرقند قليج طمغج خان ركن الد ين مسعود « اجلاء الأتراك القارغلية من أعمال بخارى وسمرقند إلى كاشغر وأن يتركوا حمل السلاح ويشتغلوا بالزراعة وغيرها من الأعمال ». فامتنع هؤلاء وساروا إلى بخارى. وبحا—

ارسلان ، وقاتلوهم قتالاً شديداً . فلمّا « ٨٤ ـ أ » رأوا أنّ السّلطان قد انحاز وليس لهم سلطانٌ يقاتلون بين يديه ، انحازوا هم الى خدمة السّلطان وتركوا ما عجزوا عن أخذه من خيمهم وأثقالهم ، فغنمها الخوارزميّون واينانج[1] . وبعد خمسة أيّام وصل اليهم أتابك الدكز ، ولم يلبث دون أن تبعهم وهربوا من بين يديه الى الرّي ، فتبعهم فتركوا الرّي وهاموا على وجوههم ، وسألوا اينانج أن يتبعهم فلم يوافقهم . وأقام بالقلعة وكان قد حصّنها[2] ، ونزل أتابك الدكز حول الرّي وملك المدينة . وأقام اينانج بالقلعة مثل يوم واحد أربعة شهور ، والقتال في كلّ يوم يعمل بين الفريقين . فراسله اينانج وطلب منه الصّلح وكان وزير اينانج سعد الدّين الأشل فقال أتابك الدكز : إنّني ما أجري الصّلح إلاّ على يدي سعد الدّين الأشل . فلكثرة ميل اينانج الى الصّلح تقدّم الى وزيره وقال له : اخرج واسمع كلام هذا الرّجل ، وعُد اليّ بذلك . فلمّا صار سعد الدّين في مخيّم أتابك شمس الدّين الدكز ، أحضره مجلسه في خلوة لم يكن بينهما ثالث . وأحضر له ختمة القرآن في رَبْعه ثلاثين جزءًا وحلف أتابك الدكز فيها فاتحتها الى خاتمتها : إنّني مهما أعيش ، ما جمعني

= قسم من الفارغلية بزعامة شمس الدين بن حسين عيار بك إلى خوارزم شاه. ومن أجل مطاردة الفارغلية عبر الخطا سنة ٥٦٧ هـ نهر جيحون يريد خوارزم شاه ايل أرسلان. فأرسل إليه هذا جيشاً بقيادة عيار بك لكن خان خانان الصيني هزمَ الخوارزميين. ووقع عيار بك نفسه في الأسر. وبعد فترة مات أيل أرسلان في ١٩ رمضان ٥٦٧ هـ. وصار ابنه علاء الدين تكين خوارزم شاهاً (١١٧٢ ـ ١٢٠٠)، أنظر ابن الأثير ١١/١١٦، ١٤٠

(١) احتل حسام الدين إينانج وعسكر خوارزم شاه عام ٥٦٣ هـ الريّ. وعادوا بعدها إلى أذربيجان واحتلوا مدينة أبهر وزنجان وقزوين. وسبّب الخوارزميون في محيط هذه المدن الخراب والنهب. من قزوين مثلاً، أخذوا ألفي رأس من الأبل الأصيلة. الراوندي ٤٢١.

(٢) تحصن اينانج في قلعة طَبَرَك الواقعة قرب الريّ. وهذه القلعة دُمّرت من السلطان السلجوقي الأخير طغرل الثالث بن أرسلان شاه عام ٥٨٨ هـ. أنظر ابن الأثير ١١/١٣٠ وياقوت ٤/١٦ ـ ١٧.

واينانج صلح أبداً . وحلف بأيمان خارجاً عن الختمة بالطّلاق والعتاق والصّدقات والحجّ حافياً ، « ٨٤ ـ ب » بما حلف عليه أن لا يجمعه واينانج صلح . وانّك ان كنت ترجو* أنّ أمر اينانج ينصلح وتقيم معه بالرّي ، فهذا ما لا يكون . وأنت مخيّر بين أمرين : إمّا أن تكون مع صاحبك في بلاد الغربة ، ان سلم وسلمتَ كما كنت معه بالضّرّ والفاقة والمسكنة ، أو بين أن تدبّر معي على هلاكه وتكون مع ولدي البهلوان الحاكم عليه وعلى بلاده الرّي وأصفهان وأذربيجان ، وأحلف لك بأيمان مؤكّدة على ذلك ، وأنت بالنّظر لنفسك اليوم وغداً وبعده .

فقال بالجواب : أنظر لنفسي وأعود اليك . فقام من بين يديه وخلا مع نفسه وأجال الرّأي فيما** سمعه من أتابك الدكز . فرأى أنّ صاحبه محصور*** في قلعة وليس له قدرة على الخروج منها بعسكر ، وان أقام فمصيره الى القهر والقتل ، وان قدر أن يخرج من القلعة فما يقدر أن يخرج منها الاّ بمفرده ، لا يقدر أحد أن يصحبه . وما عسى رجل بنفسه مطروداً مقهوراً أن يقدر على فعل حتّى يعود مرّة ثانية الى وطنه ، ويصير أميراً كما كان أوّلاً . هذا ما لا يكون مع قوّة خصمه وتزلزل أمره هو . والمصلحة أنّني آخذ من أتابك الدكز عهداً على ما بذله لي . وأدخل الى القلعة الى اينانج وأدبّر على هلاكه ، فأتاه ودخل اليه وقال له : عاهدني « ٨٥ ـ أ » على ما بذلته لي من نفسك ، فعاهده وقال له : عاهدني أنّ كلّ من أبذل له شيئاً****من أصحاب اينانج على أن يوافقني على رأي هلاكه ،أن تجهّزه لي ، واذا خرج اليك أن تدفع له على ما بذلته أنا له . فعاهده على ذلك ، ودخل القلعة الى اينانج وقال له : انّ الأمر بينك وبين الأتابك الدكز

---

* في الأصل : ترجوا .
** في الأصل : فما .
*** في الأصل : محصوراً .
**** في الأصل : شيء .

متباعد فيما تطلبه منه من الصّلح ، لأنّه يطلب منك أنّك تنزل اليه وتحضر خدمة السّلطان ولا يوافقك على دون ذلك ، فاختر لنفسك النّزول اليه أو المقام بهذه القلعة . وخرج من عنده ، وكان اينانج له من الغلمان الأتراك ما لم يكن لأحد من الملوك . وكلّهم كانوا يحضرون عند سعد الدّين الأشل ، وهو الّذي كان يدفع اليهم جامكيّاتهم ويقوم لهم بما يحتاجون اليه من النّفقات وغيره . فدخل اليه منهم جماعة وأكلوا عنده طعاماً ونهضوا للخروج ، فاحتبس منهم ثلاثة أنفس كان يثق اليهم ويثقون اليه ، فأخبرهم بالقصّة الّتي جرت بينه وبين الأتابك الدكز والأيمان الّتي حلف فيها . وأثبت عندهم أنّ اينانج ما بقي ينصلح له حال ، ومتى أفضى أمره الى خلل فهو يعمّنا معه ، والمصلحة أن نعتمد شيئاً تكون فيه المصلحة لنا اذ كان أمر صاحبهم* قد آل الى الضّعف « ٨٥ ـ ب » والهلاك . ودبّر هو وأولئك الثلاثة الأمر أن يدخلوا** على اينانج يفتكون به ويخرجون الى الأتابك الدكز ، ومعهم العهد الّذي عهده لهم على يد سعد الدّين الأشل . فمضوا من عنده وانتظروا منه وقتاً يتمكّنون فيه من هلاكه . وكان اينانج في كلّ ليلة يبيت في برج من أبراج القلعة ، فخرج ليلةً على عادته الى البرج وبات فيه ، وكان تلك اللّيلة قد تناول شيئاً من الشّراب ونام على فراشه . فجاء هؤلاء الثلاثة ودخل أحدهم الى اينانج وهو نائم على فراشه فذبحه بسكّين كانت معه[1] وغطّاه بفراشه وخرج الى صاحبيه . ونزلوا من القلعة من سورها ودخلوا في عسكر الأتابك الدكز وطلبوا من الحجّاب أن يُدخلوهم الى أتابك الدكز ، فعرّفوه فأمر بادخالهم عليه فلمّا دخلوا عليه عرضوا عهده عليه فقال لهم : قد عرفت هذا فما خطبكم ؟ قالوا : قد قتلنا صاحبنا وخرجنا اليك . فقال : تقعدون الى أن

---

* في الأصل : صاحبها .

** في الأصل : يدخلون .

(١) حول هذا أنظر الراوندي ٤٢٤، البنداري ٣٠٣، ابن الأثير ١١/١٣٠.

يصحّ قولكم . قالوا : مبارك . فما كان الاّ ساعة حتى هاج الصّياح في القلعة وخرج سعد الدّين الأشل بنعيه تلك اللّيلة الى أتابك الدكز ، وعرّفه الحال فحيّاه بالخلع الفاخرة وخصّه بالمرتبة العالية ، وتسلّمت * القلعة بما فيها من خزائن وسلاح وخيل وغلمان « ٨٦ ـ أ » وجوار . وجعل البلد اقطاعاً لولده البهلوان ، وصار سعد الدّين الأشل هو الحاكم في البلاد ، ومتولّي القليل من أمور البهلوان بن الأتابك الدكز والكثير ، وجعل أولئك الغلمان في خدمة سعد الدّين . وكانت أمور سعد الدّين الى أن مات جاريةً على المراد ، مستمرّة على نهج السّداد . وكان هذا سعد الدّين في أيّام خدمته لإينانج أظلم النّاس وأكثرهم غشماً وتمرّداً . فلمّا صار في خدمة بهلوان بن الأتابك الدكز صار أعدل النّاس وأنصفهم وأرحمهم للضّعفاء وأرأفهم . وما زال طول حياته الى أن مات على طريقة حسنة وحالة مستقيمة ، وجلالة عند سلطانه وسيمة . وصفت العراق وأذربيجان وأرّان لأتابك الدكز[1] ، وراسل دار الخلافة بأنواع اللّطائف . وقال : إنّي مملوك الدّولة العبّاسيّة ، أفترض طاعتها وأجتنب معصيتها ، وكلّ ما تمّ لي من الاستظهار والنّصر على الأعداء ، هو ببركات انتمائي الى الدّولة العبّاسيّة ثبّتها الله تعالىٰ . ومضى الى أصفهان وأقام بها وكان أتابك [سنقر] قد درج الى رحمة الله تعالىٰ ، وولي مكانه أخوه الأمير زنكي ، فاستدعاه الى الخدمة السّلطانيّة . وكان أخوه سنقر كما ذكرنا[2] قد تعاضد مع اينانج والأمراء العراقيّين ، « ٨٦ ـ ب » ونفّذ لهم السّلطان محمّد بن طغرل ونفّذ معه عسكراً فأحفظ ذلك الأتابك الدكز وبقي في قلبه ، وكان يُسرُّ في نفسه بالانتقام من أتابك سنقر . واتّفق أنّه درج فلمّا وصل نعيه

---

* في الأصل : تسلّم .

(١) سعد الدين سعد (في البنداري : أسعد) الأشل كان وزير الأتابك شمس الدين ايلدكز. البنداري ٣٠٣ .

(٢) أنظر الى الحاشية رقم ١٢ صفحة ٢٥٣ .

أنشد الأتابك الدكز قول الشّاعر :

يا أسد الموت تخلّصته | من بين لَحْيَيْ لبوة خادره
قد كانت الدّنيا شفت لوعتي | منه ولكن لاذ بالآخرة

توفّي أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله في مستهلّ ربيع الأوّل سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، وكانت مدّة خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستّة عشر يوماً . وكان عمره ستّاً وستّين سنة إلاّ ثمانية وعشرين يوماً ثمّ تولّى بعده ابنه المستنجد بالله[1] .

---

(١) توفي الخليفة المقتفي لأمر الله في ٢ ربيع الأول ٥٥٥ هـ.



وَخَرَجَ أمْرُ السُّلْطَان

ارسلان شاه بن طغرل والأمير شمس الدّين أتابك الدكز الى الأمير زنكي يستدعيانه ، فأوجس في نفسه خيفة وأعاد الجواب : إنّني مملوك السّلطان وعبده ، ولست ممّن يخالف أمره وينزوي عن طاعته . بَلَى قد سبقت لأخي زلّة ، وبدرت منه هفوة ، انتقم الله للسّلطان بها منه حتّى انقطع عمره ، وذاق وبال أمره ، وأخشى أن يكون قد بقي في صدر « ٨٧ ـ أ » السّلطان وأتابك الدكز من ذلك شيء ، وأريد أن يُبْذَل لي الأمان ، وينعم عليّ به حتّى أقصد خدمة السّلطان . ونفّذ اليهما مع رسوله من الهدايا والتّحف والمبارّ والطُّرف وأنواع الثّياب من كلّ جنس ، والغلمان الحُبوش من الخصيان ، والخيول العربيّة اشتراها من القطيف[1] وبلاد العرب ، وطلب أن يعهد له بما اقترحه على يد رسوله . فلمّا وصل الرّسول الى خدمة السّلطان وأتابك الدكز ، أدّى ما تحمّله من الهدايا والرّسالة ، فأسعف بمطلوبه وفاز بمرغوبه ، وسُرّح الى صاحبه وهو قرير العين ، قد نجحت رسالته وحسنت سفارته . فلمّا وصل الرّسول الى أتابك زنكي تجهّز بجهاز كثير وركب مع جميع عسكره وقصد خدمة السّلطان وهو بأصفهان . فلمّ انتهى اليها وعلم أتابك الدكز بوصوله ، أمر العساكر بأسرها أن

---

(١) القطيف ـ « مدينة بالبحرين وهي اليوم قصبتها وأعظم مدنها » . ياقوت ٤/٣٧٨ .

تقع الآن القطيف في جنوب شرق رأس تنورة في المملكة العربية السعودية .

يـركبوا* بـالعُدّة والآلـة ولُبْس الأسلحة . ففعلوا ذلـك ووقفوا في طـريقـه صفّين** ، والتقاه الأمـراء بأسـرهم ما عـدا أتابـك الدكـز فانّـه وقف مع السّلطان في مقامه . فلمّا وصل الأمير زنكي[1] ونظر العساكر مصطفّـة وفي كلّ كتيبة منها أعلام صاحبها وغلمانه وحلقتـه ، بأحسن « ٨٧ ـ ب » زيّ وأعظم أهبة ، فكان يتخايل له أنّ السّلطان في ذلك الموضع ، فيهمّ بالنّزل لتقبيل الأرض فيمنعه الأمراء والحجّاب من ذلك ، الى أن فعل هـذا مراراً وفي كلّ ذلك يمنعونه من النّزول . فلمّا وصل قـريباً من المـوضع الّـذي فيه السّلطان نظر من عظم المواكب وكثرة الأطلاب ما هاله وكشف بـاله ، فلمّا قرب من السّلطان نزل الأمراء والحجّاب وأمروه بالنّزول ، فنزل ونفسه قد طارت شعاعاً ، وقد اكتنفه الخوف وأحاطت بُروعه الهيبة . فلمّا رآه أتـابك الدكز ساق اليه فرسه قليلاً ، وأشار الحجّاب اليه أنّ هذا أتابك فوقـع على حافر فرسه يقبّله فمنعـه من ذلك ، وقـدّموه إليه فـاعتنقه من ظهـر الفرس فقبّل عند ذلك كفّه وقال له : يـا مولاي بـالعهد قصـدت خدمتـك ، أي أوفِ بمـا عـاهـدتني عليـه . فقـال لـه : طيّب قلبـك ، أنت الى بيتـك وصلـت . وأمر أتابك الأمراء والحجّاب أن يقدّموه*** الى خدمة السّلطان ارسـلان شاه بن طغـرل . فضرب العسكـر والأمراء حـول السّلطان حلقة كبيرة واسعة عريضة ، وبقي السّلطان وحده وخلفه الغلمـان السّلاحيّـة ، ودخل الأمراء في الحلقة رجّالة ، ومعهم أتابك زنكي . فلمّا وقعت « ٨٨ ـ أ » عينه على جتر السّلطان قبّل الأرض ، وصار كلّما خطى خـطوات يقبّل الأرض الى أن قبّلهـا مـراراً . فلمّا مثـل بـين يـدي السّلطان قبّـل رجـل السّلطان ، وانصرف السّلطان من مكانه فنزل في سُـرادقه ، وتقـدّم بانفـاذ

---

* في الأصل : يركبون .

** في الأصل : صفان .

*** في الأصل : يقدّمونه .

(١) صاحب فارس أتابك زنكي عاد إلى أصفهان في ١٩ شعبان ٥٦٠ هـ. الراوندي ٤١٧ .

النّـزل اليه ، فنفّـذوا له كـل ما يحتـاج اليه من مـأكول ومشـروب وشموع ومفارش . وهيّأ السّلطان مجلس الأنس فاستدعاه وشرب عنـده وخلع عليه وعـلى أمرائـه الخلع الفاخـرة ، وقاد اليـه من الخيل الموسـومـة بـالأطـواق والسّرفسـارات الذّهب ، وأعطاه سيفاً مجوهـر الحلية . وانصـرف من عقده وتقدّم الى الأمراء العراقيّين الكبار أن يعمل له كلّ واحد منهم مأدبة ، فذكروا أن الأمير عز الدين ستماز بن الحرامي عمل مأدبة أنفق فيها مائة وخمسين* ألف دينار نقد أصفهان ، منها خمسةوسبعين** ألف دينـار عيناً . وأقـام في خدمـة السّلطان الى وقت انصرافـه من أصبهان الى همدان . فخلع عليه مرّة ثانيـة وفوّض اليـه ولاية فـارس وأعمالهـا ، وأمره بالعدل والانصاف ، وتَرْكِ الغشم على الرّعيّة والاجحاف . وعاد السّلطان الى همدان ومعه الأمير أتابك الدكز وأقام بها مدّة ، وعزم أتابـك الدكـز أن يعـود الى « ٨٨ ـ ب » أذربيجـان وأرّان ، لمّـا سمـع أنّ الكـرج تحدّثهم أنفسهم بقصـد ديار الإسـلام ، وأنّهم أغاروا عـلى دوين وأخذوا كـلّ من فيها[١]. فعاد الى أذربيجان وكان الأمير ناصر الدّين أقـوش[٢] قد توفّى ، فدفع ولاية همدان وبروجرد[٣] لولده محمّـد بن أقوش . ولم تكن ولايـة

---

* في الأصل : خمسون .

** في الأصل : سبعون .

(١) « وفي هذه السنة (٥٥٧ هـ) في شعبان اجتمعت الكرج في خلق كثير يبلغون ثلاثين ألف مقاتل ودخلوا بلاد الاسلام وقصدوا مدينة دوين أذربيجان فملكوها ونهبوها وقتلوا من أهلها وسوادها نحو عشرة آلاف شخص (في الذهبي ص ١١٩ أ ثلاثين ألفاً) وأخذوا النساء سبايا وأسروا كثيراً وأعروا النساء وقادوهن حفاة عراة وأحرقوا الجامع والمساجد. فلما وصلوا إلى بلادهم أنكر نساء الكرج ما فعلوا بنساء المسلمين وقلن لهم قد أحوجتم المسلمين إلى أن يفعلوا بنا مثلما فعلتهم بنسائهم . . . ». ابن الأثير ١١/١٠٧ .

في فاردان (١٥٥) أن ملك الكرج غيورغي الثالث، جمع جنوداً من القبائل القفقازية وهاجم دوين واحتلها وأعمل في كلّ من فيها، ما عدا النصارى، السيف والنار.

(٢) مات الأمير نصر الدين أقوش في ٢١ ذي القعدة ٥٦٠هـ. الراوندي ٢٧٨ .

(٣) بروجرد ـ بلدة بين همذان وبين الكرج بينها وبين همذان ١٨ فرسخاً وبين الكرج عشرة فراسخ. ياقوت ١/٤٠٤ .

همدان لأقوش وانّما دفعها له عوضاً من أردويل ، وأخذ أردويل منـه ودفعها لولده البهلوان . فلمّا صار أتابك بأذربيجـان [1] ، راسلته الكـرج وقالـوا له : انّه لنا على كنجة و بيلقان خراج يصل الى خزانة الملك في كـلّ سنة ، وقد انقطع عنّا منذ سنين ما وصل الى الخزانة ، ونريد منك أن تدفع ذلـك لنا . فقال لهم بالجواب : إنّني ما تركت العـراق وجئت الى هذه البـلاد الاّ حتّى أجمع العساكر وأقصد تفليس وأحاصرها ، ولا أزال دون أن آخذها . فما كان عندكم من قوّة فأظهروها ، فأنا قاصد بلادكم قـد أتيتكم بعساكـر لا ينجيكم منهـا الاّ الضّرب بـالسّيوف والـطّعن بالأسنّـة . وكان السّلطان ارسلان شاه بن طغرل بهمدان ، وقد عادت أمور عساكر العراق الى أجمـل ما كانت عليـه في زمن السّلطان مسعود ، فنفّـذ اليه أتـابك الـدكز وعـرّفه رسالة الكرج ، وأنّه قد أجابهم بكذا وكذا ، وشـرح له الـرّسالـة والجواب واستقدمه اليه .

فنهض السّلطان ارسلان شاه « ٨٩ ـ أ » بن طغرل من العراق ، بعساكرٍ راقت العيون وهيبة راعت القلوب ورجال يوزن آحادهم آلاف وأفرادهم بأضعاف ، قد ربّتهم الحروب في حجورها وأرضعتهم التّجارب من شطورها* . فلم يُسمع بعسكر في العراق اجتمع فيه من القروم وطبقات الجنود ما جمعه ذلك العسكر . وسار حتى لحق بأتابك الدكز في نخجوان ، ورحل من نخجوان الى أن وصل كنجه فأقام فيها أيّاماً .

ولّما سمع ملك الكرج بإقبـاله ، وأنّـه مجدّ عـلى لقائـه وقتالـه ، أرسل إليه** رسولاً وتضرّع اليه : إنّني قد نزلت عمّا كنت قد طلبته منك ، ولست

* في الأصل : سطورها .

** في الأصل : الله .

(١) هذا المقطع وحتى: « ولم يخلفهم أمل مرجو » نقله بكامله أميـدروز في نهاية كتـاب تاريـخ دمشق لابن القلانسي الذي أصدره عام ١٩٠٨ في ليـدن قائـلاً: « وقد روى مؤلف زبـدة التواريخ في هذه الواقعـة أن أتابـك الدكـز لما صـار بأذربيجـان راسلته الكـرج إلى « ولم يخلفهم أمل مرجو. ». أنظر ابن القلانسي ٣٦٢ ـ ٣٦٤.

أعود الى ما يسوؤك . وأنا نازل عمّا* تريده ومسعفك بما تطلبه . وكان شاه أرمن سقمان بن ابراهيم أيضاً قد جاء الى عسكر السّلطان ليفوز بخدمته ويحظى بتقبيل بساطه ، بعساكر كثيرة وعُددٍ وافرة . وحظي عند وصوله الى خدمة السّلطان بالاعزاز والاكرام ، والتّبجيل والاعظام ، وكان يخاطبه السّلطان : ايجي** . فلمّا وصل رسول الكرج الى أتابك الدكز بذلك عرضه على السّلطان ارسلان شاه بن طغرل ، فجمع الأمراء بأسرهم وشاه أرمن وحضر أتابك الدكز معهم ، وتشاوروا في الجواب لرسول ملك الكرج . فأشاروا « ٨٩ ـ ب » كلّهم الى الأتابك الدكز أنّ الرّأي رأيك ، وأنت أعرف ببلادك فماذا ترى ؟ فلاح لهم منه أنّه يميل الى المصالحة فقام أمراء العراق وخدموا السّلطان وقالوا له : نحن أنفقنا أموالنا على أجنادنا ورجالنا ، وجمعنا عساكر يضيق عنها الفضاء ويحيد عن سورتها وشرّتها القضاء ، وجئنا الى ها هنا ونعود من غير أن نلقى عدوّ الإسلام ونريه بأساً يورده فيه موارد الانتقام ، ومراساً يقوده الى الاذلال والارغام ، وقهراً يردّه عن شريعة الطّمع ، وقسراً ينزل بقلبه البأس والجزع . ووافقهم شاه أرمن على هذا الرّأي وقال : إنّ عدوّ الاسلام شديد قلبه ، ثقيلة على المسلمين وطأته ، وبالأمس ما قد فعله من الغارة على دوين ونهبها وأسر جماعة [من] أهلها وقد رآنا*** أنّا اجتمعنا للقائه وتهيّأنا لدفع مضرّته وبلائه . ويرى أنّا تفرّقنا من غير مكافحته ومصاولته وعُدنا دون مصادمته ومساورته ، وقد أنفقنا من الأموال ما أنفقنا وأذهبنا من العساكر لجمع العساكر ما أذهبنا . فحينئذ يزداد طمعه ونخشى أنّه اذا عاد السّلطان ، خلّد الله ملكه ، الى العراق ، أن يخرج الى بلاد الإسلام بجموعه ويطرقها بعساكره ، وهي خالية ممّن يقاومه صفر ممّن يقابله « ٩٠ ـ

---

* في الأصل : عندما .
** أي : أخي الكبير .
*** في الأصل : راينا .

أ » ويصادمه . فتظهر معرّته بأهل الاسلام ، وتفشو مضرّته بـالخاص منهم والعام .

فلمّا سمـع أتابـك الدكـز هـذه المقـالات ، وأنّ القـوم مصـرّون عـلى الملاقاة ، قام الى كلّ واحـد من الأمراء فـاعتنقه وقبّـل وجهه وقـال : الآن علمت أنّكم على الجهاد حريصون ، وعلى مكافحـة أعداء الله مصـرّون ، فتأهّبوا للقاء الكفّار وبيع أنفسكم بالجهاد للواحد القهّـار . ودفعوا رسـول ملك الكـرج بلينٍ من القـول ، ورحلوا من مقـامهم وقـد اجتمـع عـلى السّلطان من التّـراكمة مـا ليس لهم عدد ، ولا يحصـرهم لكثرتهم أحـد ، وقصدوا بلاد الكرج . فلمّا علم بهم ملك الكرج بأنّهم قد قصـدوا بلاده ، تأهّب للّقاء واستعدّ وجمع فضّه وفضضه ، وخرج بعساكر لجبـة وأثقـال ، ما حوى عسكـر من عساكـر الكفّار مـا حواه عسكـره من العُدّة والعتـاد ، وآلات الحرب والطّراد ، والخيل المسوّمة والبغال المطهّمة .

وقـرب الفريقـان بعضهم من بعض ، وكان أتـابك الـدكز قـد جعـل العسكر ثلاثة فرق : فرقةٌ تأهّبت للقاء الملك وعسكـره ؛ وفرقـة ثانيـة فيها عسكـر العراق أمـرهم أن يتوقّفـوا الى أن يختلط الخيل بـالخيـل والـرّجـال بالرّجال وينشب بينهم الضّراب والطّعان ، فيأتونهم عند ذلك لتقوى قلوب المسلمين « ٩٠ ـ ب » باتيـانهم وتضعف قلوب المشركـين عند معـاينتهم ؛ ووقف هو في الفرقة الثالثة ، ومع غلمانه وخواصّه رجالٌ قد جرّبوا الحـرب ولاقوها مراراً وتقلّبوا فيها وعلموا أحوالها سرًّا وجهاراً .

فوصل الملك ورتّب عساكره ميمنـة وميسرة وقلبـاً وجناحـين وعساكـر المسلمين مقابله ، ورفعت الحمـلات من الكرج عـلى المسلمين ، وثبتـوا له أشدّ ثبات ، ودارت بينهم رحى الحرب ، يفصلون بالبيض البوارق ما بين الطّلى والعواتق، ويضربون مفارق الهام ضرب القُدَار نقيعـة القُدَّام[1] . فلمّا

(١) في الأصل: العدام بعمه العدام .

اشتدّت وطأة الحرب على صحبها ، ومرّت كأسها على شربها ، وتكافحت جموع الكرج على المسلمين لم يرعهم إلاّ والفرقة الثّانية من المسلمين ، وهم أمراء العراق ، قد أظلّتهم بخيل كظلام اللّيل وملتطم السّيل ، معلنين بالتّكبير ، معمومين بالحزم والتّشمير ، وانضافوا الى اخوانهم من المسلمين وتقدّموا على أعداء الله يهدمون صفوفهم ، ويهزمون أبطالهم ويزيلونهم عن مواقفهم . ومع ذلك فهم ثابتون أمام ملكهم الى أن انتصف النّهار وجاءهم أتابك الدكز بنفسه ورجّالة الأتراك واستكماله القتال* بالطمّ والرّمّ واللّيل المدلهمّ . فلمّا رأى الملك كثرة العساكر « ٩١ ـ أ » والامداد وأنّهم يأتونهم فوجاً بعد فوج ، زالوا عن مقامهم وأخذتهم السّيوف من ورائهم وأمامهم ، وتكاثر أولياء الله المسلمون على جماهير الكفّار المشركين ، يأزّونهم أزّا ويحشّونهم رقصاً وجمزاً . فلم ينتصف النّهار الاّ بانتصاف المسلمين من أعداء الله المخذولين ، وحكّموا السّيوف في زهاء عشرة آلاف** رجل من أبطالهم وشجعانهم . فبسطوهم على العراء وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهواء . وأحيط بجماعة من وجوه الكفّار وجماهيرهم ، فسيقوا بخزائم القسر والقهر والأسر الى موقف السّلطان وأتابك الدكز ، كما يساق المجرمون الى النّيران ، وجوه عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان . فمن مكتوفٍ الى الظّهر قهراً ومسحوب على الخدّ

---

* في الأصل : اسباله القتال .

** في الأصل : ألف .

= قال المهلهل:

إنا لنضربُ بالصوارم هامهم ضرب القدار نقيعة القدّام

القدار: الجزّار. والنقيعة: كل جَزُورٍ جَزَرْتها للضيافة (الجزور: الذبيحة). ونقعتُ النقيعة أي نحرتها. والقدّام: القادمون من سفر، جمع قادم.

والمعنى: أي ننحرهم كما ينحر الجزار الجزور للقادمين من السفر أو للضيوف. أنظر: لسان العرب. مادة نقع ٣٦٢/٨.

جرًّا ومضروبٍ على الوريـد ضيراً . ونجـا ملك الكرج بحشـاشة نفسـه ، ورضي من الغنيمة بالاياب ومن الظّفر بالانقلاب . واستولى المسلمون على غنـائم لم يغنم أحد من المسلمين وعسكر من المسلمـين مثلها . وامتـلأت الأيـدي من الغنائم والخيـل السّوائم ، والأمـوال الجـزيلة والخيـام الحسنـة الجميلة والغلمـان الّذين كـأنّهم اللّؤلؤ المكنـون . ومن جملة مـا كـان مـع الملك **الأصطال** الّتي كان يسقي فيهـا خيله ، « ٩١ ـ ب » كلّها فضّـة ، والآنية الّتي كان يحضر فيها الطّعام والميدَ والأطباق والصّحـون والزّبـادي ، جميعها ذهب . ووجد في خزانته من الجواهر والعقيان واللّؤلؤ والمرجـان ، كـما ذكره الله سبحـانه في القـرآن ، ووعد بـه أهل الجنـان . وكانت هـذه الحرب سنة ستّ وخمسين وخمس مائة .

ودخلت العساكر بعد ما أجمّت * أيّـاماً الى بـلاد الكرج ، وشنّـوا فيها الغـارات وأوقعوا فيهـا النّهب والقتـل والأسـر والخـراب الى أن غـادروهـا خـاوية ، كـأن لم تغنِ بالأمس . وخـرجوا وقـد حصل لهم من الغنـائم ما ارتاشت بها أحوالهم وتحقّقت آمالهم[1] . ورجع السّلطان وأتابك الدكز الى

---

* في الأصل : أحمت .

(١) يذكر فـاردان (١٥٦) أن ايلدكز بعـد الذي حصـل في دوين هاجم مـرين (شمال دوين) وأصلى القلعة النار حيث كان فيها ٤ آلاف من النصارى.

كـانت الحملة الرئيسية لجيش المسلمـين في صفـر ٥٥٨ هـ. حشـد ايلدكـز ٥٠ ألفـاً من العسـاكر إضافة إلى صاحب خلاط شاه ارمن بن سكمان القطبي وابن آق سنقر الأحديلي صاحب مراغة وغيرهم. وانتهت إلى هزيمة الكـرج بعد شهـر من المعارك الـطاحنة. وغنم المسلمون من أموالهم مالا يدخل تحت الاحصاء لكثرته. ابن الأثـير ١٠٧/١١، الراونـدي ٤١١ - ٤١٣.

تجمع معظم المصادر على أن سبب هزيمة الكرج أن بعضهم حضر عند ايلدكز وأسلم عـلى يديه وقـال له: تعـطيني عـسكراً أسـيرُ بهم في طريق أعـرفها فـآتيهم من ورائهم بـدون أن يشعروا. فأرسل الأتابك ايلدكز معه عسكراً ووعده يوماً يصل فيه الى الكرج وانقضوا على الكرج من الجهتين وغنم المسلمون كثيراً وبقوا ثلاثة أيام يتعقبون فلول الكرج.

كنجة ، ومضى شاه ارمن الى دار ملكه . وأقعد أتابك الدكز في كنجة من يقوم بحفظها ، والذّبّ عنها من خصم عساه أن يغشى ضواحيها وبلادها . وسار الى أن أتى نخجوان وأقام بها مدّة في خدمة السّلطان ، وقصدوا همدان ووصلوا اليها سالمين غانمين لم يمسسهم سوءٌ ولم يخلفهم أمل مرجوٌّ .

ولمّا كان في سنة اثنتين وستّين وخمس مائة نفّذ المؤيّد أي ابه من نيسابور الى أتابك الدكز ، فسيّر اليه أنّ خوارزمشاه ايل ارسلان قد عزم على النّزول على نيسابور[1] واستخلاصها منه ، ومتى تمّ له ما يرومه من نيسابور فهو لا يقنع بها وتحدّثه نفسه بقصد العراق ، ولئن لم تتحرّكوا حركة « ٩٢ - أ » تمنعه ممّا خطر في نفسه ، لينفجرنّ عليكم [سيل] شقاءٍ لا تطيقون سدّه ، ويهيج بحر عناءٍ لا يجزر مدّه . وكان أتابك الدكز في همدان ، فرحل منها الى الرّي وأنفذ رسولاً الى خوارزمشاه أيل ارسلان ، أنّ هذا المؤيّد اي ابه هو مملوك السّلطان ، وخراسان بلاد السّلطان وملك آبائه وأجداده ، وكذلك خوارزم الّتي أنت فيها . ومتى قصدت نيسابور كان الجواب قصدي ايّاك والمحاربة والملاقاة بيننا وأنت من وراء النّظر

= المؤرخ الألباني مختيار غوش (١٩) يكتب أن المعلومات حول الجيش الكرجي أعطاها الى ايلدكز سباهسلار في الجيش الكرجي اسمه ايفان بن سمباتا أوربيلي الذي أبلغ الأتابك والسلطان بشكل سري . إذ كان معهم في تحالف وكان معمياً بالرشوات . في هذا الاطار يكتب المؤرخ ستيبانوس أوربيليان (٢١٧ - ٢١٩) أن الملك غيورغي (جورجي) عندما قرر وضع نهاية لدسائس ايفان ضده تحصن هذا الأخير في قلعة لورا حيث أرسل من هناك شقيقه ليباريتا إلى الأتابك ايلدكز مع طلب أن يصل الى الكرج مع عسكر.

(١) كان المؤيد آي آبه قد حاصر مدينة نسا في جمادى الأولى سنة ٥٦٠ هـ فأرسل خوارزم شاه ابن أرسلان بن آتسز فوراً جيشاً ضد المحاصرين الذين رحلوا عنها عندما اقترب منها وعاد آي آبه الى نيسابور وأصبح صاحب نسا في طاعة خوارزم شاه والخطبة له فيها . ثم سار عسكر خوارزم شاه إلى دهستان (المقاطعة الشمالية لجرجان) فالتجأ صاحبها إلى آي آبه أما دهستان فإن عسكر خوارزم غلبوا عليها وصار لهم فيها شحنة . ابن الأثير ١١٨/١١.

لنفسك . فكأنّ هذا الكلام أحفظ خوارزمشاه ايل ارسلان وبلغ منه مبلغاً أحرجه ، وتهيّأ لقصد نيسابور . ورحل اليها في سنة اثنتين وستّين وخمس مائة ونزل اليها . ورحل أتابك الدكز ونزل بسطام[1] ، وبقي خوارزمشاه ايل ارسلان على نيسابور شهرين يقاتلها وما قدر منها على شيء[2] . فلمّا علم أنّ أتابك الدكز وعساكر العراق* وصلوا رحل عن نيسابور . . . الى جرجان من عند . . . نفّذ المؤيّد اي ابه القاضي الامام فخر الدّين الكوفي الى خدمته رسولاً ، وقال له : قد أنفقت نفقات كثيرة وأخرجت صلات جزيلة ، ولا يجوز أن ترجع الى خوارزم بغير مقصود الآن حيث رجعت أنا مملوكك ومفترض على نفسي طاعتك . أنا أخطب لك وأضرب السّكّة على الدّنانير والدّراهم باسمك ، وأتصرّف في البلاد عن أمرك ونهيك . فلمّا سمع خوارزم شاه ايل ارسلان هذه الرّسالة هشّ لها واهتزّ « ٩٢ ـ ب » واصطلحا على ذلك . وحسن مقدم القاضي فخر الدّين عند خوارزمشاه ايل ارسلان ، وخلع عليه خلعاً سنيّة وأعطاه عطايا هنيّة ، وأعاده الى نيسابور ومعه رسولٌ منه الى المؤيّد أي ابه ، بتشريفات فاخرة وهدايا وافرة وخيلٍ** محلّاة بالذّهب والفضّة ، وخيلٍ من العتاق الجياد مجلّلة بالبراقع والجلال ومن سائر الطّرائف المجموعة في خزائنه . ورجع القاضي فخر الدّين الى نيسابور وقد بلغ ما رام ، ناجح السّعي طيّب القلب مبرود الغليل[3] . ولمّا سمع أتابك الدكز بالصّلح الّذي تمّ بين المؤيّد أي ابه وخوارزمشاه ايل ارسلان ، عاد من بسطام الى الرّي

---

* العبارة من : « العراق . . . نفّذ المؤيد » ترد في الهامش ومكان النقاط مقصوص .

** في الأصل : خيلاً .

(١) في البسطام جرت معركة بين عسكر الأتابك ايلدكز وخوارزم شاه أيل أرسلان والتي بقيت سجالاً إلّا أن خوارزم شاه أخذ بيهق وسبزوار حيث طُرِد منها في أيار ١١٦٧ آي آبه .

(٢) استولى خوارزم شاه في حزيران ١١٦٧ على نيسابور حيث عقدت الخطبة باسم: تاج الدين والدنيا ملك الترك والعجم إيل أرسلان .

(٣) الاستيلاء على نيسابور حسم السباق بين خوارزم شاه والسلاجقة .

واذربيجان ، ونفّذ رسولاً إلى الموصل يلتمس منهم الخطبة والسّكّة ، وانفاذ ما كانوا يحملونه الى السّلاطين السّلجوقيّة . فأجابوه بالسّمع والطّاعة ، وخطبوا للسّلطان ارسلان شاه بن طغرل بالموصل وسائر بلاد الدّيار بكر والجزيرة ، ونفّذوا اليه من التّحف والهدايا والطُّرف والخيل العراب والبغلات الرّوميّة ومن سائر أجناس الثّياب مَن عمل مصر ودمشق ، واتحدت المودّة بين أتابك قطب الدّين مودود بن زنكي[1] وبين أتابك شمس الدّين الدكز وصاروا كيدٍ واحدة في خدمة السّلطان ارسلان شاه بن طغرل . وأمّا صاحب فارس فإنّه كان يؤدّي الحمل على العادة « ٩٣ ـ أ » الّتي كان يؤدّيها في زمن السّلطان مسعود ، والسّلطان محمّد بن محمود بن محمّد طبر . وفي سنة ثلاث وستّين وخمس مائة ، توفّي ملك كرمان[2] وتلاحوا أولاده ، كلّ واحد منهم طلب أن يكون هو الملك من بعده .

---

(١) قطب الدين مودود بن زنكي ـ أتابك الموصل. مات في شوّال ٥٦٥ وكان قد أوصى بالملك لابنه سيف الدين غازي الثاني. وكان عم غازي (أي شقيق قطب الدين) ـ نور الدين محمود من المنافسين على العرش فحرك جيوشه ضد ابن أخيه. عندها فإن سيف الدين غازي الثاني (في الأتابكية ١٥٣ ـ فخر الدين خادم قطب الدين وعدو نور الدين ومؤيد سيد الدين) « سيّر المولى عز الدين مسعود بن أتابك قطب الدين إلى أتابك شمس الدين ايلدكز صاحب بلاد الجبل وأذربيجان وأرّان وغيرها يستنجده فأرسل ايلدكز رسولاً إلى نور الدين ينهاه عن قصد الموصل ويقول له: إن هذه البلاد للسلطان ولا سبيل لك إليها، فلم يلتفت نور الدين إلى رسالته ـ وكابسنجار ـ فسار إلى الموصل وقال للرسول: قل لصاحبك، أنا أرفق ببني أخي منك فلم تدخل نفسك بيننا، وعند الفراغ من إصلاحهم يكون الحديث معك على باب همذان، فإنك قد ملكت نصف بلاد الاسلام وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها، وقد بليت أنا وحدي بأشجع الناس، الفرنج، فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم، فلا يجوز لي أن أتركك على ما أنت عليه، فإنه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت من بلاد الاسلام وإزالة الظلم عن المسلمين، فعاد الرسول بهذا الجواب ». الأتابكية ١٥٣ .

(٢) صاحب كرمان في هذا الوقت كان محيي الدنيا والدين طغرل شاه بن محمد الذي توفي في ٥٦٥ هـ (ابن الأثير ١١/١٣٤).

فهرب الولد الأوسط من أولاده ، وكانوا ثلاثة[1] ، ووصل الى همدان الى خدمة السّلطان ارسلان شاه بن طغرل والى أتابك الدكز . فأجابوا داعيه وحقّقوا أمانيّه وخاطبه أتابك الدكز بالجواب أيضاً من المعهود الايجاب ، بما شرح صدره وشدّ بالنّجح القريب ظهره . وتقدّم باجلال محلّه واكبار قدره ، واكرام جواره والاستعداد لردّه الى داره . وتقدّم فعينّ اليه من العساكر ما يكفيه وأزاح علّتهم، وقدّم عليهم الأمير جمال الدّين محمّد بن ناصر الدّين اقوش والي همدان ، وكان من الشّجعان الأبطال والفرسان المذكورين . وسيّر تحت رايته أعيان الأولياء والحشم ، بعد أن أُزيحت علّتهم فيما يحتاجون اليه من الأموال والأسلحة ، ورحل من همدان سنة أربع وستّين وخمس مائة . فلمّا ورد* الى كواشير ، وهي دار المملكة ، فارقها الملك . . . [بهرام شاه] وسار الى نيسابور . ودخل الأمير جمال الدّين محمّد بن أُقش الى المدينة في يوم كمثل يوم الزّينة ، وتسلّم القلعة بها وسلّمها الى ملك كرمان . كما رسم له السّلطان « ٩٣ ـ ب » ارسلان شاه ابن طغرل وأتابك الدكز ، وأقام بها الى أن استجمّ فيها . ولّما دخل الملك الى القلعة وجد فيها الخزائن ما عجز أخوه عن حمله[2] ، مثل سلاح وفرش ، وشيئاً من أواني الفضّة . فحمل جميع ذلك الى الأمير جمال الدّين محمّد بن أقوش واعتذر اليه وقال : والله لو وجدت في الخزائن أحمال جواهر ، ما كنت ممّن ادّخر ذلك عن السّلطان ، وكنت قد نفّذته اليه والى

---

* العبارة من : « فلما ورد . . . فارقها الملك » ترد في الهامش ومكان النقاط مقصوص .

(١) أبناء طغرل شاه هم: طوران شاه ـ بهرام شاه ـ من خاتون ركني. وملك أرسلان، طغرل شاه، تركان شاه ـ من الجواري.

(٢) بعد موت طغرل شاه تولى العرش في كرمان أرسلان شاه، في هذا الوقت كان بهرام شاه يتوجه إلى نيسابور حيث تلقى الدعم من مؤيد آي آبه، وعاد الى كرمان وطرد أرسلان شاه. هذا الأخير هرب إلى أصفهان عند الأتابك ايلدكز، وبعدها بمساعدة عساكره تمكن من تحقيق انتصار على بهرام شاه الذي التجأ إلى آي آبه. بعد موت أرسلان شاه عاد بهرام شاه إلى كرمان واستولى على العرش دون منافسة من أخوته الآخرين.

الأمير أتابك الدكز ، فإنّهما ما قصّرا في حقّي ، وأحسنا اليّ وأكرماني وقاما بواجب حقّي لك المعذرة الى الله سبحانه ، وعليك أيّها الأمير جمال الدّين أن تقيم عذري عند السّلطان وعند أتابك الدكز . وجمع من البلاد ، في مدّة مقام الأمير جمال الدّين محمّد بن أقوش ، شيئاً من المال دفع بعضه الى العسكر الّذي كان في صحبته ، وسيّر الباقي الى السّلطان . وقال : إنّني في هذه البلاد نائب* عن السّلطان ، كلّ ما يفضل من خرج العساكر أنفذه حملاً إلى السّلطان ، لا أدّخر لنفسي شيئاً منه ؛ وكتب بذلك خطّه الى السّلطان والى أتابك الدكز . وعاد الأمير جمال الدّين محمّد بن أقوش الى العراق باقي تلك السّنة ، فلمّا وصل الى همدان زُيّنت له المدينة أحسن زينة ، وعملوا في أسواقها القباب المغشّاة بأنواع الثّياب . وتقدّم السّلطان الى جماعة الأمراء أن « ٩٤ ـ أ » يخرجوا إلى لقائه فخرجوا والتقوه . فلمّا دخل [على] السّلطان رحّب به وهشّ اليه ، وأكرمه وأفاض عليه من الخلع الفاخرة والمراكب الفُره وجعله أمير الحجّاب . وخرج من عند السّلطان وقصد خدمة أتابك الدكز ، فقام اليه واعتنقه وقبّل بين عينيه . وقال له :

الحمد لله الّذي قيّض على يديك فتح كرمان وتسليمها الى صاحبها ، وتحصيل أغراض السّلطان ، واسعافه بنَيْل مراده ، فانّه كان ملتفتاً** الى عود ذلك الملك الى ملكه وجلوسه في مقامه من الملك الّذي اغتصبه أخوه منه ، بعد أن عيّنه أبوه له وخصّه به أخواه[1] . وفي تاسع رجب سنة سبع وستّين وخمس مائة ، توفّي خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز[2] ، وصفت

---

* في الأصل : نائباً .　　** في الأصل : ملتفت .

(١) أنظر عرضاً موجزاً حول هذه الأحداث في ابن الأثير ١١/١٣٤ .

(٢) حسب الجويني (١/٢٨٩) فإن خوارزم شاه إيل أرسلان مات في ١٩ رجب ٥٦٧، بعد موته تبوأ ابنه الأصغر سلطان شاه محمود (١١٧٢ ـ ١١٩٣) حيث سيرُ دفة الأمور في الدولة أمه تركان خاتون. أنظر ابن الأثير (١١/١٤١ ـ ١٤٤) حول الصراع على خلافة السلطنة بعد وفاة إيل أرسلان بين سلطان شاه محمود وأخيه الأكبر علاء الدين محمد.

بلاد العراق وأذربيجان للسّلطان والأمير شمس الدّين الدكز أتابك ، يجري فيها حكمهما وينفذ أمرهما . لكن السّلطان أرسلان شاه بن طغرل كان صورةً في الملك ، وأتابك الدكز معنى يُنفذ الأحكام ويُقطع البلاد ، ويتولّى الخزائن وينقلها من البلاد حيث شاء . والسّلطان لا يقدر أن يفاوضه في شيءٍ من ذلك ، وربّما يضيق صدره في بعض الأوقات من استبداد أتابك الدكز في الأحكام ، وتصرّفه في الاقطاعات ودفعها لمن يشاء . « ٩٤ - ب » ويتكلّم بذلك فتقول له أمّه ، وهي زوجة الأتابك الدكز وأمّ ولديه نصرة الدّين محمّد البهلوان و مظفّر الدّين عثمان قزل ارسلان : لا عليك ، إنّ هذا الرّجل قد خاطر بنفسه واقتحم خوض الحتوف في الحروب مرّةً بعد أخرى ، وأنفق نفائس أمواله وأهلك غلمانه ورجاله حتّى قدر أن يقيمك سلطاناً ، وكم من السّلجوقيّة ممّن هو أكبر سنّاً منك في الحبوس وضيق العيش ، جلّ مرادهم لو قدروا على الحركة من مواضعهم لا يقدرون ، وأنت على سرير السّلطنة ، وهو وولداه يخدمونك ويقومون بين يديك ويقارعون أعداءك ويقهرون معاندك ، وأنت فارغ القلب من ذلك . وكلّ ما يعتمده أتابك من عطاء من يعطى ، ومنع من يمنع ، فكلّه راجع الى اصلاح دولتك ، وثبات ملكك، فلا يحزنك فعله ولا يهمّك قصده فهو مملوكك . فكان اذا سمع هذا من أمّه يسكت[1] .

توفّي أمير المؤمنين المستنجد بالله يوم السّبت الثّامن من ربيع الأوّل سنة ستّ وستّين وخمس مائة ، فبويع لولده المستضيء بنور الله[2] يوم الأحد عاشر ربيع الآخر سنة ستّ وستّين وخمس مائة . وبقي أتابكُ الى سنة تسع وستّين وخمس مائة ينتقل تارةً في العراق وتارةً في أذربيجان ، فتارةً كان يحمل السّلطان معه وتارةً يمضي بمفرده . فلمّا كان في هذه السّنة

(١) كل المصادر التاريخية تجمع على أن المسيّر الفعلي وصاحب الكلمة الأولى في دولة سلاجقة العراق كان الأتابك ايلدكز.

(٢) في كل المصادر الأخرى اسم الخليفة هو المستضيء بأمر الله أو المستضيء بالله.

« ٩٥ ـ أ » مضى الى أذربيجان [و] أقام [بها] الى أن دخلت سنة سبعين وخمس مائة . وتوفّي بنخجوان[1] ، والسّلطان بهمدان ومعه محمّد بهلوان . فلمّا انتهى خبر وفاة أتابك الدكز الى ولده محمّد بهلوان ، وهو في خدمة السّلطان أمير الحجّاب والقائم بأمره ، أوجس من السّلطان خيفة . فركب ومضى الى أذربيجان وجلس في مقام أبيه ، وتسلّم الخزانة والأموال ، وجمع العساكر والرّجال . وأقام في مكانه ينتظر ما يسفر الحال عنه من نيّة السّلطان في حقّه . والسّلطان لمّا توفّي أتابك شمس الدّين الدكز ورحل محمّد البهلوان من عنده ، اجتمعت عليه العساكر والأمراء ، وحملوا له أموالاً كثيرة لأنّه ما كان عنده شيء* من المال ، وتجهّز أن يقصد أذربيجان ويستخلصها من محمّد بهلوان . ورحل من همدان ومعه عساكر العراق ، وقد جدّ الأمراء واجتهدوا ، وجمعوا عساكر لم يُعهد مثلها في العراق وقصدوا أذربيجان ، وحسّنوا للسّلطان وقالوا له : انّك اذا استخلصت أذربيجان وأجلست فيها من أصحابك من تثق اليه ، تعود الى همدان وتقصد بغداد وتأخذها ، وصاحب الموصل قطب الدّين مودود بن زنكي ، وهو مملوكك ومن تحت طاعتك ، يأتي الى خدمتك . فاذا أخذتَ بغداد وخُطب لك على منبر الخلافة « ٩٥ ـ ب » يخلو لك جوّ الولاية من منازع ، ومن عدوّ مغالب مُقارع . فوافقهم على هذا الرّأي ورحل حتّى وصل الى مدينة زنجان ، واعتراه مرض شديد أقلقه ، وعارض أزعجه وأرّقه . فأقام بها ينتظر البرء من مرضه ، فزاد عليه . فلمّا رأى أنّ المرض قد زاد وأنّ أجله قد آل الى الازدراد أمر أن يُحمل الى همدان . فرجع

---

* في الأصل : شيئاً .

(١) معظم المصادر تؤرخ لوفاة الأتابك ايلدكز ٥٦٨هـ. الراوندي (٤٢٩) الذي كان مقرباً من الدوائر الرسمية في همذان ويمكن الأخذ بثقة بمعلوماته يذكر أن موت أرسلان شاه كان في منتصف جمادى الثاني ٥٧١ هـ. أما مؤلفنا (الحسيني) فيذكر أن السلطان مات بعد شهرين من موت الأتابك ايلدكز أي أن هذا الأخير توفي في ربيع الآخر ٥٧١ هـ. وقبله بشهر ماتت أم السلطان وزوجة ايلدكز ـ مؤمنة خاتون.

ورجعت العساكر وتوفّي في سنة سبعين وخمس مائة ، بعد موت أتابك شمس الدّين الدكز بشهرين ، قبل أن يصل همدان . وحُمل اليها ميّتاً ودُفن مع أبيه السّلطان ركن الدّين طغرل في قبّته ، وفشا خبر موته في البلاد . وكان ولده الملك طغرل مع الأمير نصرة الدّين محمّد البهلوان بن الدكز في نخجوان ، فأجلسه على سرير السّلطنة ورحل من نخجوان طالباً للعراق ، وهو تعيّن لمنصب الأتابكيّة كما كان والده للسّلطان ارسلان شاه . وكان الملك محمّد[1] وهو الأسنّ من أخيه ارسلان شاه بخوزستان ، فلمّا سمع بموت أخيه السّلطان ارسلان شاه ، طلب من شرف الدّين اميران بن شُملة[2] ، وكان أتابكه والحاكم على خوزستان وعساكرها ، أن يخرج معه الى العراق ، فقال له : أنا بُمفردي لا يمكنني مقارعة أتابك بهلوان دونك ، وبالأمس ما قد حاربه أبي في « ٩٦ ـ أ » قرميسين[3] وكسره وقتله ومعه الآن عساكر العراق وأذربيجان وأرّان يزيدون على خمسين ألف فارس . ولكن امضِ وحدك الى أصفهان ، فلعلّه اذا علم عساكر السّلطان وأمراؤها بوصولك الى أصفهان ، ينحاز بعضهم اليك . فان حصل لك هذا فحينئذ آتي الى خدمتك بمن معي من العساكر . فسمع قوله ورحل الى أصفهان ، فدخلها ، ووافقه من كان بها من الوُلاة . ورحل من همدان اليه قفشد بن قايماز الحرامي[4] . وصار في أصفهان

---

(١) حول الأمير محمد أنظر الفصل (٢٧)

(٢) صاحب خوزستان «شمله» كثرت ولايته وعظم شأنه لأكثر من عشرين سنة بفضل تأييد السلاجقة له ولاسيما الأتابك ايلدكز الذي ساعده باستمرار في صراعه ضد الخليفة. عندما حاول « شمله » اظهار الاستقلال واستولى على بعض أراضي الخليفة قتله ايلدكز في معركة سنة ٥٧٠. ابن الأثير ١١/١٦٠، ابن الجوزي ١٠/٢٥٥، سبط ابن الجوزي ٨/١، ٣٣٠.

(٣) قرميسين ـ بلد بين همذان وحلوان بينها وبين همذان ثلاثون فرسخاً. ياقوت ٤/٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٤) جمال الدين ايلفقشت بن قايماز الحرامي كان أمير حاجب السلطان محمد بن محمود. البنداري ٢٢٨.

ومعه نحو من ألف فارس . فلمّا وصل أتابك بهلوان الى همدان ، ركب منها في خواصّه وغلمانه ، وركض الى أصفهان في خمسة أيّام وانقضّ على الملك محمّد كالسّهم المرسل والشّهاب المرصد ، فِعْلَ من اتّخذ الجدّ خدْناً وصاحباً ونكّب عن ذكر العواقب جانباً ، آخذاً بالحزم والتّشمير .

وانهزم الملك محمّد ومن كان معه من العسكر الى صوب خوزستان ، فمنعهم الأمير شرف الدّين اميران بن شُملة من الدّخول الى بلاده خوفاً من أتابك بهلوان ، فمضوا الى واسط[1] . وأقام بهلوان مقابل واسط ثلاثة أيّام من الجانب الشّرقيّ ، وأنفذ اليه صاحب واسط وقال له : انّ الضّيافة ثلاث وقد قمنا بواجب المضيف ، والمصلحة لك أن تمضي الى حيث جئت . فقال : انّني قد وصلت الى خدمة أمير « ٩٦ ـ ب » المؤمنين لأقبّل العتبة الشّريفة ، وأنخرط في سلك مماليك الدّولة القاهرة ثبّتها الله . فقال له : امضِ الى حيث حدّثتك نفسك . وأزعجه من واسط فرحل منها وسار طالباً بغداد ونزل قريباً من النّيل[2] يتحيّن . ونفّذ رسولاً إلى بغداد فلم يجد فيها ما طلب . وخرجت العساكر وقد اذّنوا لهم باقتناصه ان وجدوه ، فهرب من بين أيديهم طالباً خوزستان ، فلم يمكنه صاحبها من المقام بها . فمضى الى مدينة شيراز الى أتابك زنكي وأقام عنده فنفّذ اليه أتابك بهلوان : انّك ان لم تُنفذ الملك محمّد الى خدمة السّلطان تحت الاحتياط فأنا أقصدك . فان قاتلتني ففيه بَوارُك ، وان هربت من بين يديّ فلك دمارك ودمار بلادك . فقبض عليه أتابك زنكي ونفّذه الى السّلطان طغرل . فأخذه الأتابك بهلوان وحطّه في قلعة سرجهان وكان آخر العهد

---

(١) واسط مدينة في العراق بين البصرة والكوفة. بناها الحجاج بن يوسف في ٨٤ هـ ـ ٨٦ هـ (٧٠٢ ـ ٧٠٥). سميت بواسط لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة ومنها إلى كل واحدة منها خمسون فرسخاً. أنظر ياقوت ٥/٣٤٧ ـ ٣٥٣.

(٢) النيل ـ بُليدة في سواد الكوفة قرب الحلة. ياقوت ٥/٣٣٤.

به . وصفت البلاد لأتابك بهلوان وأجلس في سرير الملك [السّلطان طغرل] .

توفّى أمير المؤمنين المستضيء بنور الله وذلك لليلتين مضت من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمس مائة . وكانت خلافته احدى‌عشرة* سنة وستّة أيّام ، ثمّ تولّى بعده ابنه الامام أمير المؤمنين النّاصر لدين الله أبو العبّاس .

---

* في الأصل : أحد عشر .

السّلطان ركن الـدّين طغرل
ابن « ٩٧ ـ أ » أرسـلان شاه
ابن طغرل بن محمّد طبر بن ملكشاه بن ألب ارسلان
ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق قسيم أمير المؤمنين

وبقي السّلطان طغـرل طفـلاً صغيـراً* لا يـلتفـت الى شيء[1] ، وصـارت لأتـابـك بهلوان في قلوب العسـاكـر وأصحـاب الأطـراف هيبـة

---

* في الأصل : طفل صغير .

(١) كان الأمير محمد المنافس الجدي الوحيد على عرش السلطنة في العراق. عندما انتهى منه، فإن « باد شاه الاسلام، السيد العظيم، الأتابك العظيم خاقان العجم، شمس الدنيا والدين، نصرة الاسلام والمسلمين، أبو جعفر محمد جاهان بهلوان بن ايلدكز » (الراوندي ٤٦٣) شغل بهدوء عرش طغرل الثالث الصغير ـ آخر ممثلي السلاجقة في العراق.

في سياق كلامه عن أحداث ٥٧٠ هـ يذكر سبط ابن الجوزي (١/٨، ٣٣٠) أنه بعد موت أرسلان شاه بن طغرل، خلفه ابنه طغرل شاه الصغير الذي تولى أعمال السلطنة مكانه محمد بن ايلدكز ايل شاه الملقب بالبهلوان. وكان في همذان من حيث أدار كل الأعمال. وفي محرّم ٥٧٣، خُطب في كل أنحاء السلطنة باسم السلطان طغرل الثالث وله من العمر ٧ سنوات. ابن الأثير ١١/١٦٩، النجوم الزاهرة ٦/٧٤.

في الواقع كانت السلطة الفعلية بيد الأتابك جاهان (جهان) بهلوان. ولم يعارض أحد من أمراء الأطراف أو غيرهم. فقد كان بهلوان يخيف الجميع. البنداري ٣٠١، الراوندي ٤٦٣، أبو الفداء ٤/٢.

كان ما يزيد على ٧٠ مملوكاً شخصياً لبهلوان يديرون الأعمال في أراضي الدولة الواسعة. الراوندي ٤٦٧.

عظيمة . ورعب منه كلّ الملوك وجمع العساكر . وسار الى أذربيجان وأرّان ودخل الى بلاد الكرج ، فلم يقدر أحد أن يقابله . ونفّذوا اليه وصالحوه على ما أراد ثمّ رجع الى العراق ، واستناب أخاه مظفّر الدّين قزل ارسلان في أذربيجان وأرّان . وراسل ملوك الأطراف وطلب منهم أن يخطبوا للسّلطان ركن الدّين طغرل ، فأجابوه الى ذلك ، وخُطب له في الموصل وأعمالها وفي أرمينية وخلاط وفي فارس وأعمالها وما ينضاف اليها وفي خوزستان بأسرها . وصار أمره ينفذ في سائر البلاد ، وراسل خوارزمشاه وصادقه وصافاه . وكان مدّة حياته بينه وبين خوارزمشاه مواصلة ومهاداة[1] .

وكانت رسله أبداً متواترة الى الدّار العزيزة بالعبوديّة والانقياد ولزوم الطّاعة ، ويُظهر أنّه ما تمّ له هذا الملك والحكم على هذه البلاد إلاّ ببركات ما ينطوي من طاعة الدّار العزيزة ، وينتهي اليه من الانقياد « ٩٧ ـ ب » للأوامر الشّريفة . وكانت الخلع والصّلاتَ من الدّار العزيزة تتواتر اليه في كلّ وقت . وما زال مدّة حياته يأتمر الأوامر العالية النبويّة وينتهي الى المراسم الشّريفة الاماميّة الى أن قضى أجله وانصرم عمره سنة

---

(١) في مجموعة الوثائق السلطانية الرسمية « التوسّل إلى الترسّل » (فارسي ـ لمحمد بن المؤيد البغدادي، ت ٥٠٧ هـ) العائد إلى مطلع القرن ١٣ م توجد أربع رسائل من خوارزم شاه علاء الدين تكيش إلى الأتابك شمس الدين محمد خان بهلوان. وجميع هذه الرسائل تتسم بروح الصداقة والرغبة في اقامة علاقات جيدة مع الأتابك.

في رسالة، مؤرخة في محرم ٥٧٧ هـ، يدور الكلام على تبادل الرسّل بين الدولتين وتتضمن اعتذاراً على دخول عسكرخوارزم شاه إلى خراسان (الرسالة الأولى إلى الأتابكية جهان بهلوان ص ١٦٥ ـ ١٦٨). في رسالة أخرى إلى الأتابك (ص ١٦٨ ـ ١٧١) مؤرخة في ربيع الآخر ٥٧٧، ومرسلة من قبل خوارزم شاه مع الأمير رشيد الدين يَذكر بأن الطير المقدّم لأتابك مُرْسَلٌ له بواسطة رسول خاص ويذكر، في الرسالة كذلك، عن تقليل عدد الرسل ويُعلن عن قلق تجاه قطع التبادل الحميد للرسل ويعبّر عن الرغبة على الأقل بلقاء واحد. أنظر بونياتوف (٢٣٩).

اثنتين وثمانين وخمس مائة[1] .

فلمّا توفّي كان له من الأولاد أربعة اثنان منهم من أُمّ واحدة وهي [اينانج] خاتون بنت الأمير [اينانج] . [أحدهما :] اينانج محمود ، والآخر أمير اميران عمر . والولدان الآخران* أحدهما : أبو بكر من أُمّ ولد تركيّة[2] ، وهو أسنّ الأولاد وكان الأتراك مع عمّه مظفّر الدّين قزل ارسلان في أذربيجان ، وكان عمّه ليس له ولد فكان يجري أبو بكر عنده مجرى الولد . والآخر ما زال بهمدان من أمّ ولد وهو أوزبك . وكان أتابك بهلوان قد عيّن أذربيجان وأرّان لولده أبي** بكر، وجعله في حضانة عمّه مظفّر الدّين قزل ارسلان . وعيّن الرّي وأصفهان وباقي العراق لولديه : اينانج محمود وأمير اميران عمر . وجعل همدان لولده أوزبك . وأمرهم ان جرى عليه المحتوم أن يكونوا*** بحكم عمّهم قزل ارسلان[3] .

---

* في الأصل : الولدين الآخرين .

** في الأصل : أبو .

*** في الأصل : يكونون .

(1) توفي الأتابك البهلوان محمد بن ايلدكز «صاحب بلاد الجبل والريّ وأصفهان وأذربيجان وأرانية وغيرها من البلاد» في أول سنة ٥٨٢ هـ ابن الأثير ١١/١٩٨، البنداري ٣٠١. حسب الجوزجاني (١٧١/١) فإن البهلوان على امتداد حكمه أخضع أراض حتى حدود الروم وسوريا. وبنى البلهوان مدارس وجوامع كثيرة. وترك بعده ثروة كبيرة لم يبلغها أحد قبله: ٥ آلاف مملوك و٣٠ ألف رأس خيل وإبل. سبط ابن الجوزي ٨/١، ٣٩١ - ٣٩٢.

ويذكر الجوزجاني (١٧١/١) أنه من حيث العدل وحسن السيرة كان البهلوان بمثابة سلطان سنجر ثاني. وقد وصل مماليكه إلى مراتب عالية في الدولة وحكموا، بعد موته، معظم أراضي العراق. من هؤلاء الأمراء آي طغمج، منكلي، كوقجه، أداميش وغيرهم.

(2) والدة أبي بكر تدعى قطيبة خاتون.

(3) في بونياتوف (٢٣٩) نقلاً عن أحد التواريخ أن اينانج له من العراق إلى خراسان وبابل، ولأبي بكر أذربيجان حتى أرمينية ولأمير أميران عمر من بحر قزوين إلى بحيرة كوقجة. ولكن لم يرد ذكر لإبن الأتابك الرابع - اوزبك.

فلمّا حضرته الوفاة أجري الأمر على ما كـان أوصى به قـديماً ، وأشـار الى الجميع أن يكونوا* في خدمة السّلطان طغرل ، وأنّهم لا يضمـرون له غلاّ ، ولا يخرجـون له عن طـاعة . « ٩٨ ـ أ » وينصـرونه ولا يخـذلونـه ، ويواصلونه ولا يقاطعونه ، ويطيعونه ولا يعصونه ، ويقومون في كلّ الأمور دونه .

وأوصـاهم : أنّه مهـما بدا منكم من الأمـور ، فإيّـاكم ثمّ إيّـاكم من الخروج عن طاعة الأوامر الشّريفة النّبويّة . وانّكم ستجدون أمير المؤمنـين ركنـاً تستندون اليـه عنـد الشّـدائـد ، وحصنـاً ومعقـلاً تلتجئون اليـه ان جرّبكم عدوّ معاند .

فلمّا مضى أتابك بهلوان لسبيله[1] ، خرج مظفّـر الدّين قـزل ارسلان وقد اجتمع عساكر أذربيجان وارّان ومعظم عساكر العراق . فلمّا وصل الى همـدان كان السّلطان ركن الـدّين طغرل بهـا ، وعنده اينـانج محمـود وأمير اميران عمر ، وكانت أمّهما في الرّي . فلمّا قرب أتـابك مـظفّر الـدّين قزل أرسـلان الى همـدان ، أمـر السّلطان طغـرل جميـع الأمـراء والعسـاكـر أن يتلقوه** عن مسير يوم . فالتقـوه على العـادة الّتي كانـوا يلتقونـه وأخاه . فلمّا أراد مظفّر الدّين قزل ارسلان الدّخـول الى همدان خـرج اليه السّلطان

---

* في الأصل : يكونون .

** في الأصل : يلتقون اليه .

(١) ما إن مات البهلوان حتى تضعضع الاستقرار الـذي استتب على امتـداد عشرة سنـوات . وحكم كل مملوك من مماليك البهلوان حيث يتواجد وبدأت الحروب الداخليـة بينهم . المؤرخ الراوندي نفسه كان شاهداً على النهب والتخريب الـذي قام بـه المماليـك . « رأيت بنفسي المصـاحف والكتب الموقوفة التي نهبـوها من المـدارس ودور الكتب . كـانـوا يـرسلونها إلى الخطاطين في همذان كي يمحوا ذكر الوقف ويسجلوا عليها أسماء هؤلاء الظالمين وألقابهم ثم يتهادون بها فيما بينهم . وقد ظهـر الفساد بـوضوح في العـراق بحيث أدى الأمر إلى أن كـل عبد من الأتراك كان يستولي عـلى ولاية من الـولايات ولم يكن يعـرف شيئاً عن سير آبائـه وأسـلافه فكـان يفعل في حكمـه كل مـا يريـد حتى بلغت الحال نحـواً خـطيراً من الشـرّ والوبال » . الراوندي ٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

الى ظاهر الكُشْك العتيق وكان نازلاً فيه . والتقاه ،ونزل الأتابك قزل ارسلان وقبّل الأرض ، فاستدناه السّلطان ، وكان عمّه ، [فهو] أخ السّلطان ارسلان شاه من أمّه ، الى أن عانقه من ظهر الفرس . وركب وركبت العساكر كلّهم بخدمة السّلطان الى أن وصل الى الكُشْك . فنزل مظفّر الدّين « ٩٨ ـ ب » أتابك قزل ارسلان وحمل الغاشية والأمراء كلّهم رجّالة بأيديهم السّيوف المجرّدة ، ودخل السّلطان الى داره بالكُشْك ، وأتابك قزل ارسلان الى مخيّمه[1] . فلمّا كان من الغد ، حمل أتابك قزل ارسلان الى خدمة السّلطان من الهدايا والتّحف وسائر أجناس المبارّ والطّرف ما لم يحمل أحد قبله مثله الى السّلطان . وفي اليوم الثّاني كذلك . فما زال يحمل في كلّ يوم مثل ما يحمله في اليوم الّذي قبله ، حتّى حمل شهراً طرّاداً ما زادت قيمته [على] مائة وخمسين ألف دينار* عيناً . وحمل من العين من سائر النّقود مائة ألف دينار ، وخلع على جميع الأمراء ووصلهم وصاروا كلّهم معه كما كانوا مع أبيه وأخيه . فلمّا رأت أمّ أولاد أخيه [اينانج] خاتون ، بنت اينانج ، أنّ الأمر كلّه قد صار الى أتابك قزل ارسلان ، وأنّ أبا بكر بن أتابك بهلوان هو الكبير مع عمّه أوْفَى منزلة وأعلى درجة من ولديها ، لم تطب نفسُها بذلك . ونفّذت بالباطن الى همدان الى أي ابه وروس[2] وكانا مملوكَي** أتابك بهلوان [و] أكبر

* في الأصل : خمسون ألف ديناراً . ** في الأصل : مملوكاً .

(١) كان الهدف من وراء هذا الاستقبال الحافل للأتابك قزل أرسلان من جانب السلطان طغرل هو شرح موقف أمراء الدولة، طغرل الثالث، محرّضاً على العمل الاستقلالي لأرملة البهلوان اينانج خاتون، كان يهدف إلى أن يكفل لنفسه تأييد الأمراء والتحرر من قزل أرسلان الذي جمع كل السلطة في يديه. يذكر الراوندي (٤٧٢ ـ ٤٧٣) أنه أثناء استقبال قزل أرسلان في همذان فقد كان مملوك السلطان ـ قارا غيوز باستطاعته قتل الأتابك قزل أرسلان. لكن طغرل الثالث أشار إليه بعدم فعل ذلك وهو ما تأسف عليه بعد ذلك. وكان، بنظر الراوندي، قتل قزل عملاً ضرورياً. أما قزل أرسلان فقد عرف بهذه المؤامرة لكنه لم يُظهر ذلك وحالاً أمر رجاله بإعدام قاراغيوز.

(٢) الأميران هما: جمال الدين آي آبه وسيف الدين روس. أنظر الراوندي. ٤٧٤.

غلمانه ، وكانا ذلك الوقت مقدّمَيْن على عسكر أتابك بهلوان وقالت لهما : كيف تطيب أنفسكما أن يكون ابن جارية أعلى درجة وأعظم منزلة من ولديّ ، وأنا عندي الأموال والخزائن والدّنانير والدّراهم مقدار ما أقدر أن أقيم « ٩٩ - أ » بكم سنين عديدة . وأريد أن تركبا* ولديّ وتأتيا** بهما اليّ فأنا أقوم بكما وبكلّ من يأتي معكما . وأنفق الأموال حتّى ينضمّ اليكما كلّ عساكر مولاكما أتابك بهلوان .

فلمّا وصل اليهما ماأشارت [اينانج] خاتون به عليهما ، ركبا من أوّل اللّيل وسارا . فما كان الاّ يومان واليوم الثّالث صارا بالرّي عند [اينانج] خاتون وولداها معهما . فخرجت اليهم والتقت بهم وتبعهم من تخلّف عنهم بهمدان من غلمان أتابك بهلوان وعسكره وكثُف جمعهم . فاحتاج أتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان أن يتبعهم الى الرّي . فلمّا وصل الى الرّي هرب أي ابه وروس ، وذهبا الى دامغان وأقاما بها خارج المدينة ،وأقام مظفّر الدّين أتابك قزل ارسلان أيّاماً. وخرجت اليه خاتون وولداهاقتلغ اينانج محمود وأمير اميران عمر ، وتسلّم القلعة منهم وبقي أيّاماً. ففارقه السّلطان طغرل من الرّي[1] وسار الى أن لحق بأي أبه وروس في الدّامغان. وبقي مظفّر الدّين أتابك قزل ارسلان بالرّي أيّاماً ورحل عنها . فلمّا رحل صحبه اينانج محمود وخاتون الى ساوه واستأذنته خاتون بالرّواح الى سرجهان ، فأذن لها ، وسار هو الى همدان وأقام بها مدّةً . ولّما رحل قزل ارسلان من الرّي وانتهى خبر رحيله عنها الى همدان ، عاد « ٩٩ - ب » السّلطان طغرل وكان قد نزل على بلاد الملاحدة الّتي حول الدّامغان

---

* في الأصل : تركبان .

** في الأصل : تأتيان .

(١) لما مات البهلوان خرج طغرل عن حكم قزل ولحق به جماعة من الأمراء والجند واستولى على بعض البلاد وجرت بينهم حروب. ثم استولى في ٥٨٣ هـ على همذان. ابن الأثير ١٩٨/١١، ٢١٢ والبنداري ٣٠١.

وكردكوه ، فأخربها ونهبها وقتـل كلّ من وجـد فيها . ورجـع الى الرّي(١) وانضمّ اليه صاحب أبهر بهاء الدّين شرف الدّولة وبنـو* ققشود أصحـاب زنجـان وصاحب مـراغة . فلمّا سمـع أتابـك مظفّـر الـدّين قـزل ارسـلان بذلك ، هام على وجهه وهرب من همدان(٢) . وكان أي ابه ورّوس(٣) قد أخذا العهد على السّلطان طغرل ، أنّ اينانج محمود يكون معه على القاعدة الّتي كان أبوه أتابك نصـرة الدّين بهلوان بهـا . فوفّى لهـا بذلـك ، وهرب اينانج محمـود من عمّه هـو وأخوه** أمـير اميران عمـر ، وعادا الى خـدمة السّلطان واجتمعـا معه بهمـدان . فلمّا حصل أتـابـك مـظفّـر الـدّين قـزل ارسلان بأذربيجان ، كتب الى الدّار العزيزة كتاباً يذكر فيـه أنّه مملوك وابن مملوك لهذه الدّولـة العزيـزة ، وأنّه مـا زال يدّخـر حسـن رأي أمير المؤمنـين فهو*** لمثل هذا الأوقات . والآن فـلا عطر بعـد عروس(٤) ، قـد أفضى الأمر بنا الى ما قد علم أمـير المؤمنين ، وغـدر بنا من العسـاكر من اطّـرح الوفاء ومال الى الغدر والجفاء ، وصاروا مـع ركن الدّين طغـرل . ومتى لم تحسم مادّة هذه الفساد يفضي**** الأمر الى حالة لا ينادي وليدها ويعجز

* في الأصل : بني . ** في الأصل : أخيه .

*** في الأصل : فيها . ولعلّها : فيه . **** في الأصل قبل يفضي يوجد : وإلا .

(١) حول حروب السلطان طغرل الثالث ضد الاسماعيلية انظر الراوندي ٤٧٦ .
كردكوه : احدى حصون الاسماعيلية في مدينة اليورا (شمالي دمغان) .

(٢) جرت الموقعة قرب همذان وبعد موقعة دامية انهزم قزل آرسلان. الراوندي ٤٧٧. وأنظر كذلك ابن الأثير ١٢/١٠.

(٣) بعد وقت قصير ظهـر بين الأميرين آي آبه وروس نقاش حول من سيتولى قيادة الجيش. لكن آي آبه، بالتآمر مع السلطان، قتل روس ونهب ثـروته. أمـا السـلطان، فكان يعـرف جيداً خفايا أمرائه ويدرك أن حليفه آي آبه، آجلاً أم عاجـلاً، سيقلب عليه، كـ انقلب من قبل على أتابكه قزل أرسلان. فأمر طغرل الثالث آي آبه لقيادة الجيش ضـد ا‍تابـك. لكن آي آبه رفض الانصياع ومصيره كان مقرراً. الراوندي (٤٧٩ - ٤٨٤).
بعد هذا قام أنصار السلطان بتصفية وابعاد كـل من له عـلاقة بقـزل أرسلان. الـراو ـي ٤٨٥.

(٤) لا عطر بعد عروس. ويقال: لا مخبأ لعطر بعد عروس. وهـو مثل يحكى عن امـرأة ماتت

عنه أنصار الدّولة « ١٠٠ـ أ » وعبيدها . فإن رَأى أمير المؤمنن أن يجهّز العساكر من صوب بغداد ، ويصل المملوك من صوب أذربيجان ، كان ذلك ممّا يفتّ في عضد الخصم . وملك العراق كلّه يعود الى أولياء الدّولة ، تجري فيه الأحكام الشّريفة كما تجري في بغداد وسائر الأعمال[1] فأجابوه الى ذلك .

وجهّز أمير المؤمنين جيشاً ذكروا أنّه خرج من الخزانة المعمورة في ذلك العسكر ستّمائة ألف دينار ، وجعل المقدّم عليه الوزير جلال الدّين بن يونس . وخرج من بغداد سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة ، وتوجّهوا الى همدان[2] على موعد من أتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان ، أنّه يجتمع بهم . فتأخّر وصول أتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان وهوّن الوزير جلال الدّين بن يونس أمر السّلطان طغرل ، وقال : أيش الحاجة الى أتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان ، نحن نمضي بمفردنا ونأخذ همدان . فرحل من كرمان شاه طالباً همدان ونزل في داي مرك[3] ، وخرج السّلطان طغرل

= زوجها الذي يدعى عروس وكانت خصاله جيدة، ثم تزوجت رجلاً ليس له من هذه الخصال شيء. قال لها يوماً بعد أن عرّضت به: ضمّي إليك عطرك. فقالت له: لا عِطْرَ بعد عروس.

ويقال إن رجلاً تزوج امرأة فأهديتْ إليه، فوجدها تفلة، فقال لها: أين الطيب؟ فقالت: خبأته. فقال لها: لا مخبأ لعطر بعد عروس. فذهبت مثلاً. وهو يضرب لمن لا يُدَّخر عنه نفيس.

أنظر مجمع الأمثال ٢/٢١١ ـ ٢١٢ ومحيط المحيط ٢/١٣٦٨ ـ ١٣٦٩.

(١) استجاب الخليفة الناصر لدين الله لطلب قزل أرسلان وسير له جيشاً لمساعدته. وفي نفس الوقت أرسل طغرل الثالث إلى السلطان رسولاً يعلمه بمجيئه إلى بغداد من أجل عمارة دار السلطنة ليسكنها عند وصوله لكن الخليفة رَدَّ الرسول بغير جواب وأمر بنقض دار السلطنة فهدمت إلى الأرض وعفى أثرها. ابن الأثير ١١/٢١٢.

(٢) كان مسير جيش الخليفة في ٣ صفر ٥٨٤ هـ. ابن الأثير ١٢/١٠.

(٣) كرمان شاه ـ هي أيضاً قرميسين. أنظر الحاشية ٢، ص ٢٧٨. داي مرك (داي مرج) مكان قرب همذان.

بن همـدان ومعه جميـع أمراء العـراق وإينانـج محمود ومعـه عساكـر أتابـك بهلوان . والتقى الفريقان[1] وجـرى بينهم حرب شابت منها الـذّوائب ، وتهـدّمت صفوف الأطـلاب والمقانب ، وامتـلأت أرض المعركـة من القتلى بين الفريقين . وكان على ميسرة الوزير جـلال الدّين « ١٠٠ ـ ب » الأمـير محمود بن ترجم الايوائي[2] ومعه جموع التّركمانيّة والأكراد ، فأخلّ بمقامـه مـواطاة السّلطان طغـرل على عسكـر بغـداد . فلمّا انهزم الأمـير محمـود بن ترجم انحازت باقي العسـاكر الى قرميسين ، وثبت الوزيـر جلال الـدّين في القلب وقاتل بين يديـه من كان معـه في القلب من الغلمان الخـواصّ قتالاً شديداً الى قريب من العصر . فوافاه السّلطان طغرل بنفسه وقـال له : إنّ عسكـرك قد انهزم ولم يتخلّف عنـدك سـوى هؤلاء الغلمـان ، فـلا تقتـل نفسك ومن معك . وأمر جماعة الأمراء أنّهم جاؤوا اليه ، وحملوه الى خيمة قد ضُربت له .

وعـاد العسكر الى بغـداد[3] والسّلطان طغرل الى همـدان . فلمّا رجع

---

(١) جرت المعركة في ٨ ربيع الأول ٥٨٤ هـ. ابن الأثير ١٢/ ١٠.

(٢) القبيلة التركية ايوائي أحد فـروع الغز. الايـوائيون في زمن الخليفـة المقتفي استولـوا على مدينة شهـر زوم ومحيطها والقلاع المجاورة في المناطق العليا من العراق. زعيمهم كـان ـ قفجق بن أرسلان تـاش التركماني مؤسس الإمارة الكركوية التـركمانيـة. في ٥٣٤ هـ قام صـاحب الموصـل الأتابك عماد الـدين زنكي (١١٢٧ ـ ١١٤٦) بحملة ضدهم فهـزمهم واستولى على اقطاعاتهم. بعـدها انتقـل الأيوائيـون إلى خدمـة الزنكيين. أنظر ابن الأثـير ١١/ ٢٩. أبو شامة ١/ ٣٣.

(٣) كان ابن الأثير في هذا الوقت بـالشام في عسكـر صلاح الـدين الأيوبي، وقـد وصـ ه الخبر بمسـير العسكر البـغدادي فقـال: « كـأنكم وقـد وصـل الخبـر بـانهزامهم فقـال لـ بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لا شك أن أصحابي وأهلي أعرف بالحرب من الـوزير وأطـوع في العسكر منه ومع هذا فما أرسل أحداً منهم في سريـة للحرب إلا وأضاف عليه. وهـذا الوزير غير عارف بالحرب وقريب العهد بالولاية ولا يراه الأمـراء أهلاً أن يطاع وفي مقابله سلطان شجاع قد باشر الحـرب بنفسه ومن معـه يطيعـه وكان الأمـر كذلـك ووصل الـ بر بانهزامهم. . . ». ابن الأثير ١٢/ ١٠.

العسكر الى بغداد تقدّم الامام النّاصر لدين الله أمير المؤمنين بتجهيزهم مرّة ثانية ، وازاحة علّتهم . وأخرج من العُدّة الوافرة والأسلحة العظيمة والأموال الجسيمة ما لا عهد لأحد بمثلها خارجةً من الدّيوان العزيز . وقدّم عليهم الأمير مجاهد الدّين خالص الخاص ، وخرج من بغداد باقي السّنة[1] . فلمّا قرب همدان ، وكان السّلطان طغرل بها ، وعلم كثرة العسكر وأنّ المقدّم عليهم ذو جدّ جديد وبأس شديد ، وأنّهم قد قصدوه بقلوب مشحونة بالحقد ونيّات صادقة على الصّبر ، « ١٠١ - أ » فارق همدان الى صوب أصفهان . ودخل عسكر بغداد الى همدان وأقام بها أيّاماً ، ووصل اليهم الأتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان . فالتقوه وأكرموه وأوصلوا اليه مراسم مولانا أمير المؤمنين النّاصر لدين الله بمراعاته وتسليم الولاية إليه نيابة عن مولانا أمير المؤمنين الناصر لدين الله . وخاطبوه بالملك نصير أمير المؤمنين وأنّهم مأمورون* بمعاضدته ، وأنّ العساكر تنقاد الى مشورته والانتهاء الى حكمه وطاعته . فكان كلّما أوصل اليه الحجّاب شيئاً من ذلك ، يقبّل الأرض هكذا الى أن قبّلها مراراً ، وأنزلوه في خيمة مجاهد الدّين خالص وخلعوا عليه خلعاً سنية . وأمّا السّلطان طغرل فانه مضى من أصفهان[2] الى أذربيجان وانضمّ الى عزّ الدّين حسن بن قفجاق[3] . وكثفت جموعهم وكان معهم خمسون ألف من التّركمان وقصدوا أُشْنُه وأرمي وخُوى وسلماس ونهبوا البلاد ، وأظهروا فيها الفساد[4] .

---

* في الأصل : مأمورين .

(١) جرت الحملة الثانية لعساكر الخليفة ضد السلطان طغرل الثالث في كانون أول ١١٨٨ م .

(٢) يذكر سبط ابن الجوزي ٨/١، ٣٩٢ أن السلطان طغرل ذهب إلى أصفهان وتبعه الأتابك قزل أرسلان. في هذه المعركة استولى الأتابك على المدينة وأحرق مدارسها وربطها ومساجدها. أما السكان فقد ماتوا أثناء الحصار من الجوع.

(٣) عز الدين أبو محمد الحسن بن يعقوب بن قفجاق التركماني - أمير الجبل وأحد أمراء قفجاق المشهورين والذين كانوا حكاماً في جبال العراق.

(٤) جرى الاستيلاء على هذه المدن في أذربيجان سنة ٥٨٥ هـ. بعد هذه الأحداث عمل=

وعاد الأتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان من همدان وقد اصطلح مع ابن أخيه اينانج محمود ، ووصل اليه وهو بهمدان . وجاءت أيضاً [اينانج] خاتون أمّه ، وتزوّج بها أتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان ودخل بها بهمدان . وأقامت [اينانج] خاتون بهمدان ، ورحل أتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان ووافى « ١٠١ ـ ب » السّلطان طغرل والتّركمان ، وقد أخربوا تلك البلاد . فنهض اليهم وجعل في مقدّمته ابن أخيه الأمير أبا* بكر بن الأتابك بهلوان مع الأمراء العراقيّين الأمير بار ونور الدّين قرا وسراج الدّين قايماز والي الرّي . ووافت المقدّمة التّركمان وأعجلوهم عن ترتيب المصافّ ، وضربوا عليهم فشرّدوهم ، وقتلوا منهم الجمّ الغفير ، ونهبوا بيوتهم وسوامهم ، وغنم العسكر منهم غنيمة عظيمة وأموالاً جسيمة . وانهزم عزّ الدّين حسن والسّلطان طغرل الى أن وصلوا الكرخاني[1] ، وهي قلعة الأمير حسن بن قفجاق قريب من الزّاب . وراسلوا أمير المؤمنين النّاصر لدين الله واستقالوه زلّة السّلطان طغرل في مقاتلة الوزير جلال الدّين بن يونس ، وأنّه كان مضطرًا الى ما عمله . وهو الآن مملوك الدّولة وعبد الطّاعة . ان رسم أمير المؤمنين أن يقصد الخدمة ويكون آمناً يُجرى عليه ما يقوته ، فعل ، وان كان أهلاً للنّيابة في بعض المواضع انقاد الى الأوامر الشّريفة ، ونفّذ ولده ليكون رهينه لطاعته الى بغداد . فلمّا وصل اليها تقدّم أن يخرج الموكب الشّريف الى لقائه . وأدخلوه الى بغداد وبيده سيف وعليه خرقة كفن ، وقبّل العتبة الشّريفة وعُيّن له موضع أسكنوه « ١٠٢ ـ أ » فيه ، وأجروا عليه الجرايات الوافرة

* في الأصل : أبو .

= صلاح الدين الأيوبي على اقامة الصلح بين الأتابك قزل أرسلان والسلطان طغرل الثالث. وهذا الأخير أجاب بالموافقة على الصلح، ولكن عندما شارفت المباحثات على الانتهاء، قرر السلطان تجديد الحرب على قزل أرسلان. أنظر البنداري ٣٠٢، الراوندي ٤٩٣ .

(١) قلعة الكرخيني هي كركوك المعاصرة في العراق. « هي قلعة في وطاء من الأرض حسنة حصينة بين دقوقا واربل رأيتها، وهي على تلّ عالٍ ولها ربض صغير » ياقوت ٤ / ٤٥٠ .

وصلوه بصلاتٍ سنيّة . وكتبوا الى السّلطان طغرل أن يقيم في موضعه الى أن يدبّر أمره . فأقام الى أيّام الرّبيع ، ودخل مع عزّ الدّين حسن بن قفجاق والي أذربيجان بعد أن تزوّج بأخته ودخل بها في الكرخاني وأولدها . فلمّا صاروا في أذربيجان ، قصدهم الأتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان . فانحاز السّلطان طغرل الى همدان ، وكان بها عسكر جرّار من أصحاب الأتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان ، فلم يمكنوه من الدّخول الى همدان . ولحقه الأتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان ، فاضطُر السّلطان طغرل الى أن سلّم نفسه الى الأتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان[1] . واعتقد فيه بحكم القرابة الّتي بينهما أن يتغمّد هفواته ويغفر زلّاته ، وأن يخلّيه معه ، كما كان مع أخيه الأتابك بهلوان : لا يكون له في الأمر سوى الاشارة اليه أنّه سلطان ؛ ويستقلّ هو بجميع الممالك ويحكم بالاستبداد . فلم يفعل معه ذلك وقبضه واعتقله في قلعة بأذربيجان قريبة من مدينة تبريز[2]. [فتعفت آثار تلك الفتن وسكن الدّهر . . . وضرب مظفر الدّين قزل ارسلان . . . ووطن على الاستبداد. . . لها بالصفاء عن الكدر وغفل عن . . .]* . وكان والي تلك القلعة رجل من أصحاب الأتابك مظفر الدّين قزل ارسلان .

وبقي الأتابك قزل ارسلان بهمدان واستولى على جميع بلاد السّلطان طغرل واستمرّ بها مدّة[3] « ١٠٢ ـ ب » واينانج خاتون معه وهو لا يلتفت اليها ، مُغْرًى بمعاشرة الغلمان وشرب الخمر لا يصحو الاّ في بعض

---

*

(١) أسر السلطان طغرل في رمضان ٥٨٦ هـ من قبل الأمير فخر الدين قتلغ الذي قطع قوائم خيمته أثناء المعركة.

(٢) نفي السلطان طغرل إلى قلعة قهرام، قرب نجوان، وفي مصدر آخر: (أنونيم ـ تاريخ آل سلجوق): قلعة ديزمار. أنظر الراوندي ٥٠٠ وبونياتوف ٢٤١.

(٣) بعد اعتقال السلطان طغرل الثالث، أخذ الأتابك قزل أرسلان معه الى همذان الأمير=

الأوقات . فغارت من أفعاله فأغرت به بعض غلمانها حتّى دخلوا عليه وهو سكران فقتلوه في فراشه . ولّما كان من الغد طلبوه أن يركب فلم يركب ، فدخلوا عليه ووجدوه مقتولاً[1] .

فلّما علم الأمير أبو بكر بن الأتابك بهلوان بقتل عمّه ، ركب باللّيل وانحاز الى أذربيجان ودخل الى نخجوان . وكانت زاهدة خاتون زوجة

= المنفي - سنجر بن سليمان شاه، الذي أراد التربع على عرش السلطنة. أما الخليفة فنصحه بتولي عرش السلطنة العراقية. لكن سنجر نُفي من جديد وأعلن قزل أرسلان نفسه سلطاناً. (الراوندي ٥٠١).

وخُطب لقزل أرسلان في همذان مع ألقاب: السلطان، ناصر أمير المؤمنين، مظفر الدنيا والدين قزل أرسلان عثمان. وضرب أمام باب القصر خمس نوبات وضرب النقود باسمه. (الراوندي ٥٠١، البنداري ٣٠٢). وأصبح قزل أرسلان الرجل المطلق، صاحب آران وأذربيجان وهمذان وأصفهان والريّ وما بينها وأطاعه صاحب فارس وخوزستان. ابن الأثير ١٢/٣٠.

(١) بدأت اينانج خاتون وبعض خواصها يخافون من قزل أرسلان الذي صار يحتقرها. ومرة جمعت عدة أمراء وكان الحديث: « لقد خرجنا على السلطان طغرل وغدرنا به فكيف يعتمد علينا شخص بعد ذلك؟! . . . لنبادر بقتل ملك الدنيا قزل أرسلان قبل أن ينتقم منا، لأنه يجب أن نحول بينه وبين التفكير في أن يبعدنا ويولي أتباعه ». الراوندي ٥٠١ والبنداري ٣٠٢.

في شعبان ٥٨٧ نفذت المؤامرة ضد قزل أرسلان وقُتل في فراشه. بعض المصادر يذكر أنه خنق في فراشه بعد أن تفرّق أصحابه فدخل إليه من قتله وأخذ أصحابه صاحب بابه ظناً وتخميناً. (ابن الأثير ١٢/٢١٨، البنداري ٣٠٢، ابن خلدون ٥/١٨٠ - ١٨١). ويرى آخرون (سبط ابن الجوزي ٨/١، ٤٠٦) أن قاتله هي زوجته اينانج خاتون. أو أنه لم يختنق بل طعن بـ ١٥ طعنة. ومنهم من يقول بأن زاهدة خاتون زوجة أتابك بهلوان أخ قزل أرسلان و٤ من خوّاصها هم الذين قتلوه. أنظر بونياتوف ٢٤٢.

في بعض المصادر الجورجية أن قاتله من الاسماعيلية. (بونياتوف ٢٤٢) . وفي رشيد الدين ١/١، ١٠٤ أن الناس ينسبون سبب قتله إلى أنه قرابة هذا الوقت، وسط النزاعات العقائدية الدينية في سوق أصفهان، علّق هو مشنقة لبعض كبار أتباع الإمام الشافعي المطلبي .

أتابك بهلوان ، وكانت قلعة النجا قريبة من نخجوان ، قد جمع أتابك بهلوان وأبوه أتابك الدكز فيها دَخْلَ العراق وأذربيجان مدّة ملكه . والقلعة وما فيها أمرها راجع الى زاهدة خاتون . وكان الأمير أبو بكر قد رُبّيَ في حجرها ، ومحلّه عندها محلّ ولدها . فلمّا وصل الأمير أبو بكر الى نخجوان أدخلته اليها ، وأحضرت الوالي بالمدينة وقالت له : هذا صاحب البلاد وأنت من قبله . وأحضرت والي القلعة النجا وقالت له : هذا صاحب القلعة . واستحلفته له ، فلمّا حصل له ذلك ركب الى كنجة . فخرج اليه الأمير الّذي بها وسلّمها اليه ، فأعاده الى المدينة واستخلفه لنفسه . وما زال يمضي الى بلد بلد يتسلّمه ، الى أن تسلّم أذربيجان وأرّان[1] بأسرها . واجتمعت « ١٠٣ ـ أ » عليه العساكر وصار في مقام أبيه وجدّه .

وأمّا حال السّلطان طغرل فانّه بقي في القلعة محبوساً مدّة سنتين . وكان في جوار تلك القلعة الأمير محمود بن سنا اغلى[2] رجل من التّركمان ، وكان يخدم أتابك بهلوان . فلمّا علم أنّ أتابك مظفّر الدّين قزل ارسلان قد تواطأوا ـ أولاد اخيه وأمّهم ـ على قتله ، أمضّه ذلك وأرمضه ، وأسقمه وأمرضه . فاحتال وبالغ في أعمال الحيل الى أن توافق هو ووالي القلعة ، وأخرجا السّلطان طغرل من القلعة ، بعد أن عاهداه أن يكون الأمير محمود أمير بار ، ووالي القلعة أمير حاجب . فلمّا خرج السّلطان من القلعة[3] قصد تبريز ليتسلّمها فلم يسلموها اليه . فأقام حولها أيّاماً حتّى ارتاش وتألّف حوله نحو من خمس مائة فارس . وعلم الأمير أبو بكر بخروجه ومقامه حول تبريز فركب وطلبه فانهزم من بين يديه وطلب

---

(١) اعترف كل حكام أذربيجان وآران بسلطة الأتابك أبي بكر. الراوندي ٥٠٢. البنداري ٣٠٢.

(٢) في الراوندي (٥٠٢): أنا سوغ لي.

(٣) خرج السلطان طغرل من الحبس بعد موت قزل أرسلان بن ايلدكز في ربيع ٥٨٨ هـ. ابن الأثير ٣٧/١٢.

العراق . فلمّا وصل الى زنجان كانوا أولاد قفشود التّركمانيّة قد ملكوها وأقاموا بها ، فخرجوا اليه وصاروا في جملته . وكان قتلغ اينانج محمود وأخوه أمير أميران عمر وأُمّهما في الرّي وعساكر العراق عندهم . فمضى السّلطان طغرل الى همدان ، وتجمّعوا ـ هؤلاء الثلاثة ـ وخرجوا من الرّي يطلبون السّلطان . فرحل السّلطان الى قزوين ، وكان بها نور الدّين قرا ، فخرج اليه في عسكر خشن وانضمّ اليه . وأقام السّلطان « ١٠٣ ـ ب » بظاهر قزوين ، واتّفق اينانج محمود وجميع العساكر وسار الى السّلطان ومعه خمسة عشر ألف فارس من نُجب الرّجال وسراة الأبطال ، واعتقدوا أنّ السّلطان طغرل لا يقيم بين يديه . فلمّا التقى الجمعان وتقابل الفريقان ، ثبت السّلطان طغرل على* القدر الّذي معه من العساكر ، يقارب عددهم ثلاثة آلاف** فارس ، فرتّبهم ترتيباً حسناً وأقام كلّ فريق منهم في موضع عيّنه لهم .

وقد اصطفّ اينانج محمود بعسكره ، وهم شبه الطّواويس زينةً ، فلمّا طلعت عليهم الشّمس تبرّقت بها*** الأحداق ، وتلألأت الآفاق . حتّى اذا تدانت الخُطى بين الفريقين ، حمل السّلطان طغرل بنفسه على حلقة اينانج محمود ، وهو في قلب عسكره ومعه غلمانه وغلمان أبيه ، فبدّد نظامهم وزعزع عن المقام أقدامهم . فلمّا رأى من بالميمنة والميسرة من أصحاب اينانج محمود أنّه قد انهزم ، انهزموا كلّهم ، وانفضّوا عن مواقفهم ، انفضاض العقد خانه النّظام ، وجعلوها هزيمةً انتكست لها الأعلام ، وغصّت بجموعهم الأباطح والآكام . وذلّت للسّلطان طغرل أكتافهم بضربات تفلق الهام أنصافاً ، وتسقي النّفوس سمّاً ذُعافاً . فلم يفته منهم الاّ من كان جواده سابقاً ، وكان بحصنٍ أو جبلٍ لاحقاً . وغنم

---

* في الأصل : إلى .
** في الأصل : ألف .
*** ولعلّها : لها .

منهم أموالاً « ١٠٤ ـ أ » لا يُحصى عديدها ولا يُنادى وليدها . ورجع اليه منهم بعد الهزيمة من أمكنه الرّجوع[١] .

ولحق اينانج محمود بأذربيجان[٢] ، وقصد السّلطان طغرل همدان . وكانت [اينانج] خاتون قد تخفّت بسرجهان ، وخزائن الأتابك بهلوان كان معظمها فيها ، فاستولت عليها وراسلت السّلطان طغرل وقالت :

إنّني ما زلت اليك مائلة ، ولغيرك ممّن عاداك من القريب والبعيد قالية ؛ والآن اذ قد ملّكك الله ملك آبائك ، فأنا من جملة خدمك واماتك . وعندي خزائن كثيرة وأموال جزيلة . فاذا قبلتني أن أكون في خدمتك كأحد جواريك بعقد نكاحٍ وعهدٍ منك بالوفاء بذلك ، فأنا أقصد الخدمة الى همدان وأسلّم ما عندي من الخزائن والأموال اليك بالتّدريج شيئاً بعد شيء .

فأجابها الى ما طلبت ، وأسعفها بما التمست ، وكتب لها عهداً بذلك . وأنفذ من عنده الأمير عزّ الدّين فرج الخادم فأقام عندها أيّاماً ، الى أن تجهّزت بأحسن الجهاز وقصدت خدمة السّلطان . فلمّا وصلت الى همدان تقدّم الى سائر الأمراء والخواتين أن يخرجوا* الى لقائها فخرجوا لها ، ودخلت همدان في أحسن أهبة وأجمل هيئة . وفي غدٍ من يوم وصولها أحضر القاضي والأكابر وسائر الأمراء ووجوه العسكر ، وعقد نكاحها بمحضرٍ من هؤلاء كلّهم . وبقيت عنده في همدان مدّة ، وحضرها « ١٠٤ ـ ب » أجَلُها وتوفّيت بهمدان[٣] .

---

* في الأصل : يخرجون .

(١) جرت هذه المعركة في ١٥ جادى الآخرة ٥٨٨ هـ . ابن الأثير ١٢/٣٧ ، ٤١ . الراوندي ٣٣٤ . النجوم الزاهرة ٦/١٣٥ .

(٢) في ابن الأثير (١٢/٣٧ ، ٤١) . أن قتلغ اينانج تحصن بالريّ .

(٣) بعد أن تزوج سلطان طغرل الثالث من اينانج خاتون أبلغته إحدى عبيده عن السم الذي=

ولمّا توفّيت اعتقد اينانج محمود أنّ السّلطان طغرل قد قتلها . فحصل في قلبه خيفة ، وخشي أن يصنع السّلطان طغرل به كصنيعه بأمّه . فامتنع من المجيء الى خدمة السّلطان طغرل بعد أن قد تهيّأ لذلك ، فانضمّ الى عسكر خوارزمشاه تكش . وكان أمراء العراق قصدوا خدمته قبل وصول اينانج محمود اليهم . ثمّ عاد الأمراء وتفرّقوا عن اينانج محمود ، فراح نور الدّين قرآن خوان الى خوارزم في [خدمة] خوارزمشاه علاء الدّين تكش ابن ايل ارسلان ، والأمير سراج الدّين قايماز الى خوزستان ومنها الى بغداد ، وابن الأمير بار حصل في قيد الاسار[1] ، ومضى اينانج محمود الى أذربيجان ونزل قريباً من تبريز ومعه جماعة من غلمان أبيه ، ومعه أيضاً أخوه أمير أميران عمر . وأقاموا هناك وطلبوا الدّخول الى تبريز فلم يمنعهم أحد منها . فلمّا حصلوا فيها كثف جمعهم .

وقصدوا الأمير أبا* بكر وهو بنخجوان . فخرج اليهم والتقوا على حرب تقطّعت فيه السّيوف وتكسّرت فيه الرّماح . وصبر بعضهم لبعض الى أن تنصّف النّهار ، وقد انتصف الأمير أبو بكر منهم ، فانهزموا بين يديه هزيمةً قبيحةً ، وتبعهم الى أن أسر منهم جماعة[2] . وفاته أخواه فمضى اينانج محمود الى العراق شريداً طريداً ، ومضى أمير أميران « ١٠٥ ـ أ » عمر الى شروان . فالتقاه شروان شاه وأكرمه وعظّمه ، وزوّجه ابنته[3] ،

---

* في الأصل : أبو .

= وضعته اينانج في الشراب. فأجبرها السلطان على الشرب وتسممت. رشيد الدين ١/١٠٠ . حسب الراوندي (٥٠٧) أن اينانج خاتون خنقت بوتر القوس بأمر من السلطان.

(١) ابن أمير بار ـ هنا هو بن أمير محمود بن سنا أغلي.

(٢) في بونياتوف (٢٤٢) أن بين الشقيقين بدأ الحسد والصراع وانتهى ذلك إلى انتصار أبي بكر واجبار أخيه الأكبر على الهرب ثم أصبح الرجل الأول وصار أتابكاً.

(٣) المقصود هنا شروان شاه اخستان الأول ابن ميتو شهر الثالث، الذي حكم من ٥٥٥ هـ ـ ٥٩٤ (أو ٥٩٥) . في بونياتوف (٢٤٢) أن الأخ الأصغر أمير أميران صار صهر شروان شاه.

وحباه بالأموال وقاد اليه خيلاً يقرب عددها من مائة ، ومن آلات السّلاح وما يحتاج اليه وجهّزه .

وسار الى ملكة الكرج[1] وكانت حينئذ امرأة ، فتقدّمت الى أمرائها وعسكرها أن يكرموا مثواه ويُحقّقوا* مُناه . فالتقوه أحسن لقاء ورعوا حقّ أسلافه وحرمتهم ، وأكرموه وأنزلوه ، وحملوا اليه كلّ ما يحتاج اليه من ميرةٍ وعلوفةٍ ودنانير وثياب فاخرة . وسألوه عن سبب قصده ايّاهم فقال : إنّ أخي الأمير أبا** بكر لمّا نزلنا بساحته منهزمين ،ولُذنا بكنفه عائذين ، لم يَرْعَ لنا ما يجب عليه من حقّنا ، وان تحمله الحميّة والقرابة باقامة حرمتنا ، والعود معنا الى خصمنا ومكافحته الى أن نستردّ ما انتزعه من ملكنا ، لنكون نحن بالعراق ، وصفى هو على حاله بأذربيجان . بل صال علينا برجاله وشرّدنا في البلاد مفلولين ، وغرّبنا من بلادنا مغلولين . وأنا قد قصدتكم لتعضدوني بالرّجال وتسيّرون معي العساكر ، حتّى أقابله وأقاتله وأنازله وأصاوله . فاذا قهرته وعن البلاد طردته ، فالبلاد بين أيديكم كل ما تريدون منها خذوه ، فهو لكم غير منازعين فيه . فقابلوا قوله بالايجاب وتشمّروا « ١٠٥ ـ ب » لجمع العساكر وتجهيزها معه ، وكتبوا الى شروان

---

* في الأصل : يحققون .

** في الأصل : أبو .

(١) يوجد، تقريباً، خبر مماثل عن هذه الأحداث في « تاريخ وفضائل الملوك » (٥٧ ـ ٥٩): « وجهوا(شروان شاه وأمير أميران عمر) إليهم (الكرج) رسلاً مع هدايا لا تحصى، وأحجار كريمة ولآليء لا تقدر بثمن. تمارا. . . أعطتهم أملاً بمساعدتهم ودعمهم. عندها وصل أمير ميران بهلوان وشروان شاه اخساراتان مع وجهائهم وعلمائهم. بما أن شروان شاه كان ينتمي لنسباء (حفيد الملك دافيد الرابع البنّاء) والحاشية فإنهم أجلسوه حسب رتبته في مكانه. بعدها دخل أمير ميرمان، ابن شقيق السلطان وبهلوان. فقدّموه بتبجيل وتكريم وبعد التحية أجلسوه باعتزاز. كان قد استُقبل كإبن وكفارس طيب جميل المظهر. استقدموا أيضاً الوجهاء وايلدكز وأولاده، عندها، أمام الملكة تمارا التقى وزراؤها وقوادها، وظهر شروان شاه. وقرروا مواجهة العدو، لذلك بعثوا أمراً بجمع عساكر كل المقاطعات ».

شاه وكان قد دخل في طاعتهم ، وأدّى اليهم الخراج أن يتجهّز ليسير معه . وانضمّ اليه جماعة من عسكر ارّان ممّن طمع أن يكون معه ، اذا تمّ له الدّهر مقرّباً وعنده خصيصاً . واجتمع جماعة من التّركمانيّة وساروا نحوه واختلطوا .

وقصدوا الأمير أبا بكر بن الأتابك محمّد البهلوان بعساكر غصّت بهم الأرض ، وشرق بهم الهواء . فكانت عند ذلك الأرض تزلزل من وطء العساكر والسّماء تنفطر من مثار النّقع وعلوّ الغبار . فلمّا قربوا من بيلقان[1] ، خرج الأمير أبو بكر وجمع جنوده واستدعى عساكره ، ونزل مقابلهم وتهيّأ للقتال . فلمّا التقى الجمعان وعلت أصوات الشّجعان ، واختلطت العساكر بالعساكر والرّجال ، حملوا على الأمير أبي* بكر حملةً أزالوه عن مقامه ، وغادروا جماعة من أبطاله ونجب رجاله مجدّلين ، وعن الأرواح معطّلين . وطلب الأمير أن يخرج من الحرب فلم يُمكنه ذلك ، لاحاطة عساكر الكرج وعساكر المسلمين بعسكره من كلّ جهة . فصبر وصبر معه جماعة من غلمانه ، يُحامون حوله ويقاتلون دونه ، فعجزوا عن ذلك . وقُتل منهم من قُتل ، وانهزم منهم نفر يسير . ووقع الأمير أبو بكر بين القتلى ، وانكبّ عليه غلام من غلمان « ١٠٦ ـ أ » أخيه ليقتله ، وهو لا يعرفه ، فتعرّف اليه وقال : أنا فلان . فنزل من فرسه وأركبه وركب هو جنيبة كانت معه ، وحمله يُوهم من معه أنّه يحمل أسيراً الى صاحبه . فلمّا خرج من المعركة حمله الى أن أتى به بيلقان . فأقام بها الى أن اجتمع له

---

* في الأصل : أبو .

(١) قبل معركة بيلقان دخلت عساكر الكرج وحلفاؤهم في مقاطعة شمهور في ١ حزيران ١١٩٤ م ليلة الخميس ـ الجمعة . الملك داوود صاصلان وقواده ، مع شروان شاه وأمير ميران وعساكرهما ، فرحين ، شكروا الرب لأنهم وجدوا العدو على مقربة . وقد دهشوا كثيراً عندما عرفوا أن أعداءهم ، الذين تركوا كنجة وسهول آران فاقدين بذلك الدفاع عن أنفسهم من ناحية الجبال ، توجهوا ضدهم باستعجال . نفس المصدر السابق ٦٠ .

من فرّ من المفلولين وسار نحو نخجوان هزماً[1] .

وأمّا أخوه أمير أميران عمر ، فانّه رجع ومعه العساكر من الكرج والمسلمين الى أن أتى كنجة ونزل حولها . وطلب منهم أن يسلّموها اليه فقالوا : لو كنت قد جئتنا بمُفردك ، كنّا قد سلّمنا اليك البلد . أمّا وأنت في هذه الجموع من عساكر الكفّار ، فلا سبيل لنا أن نسُلم اليك هذه المدينة خوفاً من غدر* الكفّار بك واستيلائهم عليها ، ونُسبى نحن وذراريّنا ، ويُقتل رجالنا وأهالينا . واذا صحّ لهم هذا من هذا الثّغر ، فلا يبقى بلد من بلاد الاسلام الاّ ويصير لهم . وتنهدم قواعد الاسلام ، ويغشاه بعد ما عليه من النّور الظّلام . فلم يسلموه اليه .

وكان جماعة من الأمراء المنهزمين وقت المصافّ قد التجأوا الى كنجة ، فعلموا أنّهم لا يقدرون على أخذها بالقهر ولا يطيقون الاستيلاء عليها بالقتال . فراسلهم أمير أميران عمر وقال لهم : سلّموها اليّ حتّى أدخل اليها بمُفردي وأُزيح عنكم هذا العدوّ . فقالوا : نحن الى هذا منقادون** واليك مائلون*** . فعرف الكرج ما جرى بينه وبينهم « ١٠٦ ـ ب » من الكلام وقال لهم : إنّني اذا كنت أنا في كنجة ، ينفذ فيها حكمكم ،

---

* في الأصل : عدد .

** في الأصل : منقادين .

*** في الأصل : ما يلين .

(1) في المصادر الكرجية تتكرر نفس المعلومات عن هذه المعركة. ولكن ليس قرب بيلقان بل قرب شمهور. « ابتدأت المعارك، ولكن ليس بكل العساكر بل بالأقسام الأمامية التي قدمت قبل الملك وحطموا نصف كتيبة أبي بكر. حتى قدوم الملك استطاعت كتائب الأتابك دعم صفوفها. عندما شاهدوا الملك، سقط عليهم غضب الرب وكذلك سيوف ورماح الملك التي أبادت فرقهم. وأُجبر الخصم على الهرب. إلى ذلك فإن الرماح سكرتْ من الدم والسيوف أكلتْ لحم العدو. واستطاع الأتابك مع عبد واحد له فقط أن ينجو. وفي الصباح ظهر الشمهوريون وقدموا مفاتيح المدينة. آخذاً شمهور والمدن المحيطة بها والقلاع، قدّمها الملك لأمير ميرمان. نفس المصدر السابق (٥٩ ـ ٦٢).

ويُحمل اليكم خراجها ، ويصير لكم ريعها . وان لم نقدر على أخذها بالسّيف ورحلنا عنها تستدعون أخي وتُسلمون اليه البلد . فأنا اذا كنت فيها كان أجود لكم ممّا يكون فيها أخي . فقالوا على شرطٍ أن نُدخل معك من أمرائنا من يُجلسك على سرير السّلطنة بها[1] . فراسل أهل البلد بما اقترحوه عليه ، فقالوا لا بأس اذا دخل منهم من يأمن به* غائلة مكره ، ونتحرّز من غدره وشرّه . فلمّا كان اليوم الّذي واعدوه أن يُسلموا اليه ، ركب ومعه غلمانه وأمراء عسكره ودخل معه من الكرج ثلاثة من الأمراء في جفٍّ من أصحابهم ، الى أن جاؤوا به الى دار السّلطان ، وأجلسوه على سرير السّلطنة . وحلّفوه وهو جالس على السّرير أن لا يضمر بهم غدراً ، وأن يكون موافقاً لهم سرًّا وجهراً . وكل ما توافقوا عليه يوصل اليهم وأن لا يخالفهم فيما يتقدّمون به . فحلف لهم بذلك ، وخرجوا من المدينة . وركب وخرج اليهم في اليوم الثّاني من دخوله الى المدينة . ورحل عسكر الكرج من حول كنجة ، وبقي من بعد رحيلهم اثنين وعشرين يوماً وتوفّي .

وضبط أهل كنجة المدينة ونفّذوا الى الأمير أبي** بكر أن احضرْ حتّى نسلّم اليك المدينة ، فانّ أخاك قد مات[2] . فرحل من « ١٠٧ ـ أ »

* في الأصل يامن به .

** في الأصل : أبو .

(١) في تاريخ وفضائل الملوك ٦٢. معلومات مناقضة تماماً لما يورده الحسيني: « داوود نفسه توجه إلى كنجة. عندما اقترب من المدينة توجه إلى لقائه أعيانُ المدينة والتجار والقضاة والفقهاء. راكعين على ركبهم خضعوا لداوود وطلبوا، والدمع في المقل، الصفح منه لهم ولذريتهم. وفتح باب المدينة أمام الملك وحتى باب القصر السلطاني فرشوا له سجاداً ثميناً ورشّوه بالذهب والفضة. قادوه إلى القصر ثم جلس على عرش السلطان ». وهو العرش الذي بناه في كنجة السلطان محمد طبر. أنظر النسوي ٢٨٦.

(٢) في تاريخ وفضائل الملوك ٦٤ ـ ٩٥ وصف لمقتل أمير أميران عمر على يد الأتابك أبي بكر: « أن هذا الأخير ابتعد إلى نخجوان ووعد أحدهم بكثير من الذهب موعزاً إليه قتل أخيه أمير أميران عمر. فوضع لهذا السمّ ومات وأُرسل مخبرٌ إلى مقاطعاته ومن هناك بصعوبة وصلوا إلى جبال قزوين في محيط كنجة وتأكدوا من موته».

نخجوان وطار بجناح العجلة الى كنجة ، وتسلّم المدينة ودبّر أمرها وسلّمها الى ابنه الأمير . . .* وعاد الى نخجوان[1] . وتجهّز الكرج وخرجوا لمّا سمعوا أنّ أمير أميران عمر بن محمّد البهلوان قد مات ، وأنّ أخاه الأمير أبا بكر** تسلّم الكنجة الى أن وصلوا الى كنجة ، ونزلوا حولها . فخرج الأمير . . .* وضرب عليهم حال نزولهم وهم غافلون***. فقتل منهم ثلاث مائة رجل وعاد الى البلد[2] . فلمّا رأى الكرج أنّهم لا يقدرون من كنجة على شيء ، رحلوا وقصدوا نخجوان . فانزاح عنها الأمير أبو بكر الى تبريز فنزل عليها الكرج ، فصالحتهم زاهدة خاتون على شيء دفعته اليهم وعادوا الى بلادهم ، بعدما أخربوا الرّساتيق ، وملأوا أيديهم من الغنائم ، وأسروا ما لا يحصيه الاّ الله سبحانه[3] ، وساقوا دوابّ البلاد بأسرها . وصاروا يقصدون الولاية ويأخذون قلعةً قلعةً ، وينهبون بلداً بلداً ، الى أن استولوا على أكثر القلاع . وضربوا الخراج على نخجوان وبيلقان ، واستولوا على دوين وقلاعها ، وركبوا وقصدوا مَرَنْد وأخذوها

---

* بياض في الأصل

** في الأصل : أبو .

*** في الأصل : غافلين .

(١) في تاريخ وفضائل الملوك ص ٦٥ أن « أبا بكر ظهر في كنجة وإليه انضم عسكر أمير أميران. لكن قسماً منهم قد هرب وقسماً قد قتل. ومجبراً الكنجيين على مبايعته تحصن في كنجة. لكنه من خوفه البقاء طويلاً هنا، غادر المدينة بعد فترة قصيرة » .

(٢) في تاريخ وفضائل الملوك ص ٦٦ أن « الملك مع عساكره توجهوا إلى كنجة ووقفوا عند بابها وهم يبيدون العدو بقوا عند أبواب المدينة ٢٥ يوماً. وبعد أن فرضوا الضريبة عاد فخضعوا آرّان إلى مملكتهم » .

(٣) في تاريخ وفضائل الملوك ص ٨٤ أن « الكرج توجهوا إلى تبريز فلما علم أهلها بمقدم الكرج أصابهم الذهول وأحاطهم الخوف فقام خصيان (؟) وأعيان تبريز والذين يفكرون مثلهم بمحاولة تهدئة زعماء الكرج وعسكرهم فأرسلوا الرسل وطلبوا السلم والرأفة بالمدينة عن طريق الاتاوات والهدايا والاذعانات والعهود. وكذلك وعدوهم بالهدايا من ذهب وفضة وأحجار كريمة ولؤلؤ. فاغتنى الكبار والصغار ومنح الكرج المدينة الحماية ثم غادروا أذربيجان وتوجهوا إلى ميانا » .

عنوةً ، وقتلوا الرّجال وسبوا الذّرّية . وما زالوا هكذا والأمير أبو بكر مشغول المداومة للفساد والانهماك في شرب الخمر ومعاشرة الغلمان . وألزم الحجّاب والأمراء أن لا يُنهوا* اليه من أمر الكرج شيئاً . وكلّما رأى الكرج أنّهم « ١٠٧ ـ ب » ليس لهم معاند مدافع ، ولا لهم عن الاستيلاء على البلاد مانع ، طمعوا وصاروا يتابعون الرّكض على البلاد ، وينازلون القلاع ، الى أن استولوا على بلاد ارّان بأسرها . لم يتخلّف منها مع المسلمين سوى كنجة بمُفردها ، وسائر أعمالها وقلاعها استولوا عليها ، وشمكُور وبيلقان من أرّان ومَرَنْد أخربوها كما ذكرنا ، وأردويل أخذوها عنوةً وفعلوا بها نحو فعلهم بِمَرَنْد (١) .

وأمّا السّلطان ركن الدّين طغرل بن ارسلان شاه ، فانّه لمّا انهزم قتلغ اينانج محمود من بين يديه ، وتزوّج بـ [اينانج] خاتون والدة اينانج محمود ، استولى على جميع العراق وقصد الرّي ، وبها أصحاب خوارزمشاه علاء الدّين تكش بن ايل ارسلان ، متملّكين القلعة والمدينة(٢) . فأخذ المدينة يوم نزوله عليها ، وحاصر القلعة واستنزل من بها من الخوارزميّين بأمان طلبوه منه . فلمّا نزلوا أذن لهم بالخروج من المدينة [ثمّ] غدر بهم وأتبعهم بمن أخذ جميع ما كان معهم ، وقُتل منهم جماعة وهرب

---

* في الأصل : ينهون .

(١) في أردبيل، وأثناء حكم الأتابك مظفر الدين اوزبك (١٢١٠ ـ ١٢٢٥) كانت قد شيدت كذلك أسوار جديدة بدلاً من التي هدمت أثناء الحملات الكرجية.

(٢) بعد هزيمته في المعركة عند قزوين، تحصن قتلغ اينانج في الريّ، ثم توجه، بعد تحرك السلطان طغرل الثالث بعساكره إلى همذان، بطلب المساعدة من خوارزم شاه تكيش الذي قدم بعساكره عام ٥٨٨ هـ إلى الريّ. إلا أن قتلغ، عند اقتراب تكيش من الريّ، ندم على استدعائه وخاف على نفسه ومضى من بين يديه وتحصّن في قلعة له. فوصل خوارزم شاه إلى الريّ وملكها ثم ملك بعدها قلعة طَبَرَك. وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الريّ في يد خوارزم شاه الذي رتّب فيها عسكراً وعاد إلى خوارزم ليقف بوجه أخيه سلطان شاه بعدما بلغه أنه (أي سلطان) قاصد لخوارزم. ابن الأثير ٤٣/١٢ والراوندي ٥٠٦.

الباقون(١) . واستولى على أصفهان وجعلها اقطاعاً للأمير عزّ الدّين فرج الخادم(٢) . وبقي في العراق ليس فيه منازع ولا لحكمه وسلطانه مانع .

أمّا اينانج محمود ، فانّه لمّا انهزم من أخيه الأمير أبي* بكر ، وصل الى زنجان ، واشتدّ به الفرار الى أن وصل الى سمنان(٣) . «١٠٨ - أ» فكان الأمراء العراقيّون قد التجأوا الى خوارزمشاه علاء الدّين تكش بن ايل ارسلان ، واختلطوا بعسكره(٤) . فلمّا وصل اينانج محمود الى عسكر خوارزمشاه علاء الدّين تكش بسمنان ، وهم مقدّمة خوارزمشاه علاء الدّين تكش ، أقام عندهم الى أن وصل خوارزمشاه علاء الدّين تكش الى دامغان(٥) . فرحل بمفرده ومعه** الأمراء العراقيّون بمفردهم ، وقصد خدمة خوارزمشاه علاء الدّين تكش الى دامغان . فمثل أمام سريره ، وقبّل الأرض بين يديه ، وعرّفه حاله وما دُفع اليه . فوعده خوارزمشاه علاء الدّين تكش ومنّاه وأكرم مثواه وأعطاه حتّى أرضاه . وأمر فخلع عليه

* في الأصل : أبو .

** في الأصل : معهم .

(١) أخلّ السلطان طغرل الثالث أولاً بالصلح وعام ٥٨٩ هـ احتل الريّ وطبرك. وقد قتل قائد حامية الريّ الأمير الخوارزمي طمغج وأخذ في الأسر حوالي ألفين من الخوارزميين. ثم توجه طغرل إلى قلعة فرازين (الراوندي ٥٠٦)، أما قلعة طبرك فقد هدمت ويؤرخ ياقوت (١٦/٤) هذه الأحداث عام ٥٨٨ هـ. لكن السلطان طغرل لم يستطع العودة إلى همذان ذلك أن العساكر الخوارزمية أغارت من جديد على الريّ من جهة غرغان. فوقف السلطان بوجههم وفي ٤ محرم ٥٩ هـ هُزم الخوارزميون وأسر ٢٥ من أمرائهم مثل: مياجق وسوتاش ومحمد خان وغيرهم. ابن الأثير ٤٢/١٢ والراوندي ٥٠٦.

(٢) حول عز الدين فرج مخلص السعد (الخادم) أنظر الراوندي ٥٠٦ - ٥٠٧.

(٣) سمنان: بلدة بين الريّ ودامغان. ياقوت ٢٥١/٣.

(٤) حول حملات السلاجقة على بلادخوارزم شاه أنظر الراوندي ٥١١ - ٥١٢.

(٥) طلب قتلغ اينانج من خوارزم شاه النجدة وافق وصول رسول الخليفة إلى خوارزم شاه للشكوى من طغرل والطلب منه قصد بلاده ومعه منشور بإقطاعه هذه البلاد. ابن الأثير ٤٢/١٢.

خلعاً سنيّة ، وخلع على جميع أصحابه الّذين كانوا معه ، وعاد في خدمة خوارزمشاه علاء الدّين تكش الى سمنان . وكان السّلطان ركن الدّين طغرل لمّا عرف بقصد خوارزمشاه علاء الدّين تكش الرّي ، جمع عساكره وأصحابه ، وقدم الرّي . وتخلّف عنه عزّ الدين فرج بأصفهان ، وأولاد قفشود بزنجان ، وأعجله خوارزمشاه علاء الدين تكش قبل أن يصل عسكره من أصفهان وزنجان ووصل الى خوار[1] .

حدّثني رجل بالرّي يقال له أمين الدّين محمّد الزّنجاني ، [و] كان نائباً عن الموالي بالرّي ، قال[2] : لمّا وصل خوارزمشاه علاء الدّين تكش الى خوار ، أقام بها يومين . وكان « ١٠٨ - ب » حاجبه الكبير شهاب الدّين مسعود بن الحسين في خدمته راسل مسعود بن الحسين الى السّلطان ركن الدّين طغرل بالخفيّة* ، وقال : إنّي كنت مملوكاً للسّلطان علاء الدّين تكش ، وغذيّ نعمته وصنيعة من صنائعه ، فلن يمنعني ذلك من بذل النُصح لك . لأنّه ما ترك جنديّ على رأسه قلنسوة الاّ ولبيّتك عليه حقّ ، بحكم أنّهم السّلاطين وأبناء السّلاطين ، وعمّ حكمهم سائر الأقطار واستولوا على جميع الأمصار وخدمهم كافّة النّاس . وأنا أُشير عليك أنّك تنزح عن الرّي الى ساوة وتقيم بها ، وتُراسل السّلطان علاء الدّين تكش بالصّلح ونحن ندخل بالوساطة بينك وبينه . وقُصارى ما يطلب

---

* هكذا في الأصل . ولعلّ عبارة « راسل مسعود بن الحسين إلى » زائدة .

(١) خوار: مدينة كبيرة من أعمال الريّ بينها وبين سِمْنان. بينها وبين الريّ نحو عشرين فرسخاً. ياقوت ٢/٣٩٤.

(٢) هنا لا يعني أن مؤلف « زبدة التواريخ » الحسيني كان معاصراً للأحداث. وربما يكون كذلك، لكنه لم يكن أثناء الصدام، لا في معسكر السلطان طغرل الثالث ولا في قصر خوارزم شاه. الأرجح أن أمين الدين الزنجاني كان معاصراً هرماً لمؤلف الكتاب وهذا الأخير استخدم معلوماته كمصدر مكمل ومكتوب. أنظر بونياتوف (٢٤٤).

منك أنّك تنزل له عن الرّي حتّى يتبيّن للنّاس ، أنّه أقـام حرمتـه وناموسه عند ملوك الكفّار في تلك الدّيار ، لما علموه من كـون الرّي كـانت له وأنّ أصحابه خرجوا منها ، واستولى غيره عليها ، وليس له مقصود غـير هذا . فان أنت نزلت له عن الرّي يرضى بذلك . وعاد الى خـوارزم وترك ولـده بالرّي ، واذا كان ولده بالرّي يكـون تحت حكمك ، يـأتمر لأمـرك وينتهي لنهيك . ويكون اذا عاد السّلطان بالاختيـار تتحفّظ الدّمـاء وتبقى الوجـوه بمائها .

فلمّا وقف السّلطان ركن الـدّين طغرل عـلى رسـالـة الحـاجب الكبـير شهاب الدّين مسعود ، أحضر الأمـراء « ١٠٩ ـ أ » الكبار من أصحـابه ، وعرض عليهم ذلك . فأشار عليهم الأمير نور الـدّين قرا ، وكـان صاحب قـزوين وقال لـه : إنّ هذا الـرّأي هو الصّـواب والـواجب علينـا أن نفعله ونـرحل الى سـاوة ونقيم بهـا الى أن يصـل الينـا عسكـرنـا من أصفهـان ، وعسكرنا من زنجان . فان تبعنا خوارزمشـاه علاء الـدّين تكش وقفنا بـين يديه في المضايق التي بين ساوة ومُشكُويه[1] ، ومانعناه بالجهـد والطّاقـة . فان قدرنـا وإلاّ رُحنا الى أصفهـان ؛ فان قَصَـدْنا الى أصفهـان ورجعنا الى همدان ، فانـه لا يقدر أن يتـرك بلاده ويقفـو أثرنـا من مكان الى مكـان . فحينئذ يقع الصلح بيننا وبينه على ما يحصل به صلاح المسلمين . فقـال : هذا رأي جيّد لو سمحت نفسي به ، وأنا ما أرى أن يتحـدّث النّاس عنّي ويقولوا إنّي فررت من بين يدي هذا الرّجل ، وأيضاً يدخـل الخوارزميّـون الى الرّي ويتحكّمون فيها على أهلها . وهم قوم قـد أظهروا محبّتي وبـالغوا في مشـايعتي ومتـابعتي . فيتحكمـون فيهم ، ويـظلمـونهم ويغشمـونهم ، ولست أفعـل ذلك . ثمّ قـام وخرج من الـرّي وعسكر في بـاب خراسـان

---

(١) مُشْكُويَه ـ من أعمال الريّ، بليدة بينها وبين الريّ مرحلتان على طريق ساوه. ياقوت ١٣٥/٥.

وخـرج معـه بعض عسكـره . ووصـل السّلطان عـلاء الـدّين تكش الى فـرهان[1] ، وركب السّلطان ركن الـدّين طغـرل وسـاق عن البلد مقـدار فرسخ ، والتقى هو والعراقيّون ومقدّمهم قتلغ اينـانج محمـود . فلمّا رآهم « ١٠٩ ـ ب » حمـل عليهم فلم يـوافقهم في الحملة سـوى ستّـين رجـلاً ، كلّهم كانوا غلمانه ، واكتنفوه وداروا حولـه . فحمل يـطلب القلب فرمـاه بعضهم بسهم حصل في عينه فوقع الى الأرض ، ووقف عليه قتلغ اينانـج محمود فقال لـه : يا محمـود احملني وامض ِ بي ، فهو خـير لـك ولي . فلم يقبل منه ونزل فاحتزّ رأسه ، وحملوه الى السّلطان علاء الدّين تكش ، فلم تطب نفسه بما فعلوه به وقـال : لو جئتم بـه حيّاً كـان أحبّ اليّ ، وأشهى لديّ ، ولكن أجله حكم عليه . لّمـا تهيّأ السّلطان طغـرل بن ارسلان شـاه للمصـافّ وقال لـه الأمراء : ان كـانت النّوبـة علينا ، أين يكـون مـوعـد اجتماعنا حتّى نقصـده ، قال لهم : أمّـا أنا فمـوعدي تحت حـوافر الخيـل مقتولاً ، وكان الأمر كما ذكر . وذكروا أنّه في اليوم أردى جماعة من خيولهم الى الأرض ، وقاتل قتـالاً شديـداً لم يسمع بمثله . ولكن من يخـذل الله لا حيلة فيه ، وكان ذلـك في الكتاب مسـطوراً . وأنفذ السّلطان عـلاء الدّين تكش رأسه الى بغداد ، ونُقلت جثّته فدُفنت في مقبرة سَمِيِّه وهـو السّلطان الأوّل وهو ركن الدّين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق بـالرّي في جامعه ، وذلك في التّاسع من شهر ربيع الأوّل سنة تسعين وخمس مائة[2].

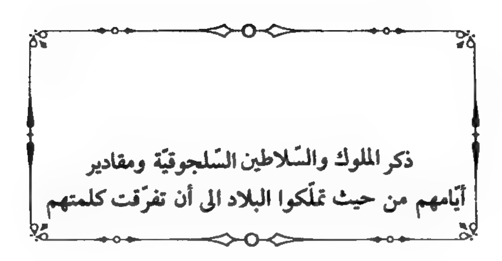
---

(١) فَرْهَان: ملاّحة في رستاق همذان وهي بحيرة تكون أربعـة فراسـخ في مثلها، إذا امتـلأت ماءً صارت ملحاً يأخذه الناس. وإذا مُنـع منها نشفت أولاً فـأولاً ولم يوجـد فيها شيء من الملح. أنظر ياقوت ٢٥٨/٤ وزكريا القزويني ٤٣١ .

(٢) عندما أرسل قتلغ اينانج رأس السلطان طغرل الثالث إلى خوارزم شاه لم يؤيد هـذا عمله وقال له: لو كنت جئتني به حيّـاً لكان لي هـذا أفضل، أسفـاً! لقد كـان قدره عـلى صورة أخـرى. حسب ابن الأثير (٤٢/١٢) فقـد قُتـل طغـرل في ٢٤ ربيـع الأول ٥٩٠ هـ. في الراوندي (٥١٣) ـ ٢٤ جمادى الآخرة ٥٩٠ هـ. حـول تفاصيـل مقتل طغـرل أنظر: ابن الأثير ٤٢/١٢ ، ابن الوردي ١٦٤/٢ ـ ١٦٥. أبو الفداء ٨٩/٣ـ ٩٠،. رشيد الدين ١/٢، ١٠١. ابن خلدون ١٨٢/٥ وغيرها.

لمّا قُتل السّلطان طغرل « ١١٠ ـ أ » بن ارسلان شاه بن طغرل بن محمّد طبر بن ملكشاه بن ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وهو آخر ملوك السّلجوقيّة ، صارت جمرة آل سلجوق رماداً تذروه الرّياح[1] ، وكان الله على كلّ شيء مقتدراً .

(١) بعد موت السلطان طغرل الثالث احتل خوارزم شاه تكّين في رجب ٥٩٠ هـ همذان ومعظم مدن وقلاع العراق وأقطع كثيراً منها لأمرائه ومماليكه. فأقطع أصفهان لقتلغ اينانج وهمذان لفاراغوز الأتابكي. أما الريّ فلأبنه ـ يونس خان. ابن الأثير ٤٢/١٢. الراوندي ٥١٩ وما يليها.



ذكر الملوك والسّلاطين السّلجوقيّة ومقادير أيّامهم من حيث تملّكوا البلاد الى أن تفرّقت كلمتهم

عبر الأمراء السّلجوقيّة من نور بخارى الى جانب خراسان في سنة ستّ وعشرين وأربع مائة ، وهم : يبغو ، وجغري بك داود ، وطغر لبك محمد ، أولاد ميكائيل بن سلجوق وقطلمش بن اسرائيل بن سلجوق ، ونزلوا حدود نسا[1] .وخدمهم التّركمان بخراسان وانضمّوا اليهم . في أوّل جمعة من ربيع الأوّل سنة ثمان وعشرين وأربع مائة ، جهّز السّلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين قائد جيشه فكسروه . وكانت وقعة دندانقان وهي الوقعة الّتي أوصلت الملك والسّلطنة الى السّلجوقيّة . في هذه الوقعة جغري بك واسمه داود* . وكانت هذه الوقعة بدندانقان يوم الخميس الثّامن من شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وأربع مائة . وتوفّي السّلطان المعظّم ركن الدّين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق في الثّامن من رمضان سنة خمس وخمسين وأربع مائة ، ولم يكن له نسل « ١١٠ ـ ب » .

وكان وليّ عهده ابن أخيه السّلطان المعظّم عضد الدّولة الب ارسلان حين توفّي السّلطان طغرل . وقُتل ألب ارسلان بظاهر سمرقند يوم السّبت

---

* كذا .

(١) تقع خرائب نسا على بعد ١٨ كلم شمال أشهبار .

سلخ ربيع الأوّل سنة خمس وستّين وأربع مائة(1) .

وملك بعده ولده السّلطان المعظّم جلال الدّولة ملكشاه . توفّي ليلة الثّلاثاء التّاسع والعشرين من جمادى الأوّل سنة سبع وثمانين وأربع مائة .

خلّف السّلطان ملكشاه : بركيارق ومحمّد وسنجر . وكان الأمر بينهم في العراقين وخراسان وأذربيجان والفارس والكرمان ومازندران والدّيار بكر والشّام .

ومات السّلطان محمّد ، وملكوا أولاده واحد بعد الآخر ، يتصرّفون من تحت يد السّلطان المعظّم معزّ الدّين أبي* الحارث سنجر . وبقي السّلطان سنجر في ملك خراسان والخوارزم وغزنة في الوقت بعد الوقت ، وفي ما وراء النّهر في الوقت بعد الوقت . الى أن توفّي بمرو يوم الثّلاثاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة .

وارتفع حكم السّلجوقيّة من اقليم خراسان بموت السّلطان سنجر ، وبقي في العراق صورةً بلا معنى لأنّ الأتابكيّة كانوا يحكمون عليهم ، الى حين وفاة السّلطان طغرل بالقتل في الرّي يوم الخميس التّاسع من شهر ربيع الأوّل سنة تسعين « ١١١ ـ أ » وخمس مائة . وكانت المدّةمن عبور السّلجوقيّة الى قتل السّلطان ركن الدّين طغرل بن ارسلان شاه مائة [و] أربعاً وستّين** سنة ، ومن استيلائهم على اقليم خراسان بعد كسرة السّلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين بدندانقان مائة [و] احدى*** وستين سنة وأربعة شهور وثلاثة وعشرين يوماً . وكان عمارة البلاد معذوقاً بوجودهم ، والرّعيّة مغمورين بفضلهم وجُوْدهم ، والعدل مبسوطاً

---

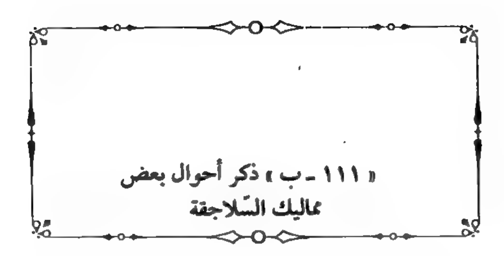
* في الأصل : أبو .

** في الأصل : أربعة وستون .

*** في الأصل : أحد .

(1) مات السلطان ألب ارسلان في السبت الأخير من ربيع الأول ٤٦٥ هـ .

في البلاد ، والأمن قد شمل العباد . فخربت خراسان بموت السّلطان سنجر بن ملكشاه ، وخرب العراق بقتل السّلطان ركن الدّين طغرل بن ارسلان شاه ، فرحمهم الله تعالى ، وتجاوز عنهم . فلقد كان العدل في أيّامهم معمور الأوساط والأطراف ، مرعي الجوانب والأكتاف ؛ والجور راكد الرّياح ، والعسف مقصوص الجناح . سبحان من لا يزول ملكه .



« ١١١ ـ ب » ذكر أحوال بعض مماليك السّلاجقة

لم يبلغ أحد من مماليك الخلفاء والملوك ما بلغه مماليك السّلجوقيّة وأبناء مماليكهم . فمنهم قسيم الدّولة اقسنقر وليّ حلب(١) ، ثمّ أولاده أتابك عماد الدّين زنكي(٢) وليّ الشام وديار ربيعة ومضر والموصل . ومنهم أقسنقر الأحمديلي وأولاده بمراغة ومنهم المؤيّد [اي ابه] وأولاده بخراسان . واقسنقر قسيم الدّولة استولى على حلب وأعمالها بمرسوم السّلطان الأعظم جلال الدّولة ملكشاه ، وكان مملوكه . ثمّ أولاده استولوا على الشّام الى أن تسلطن الملك الناصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب بعدُ في مصر والشّام . ومنهم ثبت أنوشتكين وأولاده على الخوارزم ثمّ على أكثر الأقاليم . ومنهم أتابك ظهير الدّين طغتكين(٣) [وأولاده] استولوا على دمشق وأعمالها . ومنهم سقمان وأولاده بأرمينية . وغير هؤلاء ممّن عظم ولم يُسمّ فكثير جدًّا . ومنهم أتابك الدكز وأولاده ، استولوا على العراق وأذربيجان . وهذا الدكز مملوك السّلطان غياث الدّين مسعود بن محمّد طبر

---

(١) قاسم الدولة آق سنقر كان مملوك السلطان ألب أرسلان وقد قُتل آق سنقر على يد ملك شاه في جمادى الأولى ٤٨٧ هـ. أنظر الأتابكية ٣ ـ ٦، ١٥، ١٩ ـ ٢٠، ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) وُلد عماد الدين زنكي في ٤٧٧ هـ وقُتل في ٥ ربيع الثاني ٥٤١. الأتابكية ١٥، ٤٧.

(٣) حول الأتابك ظهير الدين طغتكين أنظر ابن القلانسي.

ابن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، نصب في السّلطنة ابن زوجته السّلطان ارسلان شاه بن طغرل بن السّلطان محمّد طبر بن ملكشاه بن الب ارسلان . وهو صار أتابكه وعظم شأنه لذلك ، وأطاعته الممالك كلّها ما عدا بغداد وأعمالها . فلمّا مات الدكز قام « ١١٢ - أ » مقامه بمنصب الأتابكيّة ابنه نصرة الدّين محمّد البهلوان ، وهو أخو السّلطان ارسلان شاه لأمّه . فلمّا مات قام مقامه بمنصب الأتابكيّة أخو البهلوان من والدته مظفّر الدّين قزل ارسلان ، وقبض على طغرل بن ارسلان شاه بن طغرل وقيّده وحبسه في قلعةٍ من قلاع أذربيجان . ثمّ خرج السّلطان طغرل من محبسه وتملّك العراق . فلمّا قُتل في حرب خوارزمشاه علاء الدّين تكش بن ايل ارسلان في سنة تسعين وخمس مائة اختلف الممالك في يد بني بهلوان . ولم يزالوا كذلك الى أيّام السّلطان جلال الدين منكو برتي[1] بن السّلطان علاء الدّين محمّد المدعوّ سنجر بن تكش ، حتّى نُفي منهم أوزبك[2] الى قلعة النجة[3] ومات بها . وانقضت دولة بني الدكز جملة كافية ، فسبحان الدّائم الباقي .

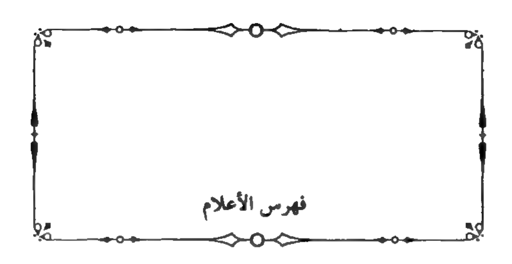
تمّ الكتاب بحمد الله وعونه
وصلّى الله على
سيّدنا محمّد
وآله .

---

(١) حول جلال الدين منكوبرتي أنظر النسوي .

(٢) حول الأتابك اوزبك أنظر النسوي .

(٣) النجه قالا - قلعة جبلية منيعة قرب نخجوان في أعالي نهر النجه جاي .



فهرس الأعلام

ـ ب ـ

- ح -

- خ -

- ش -

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -



فهرس الأماكن والبلدان

- ب -

- ت -

- ج -

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

- ز -

- س -

- ع -

- غ -

- ف -

ـ ل ـ

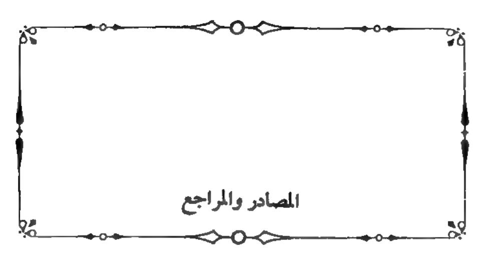
ـ م ـ

ـ ن ـ

- هـ -

- و -

- ي -



المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر العربية والمعرّبة

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني.

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات. القاهرة ١٩٦٣.
- الكامل في التاريخ، الأجزاء ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢. القاهرة ١٣٠٣ هـ.

الأصبهاني، عماد الدين الكاتب.

- خريدة القصر وجريدة العصر، القسم العراقي، الجزء الأول. تحقيق محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، بغداد ١٩٥٥.

اقبال، محمد.

- أخبار الدولة السلجوقية، نشر وتصحيح محمد اقبال. لاهور ١٩٣٣.

بروكلمان، كارل.

- تاريخ الأدب العربي، الجزء ٦، مصر ١٩٧٧.

البستاني، بطرس.

- كتاب محيط المحيط، جزءان. بيروت ١٨٧٠.

البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر.
- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله وعمر أنيس الطبّاع. بيروت ١٩٥٨.

البنداري، الفتح بن علي بن محمد
- تاريخ دولة آل سلجوق (زبدة النصرة ونخبة العصرة)، ليدن ١٨٨٩.

البيهقي، أبو الفضل
- تاريخ البيهقي. ترجمة: يحيى الخشّاب وصادق نشأت. بيروت ١٩٨٢.

ابن تغري بَرْدي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف.
- النجوم ةالزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء ٥، ٦، ١٠، ١١. القاهرة، ١٣٤٨ هـ.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. الأجزاء ٨ - ٩ - ١٠. حيدر آباد ١٣٥٩ هـ.

حاجي خليفة.
- كشف الظنون عن نأسامي الكتب والفنون، بغداد، دون تاريخ.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد.
- تاريخ ابن خلدون، ج ٣ و٥، بولاق ١٢٨٤.

ابن خلكان.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ٨ أجزاء، تحقيق احسان عباس. بيروت. دون تاريخ.

الراوندي، محمد بن علي سليمان.
- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية. ترجمة: ابراهيم الشواربي، عبد النعيم حسنين، فؤاد الصياد. القاهرة ١٩٦٠.

الزركلي، خير الدين.
- الأعلام، ٨ أجزاء. بيروت ١٩٧٩.

سبط ابن الجوزي.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الجزء الثامن، القسم الأول والثاني، حيدر آباد ١٩٥١.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، نشر علي سويم، أنقرة ١٩٦٨(*)

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٩.

أبو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي.
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، القاهرة ١٩٥٦.

عبد الباقي، محمد فؤاد.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الشعب، دون تاريخ.

ابن العبري، غريغوريوس الملطي.
- تاريخ مختصر الدول. بيروت ١٩٥٨.

رشيد الدين فضل الله.
- جامع التواريخ، مجلد ٢، جزء ٥. ذكر تاريخ آل سلجوق. أنقرة ١٩٦٠.

ابن عتبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني.
- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. بيروت، دون تاريخ.

العتيبي، محمد بن عبد الجبّار.
- الكتاب اليميني. القاهرة ١٢٨٦ هـ.

ابن العديم، كمال الدين.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، جزءان، تحقيق سامي الدهان. دمشق ١٩٥١ - ١٩٥٤.
- بغية الطلب في تاريخ حلب. نشر علي سويم، أنقرة ١٩٧٦.

أبو الفداء، عماد اسماعيل.
- المختصر في أخبار البشر. القاهرة ١٣٢٥ هـ.

ابن الفوطي، كمال الدين.
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء الرابع، قسم ١ - ٤، تحقيق مصطفى جواد - دمشق ١٩٦٣ - ١٩٦٥.

القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود.
- آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت ١٩٦٠.

ابن القلانسي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف.
- تأريخ الحكماء، نشر جوليوس ليبيرت، لايبزيغ ١٩٠٣.

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزه.
- ذيل تاريخ دمشق، نشر هـ. ف. آميدروز. بيروت ١٩٠٨.

كحالة، عمر رضا.
- معجم المؤلفين، الجزء السابع، دمشق ١٩٥٩.

المتنبي.
- ديوان أبي الطيب المتنبي. تحقيق عبد الوهاب عزام، القاهرة ١٩٤٤.

ابن منظور، محمد بن مكرم.
- لسان العرب، ١٥ جزءاً، بيروت ١٩٥٥.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم النيسابوري.
- مجمع الأمثال، ج ١ و٢. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، القاهرة ١٩٥٩.

ناصر خسرو علوي.
- سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، ط ١، القاهرة ١٩٤٥.
النسوي، محمد بن أحمد.
- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي. القاهرة ١٩٥٣.

ابن النظام، محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسيني.
- العراضة في الحكاية السلجوقية. ترجمة وتحقيق عبد النعيم محمد حسنين وحسين أمين. بغداد ١٩٧٩.

ابن الوردي، زين الدين عمر.
- تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي. جزءان، تحقيق أحمد رفعت البدراوي. القاهرة. دون تاريخ.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي.
- معجم البلدان، ٥ أجزاء. بيروت ١٩٦٨.
- معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) الأجزاء ١٣ - ١٤. القاهرة ١٩٣٦.

ثالثاً: المصادر غير العربية[١]

١ - باللغة الفارسية

بهمنيار، أحمد.
- التوسل الى الترسّل. تهران ١٣١٥ هـ.

---

(١) إن كل مصدر بجانبه نجمة (*) يعني أن المعلومات مستقاة منه نقلاً عن تعليقات ضياء الدين بونياتوف حول كتاب «زبدة التواريخ» للحسيني. والمصادر باللغة الروسية في موسكو عام ١٩٨٠.

الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد.
ـ كتاب تاريخ جهانكشاي. جزءان. ليدن ١٩١١ و١٩١٦.

النيسابوري، ظهير الدين.
ـ سلجوقنامه. تهران ١٣٣٢ هـ.(*).

٢ ـ باللغة الانكليزية

Cahen, Claude
- the historiography of the Seljuqid period. Historians of the middle East. L. 1962.

Dunlop, D. M.
— the history of the Jewish Khazars. Princeton, 1954. (*)

Gardizi.
- Kitab Zaimu'l - AKHbar composed by A bu Said Abn»l - Hayy ibn ad - Dahhak ibn Mahmud Gardizi. L., 1928. (*)

Jusjani
- Tabakat - i- Nasiri. V.I. New Delhi, 1970.(*)

Rieu, Ch.
— Supplement of the Catalogue of the Arabic Manuscripts in the British Museum. L., 1894.

٣ ـ باللغة الفرنسية

Houtsma - M. th.
- Recueil de textes relatifs a l'histoire des Seljoucides. V.I, II, III. Leide 1886.

٤ ـ باللغة الألمانية

Szssheim,K .
- Prolegomena zu Eimer Ausgabe der im Britishen Museum zu london Verwahrten Chronik des Seldschu qishen Reiches. Lpz., 1911.

٥ ـ باللغة التركية

Gregory Abu L - Farac
- Abu L - Farac Tarihi. Turkceye ceviren omer Riza Dogrul. Ankara, c.I, 1945, c. II, 1950. (*)

Urfali, Mateos
- Vekayi - namesi (952 - 1136) Ve Papaz Grigor'un Zeyli (1136 - 1162). Turkceye ceviren M.D. And reasyan . Ankara, 1962. (•)

٦ ـ باللغة الروسية

Анчабадзе – З.В. Анчабадзе. Из истории средневековой Абхазии (VI-XVII вв.). Сухуми,1959.

Бартольд.Туркестан – В.В. Бартольд. Туркестан в эпоху монгольсого нашествия – Сочинения.Т.I.М.,1963.

Буниятов,З.М. Зубдат ат-таварих фи ахбар ал-умара ва-л-мулук ас-селджукийа.Перевод и примечания.М.,1980.

Вардан – Всеобщая история Вардана Великого.Пер. с др.-арм.Н.Эмина.

Кикнадзе – Р.К.Кикнадзе. Из истории Тбилиси XI-XIII вв.-"Труды Института истории АН ГССР".Т.У.Вып.I.Тб., 1960.

Киракос Гандзакеци. – Киракос Гандзакеци. – История. Пер. с др.-арм. Т.И. Тер-Григоряна.Баку,1946.

Минорский. – В.Ф.Минорский. История Ширвана и Дербенда., М.1963.

Мхитар Гош. – Мхитар Гош. Албанская

хроника.Пер. с англ. З.М. Буниятова. Баку,1960.

Успенский. – Ф.И.Успенский. История Византийской империи.Т.Ш. М.–Л.,1948.

История и восхваление венценосцев. – История и восхваление венценосцев. Пер. с груз. К.С. Кекелидзе.Тб.,1959.

المحتوى

الموضوع	الصفحة

مخطوطة عربية نادرة وفريدة عن فترة هي ، على حد تعبير المستشرق بارتولد ، من « أعتم صفحات تاريخ الإسلام » .

تتناول المخطوطة ، التي كتبها صدر الدين علي ناصر الحسيني في الربع الأول من القرن ١٣ م . تاريخ السلالة السلجوقية منذ نشأتها الى اندثار دولتها عام ١١٩٤ م ، والمخطوطة ، بمجموعها ، تشكل إضافة هامة ، لما هو معروف عن تاريخ تلك الحقبة . فهي تقدم معلومات جديدة وقيمة حول العلاقات السلجوقية - البيزنطية وحروب السلاجقة مع الجيورجيين (الكرج) . المعلومات المستقاة من مصادرها الأصلية حول التاريخ الاسلامي وشؤون الخلافة والوزارة وغيرها . كما تتضمن تفاصيل هامة حول المناطق الشمالية في ايران وأذربيجان وما وراء القفقاس .





للنشر والتوزيع والطباعة